ديوان

ابراهيم ناجي

دار العودة - بيروت

١ / ٩ / ١٩٨٠
دار العودة ـ بيروت
كورنيش المزرعة
بناية الريفييرا سنتر
هاتف: ٣١٠٨٤٠ ـ ٣١٨١٦٥

ديوان ابراهيم ناجي



وراء الغمَام



الاهداء

أنتَ وحيُ العبقريهْ وجلالُ الأبديهْ
أنت لحنُ الخلد والر حمة في أرض شقيهْ
أنت سرٌّ تعبتْ فيـ ـه العقول البشريهْ
إن تكن أشجتك أشعا ري وأناتي الشجيهْ
فتقبّلْ طاقةً بالد م والدمع نديهْ
وارض عنها! وإذا لم ترض فاغفرْ لي الهديهْ

❊ ❊ ❊

يا حبيبي! نضب العمرُ وقرّبنا الضحيهْ!
إن يكن قد شقي الما ضي فما أهنا البقيهْ
في خيالاتٍ غوالٍ وأمانٍ ذهبيهْ
يطلع الصبح عليها مثلما تمضي العشيهْ
أنت صهباء السماوا تِ! وروحٌ قُدُسيهْ
بتَّ تسقينْي فتنسيـ ـنيَ أوجاعيْ العصيهْ
فسلاماً كل حينٍ وغراماً وتحيهْ!

المآب

(رفيق من رفاق الصِّبا، رآه الناظم
عليلاً محمولاً بعد غربة طويلة)

لِمَن العيونُ الفاتراتُ ذبولا
ومَن الخيالُ موسَّداً محمولا
يا همّ قلبي في صِبا أيامه
وسهاد عيني في الليالي الأولى
عيناي كذّبتا وقلبي لم تدعْ
دقاتُه شكاً ولا تأويلا
يا أيها الملك العليل أفقْ تجدْ
مُضناكَ بين العائدين عليلا
يوم المآب كم انتظرتُك باكياً
وبعثتُ أحلامي إليك رسولا
خاطبتُ عنك فما تركتُ مخاطباً
وسألتُ حتى لم أدعْ مسؤولا
وغرقتُ في الأملِ الجميلِ فلم أدعْ
متخيَّلاً عذباً ولا مأمولا
وبكيتُ من يأسيَ عليك فلم أذرْ
عند المحاجرِ مدمعاً مبذولا
وأسائلُ الزمنَ الخفيَّ لعلهُ
يشفي أواماً أو يبل غليلا
«يا أيها الزمن الذي أسرارُه
لا تستطيعُ لها العقولُ وصولا»
«بالله قل أوَما وراءك لحظة
جمعت خليلاً هاجراً وخليلا؟»
هي لحظةٌ وهي الحياةُ ومن يعشْ
من بعدِها يجدُ الحياةَ فضولا

مـرَّ الظلامُ وأتعت مـلءُ خـواطـري
ودنـا الصبـاحُ ولم أزلْ مشغـولا
وأتى النهـارُ علىٰ فتىً أمسى بمـا
حمـل النهـارُ من الشؤونِ ملولا
وكـذا الحياةُ تُمـلُّ إن هي أقفرت
ممن يهـوّنُ عِبـأهـا المحمـولا
كـدٌ عـلى كـدٍّ ولسـت ببـالـغ
إلا ضـنـىً متـتـابعـاً ونـحـولا
صـدأُ الحوادثِ بـدّل الاشراقَ في
فكـري وكدّر خـاطـري المصقـولا
وتتـابـعُ الأنـواءِ في أفقِ الصّبـا
لم يُبقِ لي صحـواً أراه جميـلا
ذهب الصبـا الغالي وزالت دوحـةٌ
مـدت لنـا ظـلَ الـوفـاء ظليـلا
أيـام يخـذلني أمـامك منـطقي
فـاذا سكتُّ فكـل شيءٍ قيـلا!
ويثـور بي حُبي فـإنْ لفظٌ جـرى
بفمي تعثـر بـالشفـاه خجـولا
يـا مَن نـزلتُ بنبعـهِ أردِ الهوى
فـأذاقـنيـه مـحـطمـاً ووبيـلا
مـا راعني مـا ذقتُـه وخشيت أن
ألقـاك بـالـداءِ الـدفين جهـولا
فـأشـدّ مـا عـانى الفؤاد صبـابـةٌ
شبّتْ وظـل دفينهـا مجهـولا!

ساعة لقاء

يـا حبيبَ الروحِ يـا روحَ الأماني
لستَ تدري عطش الـروح إليكا
وحـنيـني فـي أنـينٍ غـيـر فـانٍ
لـلرَّدى أشـربُـه من مـقـلتيـكـا

* * *

آهِ من ســاعــةِ بثٍّ وشــجــونْ
ولقــاءٍ لم يكنْ لي في حـســابْ
وحـديثٍ لم يدرْ لي في الـظنـونْ
يـا طويـلَ الهجرِ يـا مُرَّ الغيـابْ

* * *

حــلّ يـا ســاحـر صفــوٌ وسـلام
بعـد فتـكِ البينِ بـالقلبِ الغـريبْ
ودنـــا ، روْضٌ وظـــلٌّ وغـــمـــامْ
بعـد فتك النـارِ بالعمـرِ الجديبْ!

* * *

مـرَّتِ الساعــةُ كـالحِلم السعيــدْ
ومشتْ نشــوتهــا مشي الــرحـيقْ
ذهبَ العمــرُ، وذا عمرٌ جــديـدْ
عشتــه من فمِـك الحلوِ الــرقيقْ!

* * *

مــرّتِ الــســاعــةُ والـليــلُ دنــا
والهــوى الصـامتُ يغـدو ويـروحْ
وتــلاشــتْ واختــفـتْ أجــســادُنــا
واعتنقنـا في الدُّجى روحـاً بـروحْ

* * *

تسمعُ الشعرَ وشعري منك لكْ
وبإلهامك أبدعتُ الرويّ
أنت يا معجزَةَ الحسنِ ملكْ كلُ لفظٍ
منك شعرٌ قُدسيّ

* * *

راجعتنا في جلالٍ وسكوتْ
وتوالتْ صورُ الماضي الحزينْ
كيف يبلى يا حبيبي أو يموتْ ما طبعناهُ
على قلبِ السنينْ

* * *

كيف يفنى ما كتبناهُ بنارْ
وخطَطْناهُ بسهدٍ ودموعْ
يشهدُ الليلُ عليه والنهارْ والشهيدُ
المتواري في الضلوعْ

* * *

التقت أرواحُنا في ساحةٍ كغريبينِ
استراحا من سَفرْ!
وحطَطْنا رحلَنا في واحةٍ
زادُنا فيها الأمانيْ والذِكرْ
وتساءلتُ عن الماضي وهلْ حَسُنت
دنياىَ في غير ظلالِكْ؟
يا حبيبي! أين أمضي من خجل
وفؤادي أين يمضي من سؤالِكْ!

* * *

شدَّ ما يُخجِلُني جهدُ المُقِلْ
مِن شباب ضاعَ أو من نورِ عينِ

يتمشى السقمُ في قلب الأجلْ
وأراني لك ما وفّيتُ دَيْني

* * *

أنا شاديكَ ولحني لك وحدكْ
فاقض ما ترضاهُ في يومي وأمسي
درجَ الدهرُ وما أذكرُ بعدَكْ
غيرَ أيامِك يا توأم نفسي!

* * *

وأنا الطائرُ! قلبي ما صبا
لسوى غصنِك والوكرِ القديمْ
ما تبدّلنا! ولا حالُ الصِّبا
والهوى الطاهرُ والودُّ الكريمْ

* * *

لم تزلْ ذكراهُ من بالي وبالِكْ كيف
ينسى القلبُ أحلامَ صباهْ؟
قد صحتْ عيني على فجر جمالكْ
كيف يُنسى الفجر يا فجرَ الحياهْ؟

العودة

(عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها
قد تغيَّرت حالها)

هذه الكعبةُ كنّا طائفيها
والمصلّين صباحاً ومساءَ
كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيها
كيف باللهِ رجعنا غرباءَ

* * *

دارُ أحلامي وحبي لقيتْنا
في جمودٍ مثلما تلقى الجديدْ
أنكرتنا وهي كانت إن رأتنا
يضحكِ النورُ إلينا من بعيدْ

* * *

رفرف القلبُ بجنبي كالذبيحْ
وأنا أهتف: يا قلب اتَّئِدْ
فيجيبُ الدمعُ والماضي الجريحْ
لِمَ عُدنا؟ لَيت أنّا لَم نعُدْ!

* * *

لمَ عُدْنا؟ أو لَمْ نطو الغَرَامْ
وفَرَغْنا مِن حنينٍ وألَم
ورَضينا بسكونٍ وسلامْ
وانتهينا لفراغٍ كالعَدَمْ؟!

* * *

أيها الوكر إذا طارَ الأليفْ
لا يَرَى الآخرُ معنًى للسماءْ

ويَرَى الأيامَ صفراً كالخَريفْ
نائحاتٍ كرياحِ الصَّحراءْ

* * *

آه مما صنع الدهرُ بنا
أو هذا الطلَلُ العابسُ أنتَ!
والخيالُ المطرقُ الرأس أنا
شدَّ ما بتنا على الضنْكِ وبتّ

* * *

أين ناديك وأين السمرُ
أين أهلوك بساطاً وندامى
كلما أرسلتُ عيني تنظرُ
وثبَ الدمعُ إلى عيني وغامَا

* * *

موطنُ الحسنِ ثوى فيه السأمْ
وسرت أنفاسُه في جوِّهِ
وأناخَ الليلُ فيه وجثم
وجرَت أشباحُه في بهوِهِ

* * *

والبلى! أبصرتُه رأيَ العيانْ
ويداه تنسجان العنكبوتْ
صحتُ! يا ويحك تبدو في مكانْ
كل شيء فيه حيٌّ لا يموت!

* * *

كل شيء من سرورٍ وحَزَنْ
والليالِيْ من بهيجٍ وشجى

وأنــا أســمــع أقــدامَ الــزمــنْ
وخُــطى الــوحــدةِ فــوق الــدرج

* * *

ركنيَ الحــاني ومغنــايَ الـشفـيقْ
وظــلالُ الخلدِ للعــاني الــطليــحْ
عـلم اللهُ لـقـد طــال الــطريـقْ
وأنــا جئتــك كيـمــا أسـتــريــح

* * *

وعـلى بــابِـك ألـقي جَعبتـي
كـغــريبٍ آبَ مـن وادي المـحنْ
افيك كف اللهُ عني غربتي
ورسا رحلي عــلى أرضِ الــوطــن!

* * *

وطـنـي أنــتَ ولـكــني طـريــدْ
أبــديُّ النفي في عــالَمِ بؤسي!
فــإذا عــدتُ فـللنجـوى أعــودْ
ثم أمضي بعـدمـا أفــرِغُ كـأسي!

الحنين

(الحنين اذا كبر وزاد
قد يتجسم شخصاً)

أمسي يعذبني ويضنيني
شوقٌ طغى طغيانَ مجنون
أين الشفاء ولمَ يعد بيدي
إلّا أضاليلُ تداويني
أبغي الهدوء ولا هدوء وفي
صدري عبابٌ غير مأمون
يهتاج إن لَجَّ الحنين به
ويئن فيه أنينَ مطعون
ويظل يضرب في أضالعه
وكأنها قضبان مسجون
ويحَ الحنين وما يجرعني
من مُرِّه ويبيت يسقيني
ربيتُه طفلاً بذلتُ له
ما شاء من خفضٍ ومن لينِ
فاليوم لمّا اشتدّ ساعدُه
وربا كنوارِ البساتينِ
لَم يرضَ غير شبيبتي ودمي
زاداً يعيشُ به ويفنيني
كم ليلةٍ ليلاءَ لازمني
لا يرتضي خلاً له دوني
ألفي له همساً يخاطبني
وأرى له ظلاً يماشيني
متنفساً لهباً يهبُّ على
وجهي كأنفاسِ البراكينِ
ويضمُنا الليلُ العظيمُ وما
كالليلِ مأوى للمساكينِ

الناي المحترق

كم مـرَّة يـا حبيـبـي والليـل يغشي البـرايـا
أهيم وحـدي ومـا في الـظلام شـاكٍ سـوايا
أصيِّـرُ الـدمـعَ لحنـاً وأجعَـلُ الشعـرَ نـايـا
وهـل يـلبّـي حـطام أشـعـلته بـجـوايـا
الـنـارَ تـوغـل فيـه والـريـحُ تـذرو البقـايـا
ما أتعسَ الناي بين المـ ـنى وبـيـن الـمـنـايـا
يشـدو ويشـدو حـزيناً مـرجـعـاً شـكـوايـا
مستعـطفاً مَنْ طـوينا عـلى هـواه الـطوايـا
حـتى يـلوح خـيـالٌ عـرفتـه في صـبـايـا
يـدنـو إلـيَّ وتـدنـو من ثـغـره شـفـتـايـا
إذا بـحـلمي تـلاشى واسـتيـقـظت عينـايـا
ورحت أصغي . وأصغي لَم أُلْفِ إلاَّ صـدايـا!

المنسي

متى يرق الحظ يا قاسي
ويلتقي المنسيُّ والناسي!
متى! وهل من حيلةٍ في متى
وفي خيالاتٍ وأحداسٍ؟
هدَّ قراري جريُها في دمي
وهمسُها في كر أنفاسي
وأنت مثل النجم في المنتأي
وفي السنا الخاطف كالماسِ
يرنو له الناسُ ويبغونه
وما يبالي النجمُ بالناسِ!
وأنت كأسُ الحسن لكننا
مثل حبابٍ حامَ بالكاس
طفا وقد قبّل أنْوارَها
ورفَّ مثل الطائر الحاسي!
وجفَّ أو ذاب على نورها
كما يذُوب الطلُّ بالآس!

تحليل قبلة

ولما التقينا بعد نأيٍ وغربةٍ
شجيين فاضا من أسىً وحنينِ
تسائلني عيناك عن سالفِ الهوى
بقلبي وتستقضي قديمَ ديونِ
فقمت وقد ضجَّ الهوى في جوانحي
وأنَّ من الكتمان أيّ أنينِ
يبثُّ فمي سرَّ الهوى لمقبَّل
أجودِ له بالروح غيرَ ضنين
إذا كنتِ في شكٍّ سلي القبلةَ التي
أذاعت من الأسرارِ كلَّ دفين
مناجاةَ أشواقٍ، وتجديدَ موثق
وتبديدَ أوهامٍ، وفضَّ ظنون
وشكوى جوىً قاسٍ، وسقمٍ مبرحٍ
وتسهيدَ أجفانٍ، وصبرَ سنين!

الحياة

(استعراض للحياة في شارع)

جلستُ يوماً حين حلَّ المساءْ
وقد مضى يومي بلا مؤنسِ
أُريحُ أقداماً وهتْ من عياءْ
وأرقبُ العالمَ من مجلسي!

* * *

أرقبه! يا كَدّ هذا الرقيبْ
في طيّب الكون وفي باطلهْ
وما يبالي ذا الخضمُ العجيبْ
بناظر يرقب في ساحلهْ

* * *

سيان ما أجهلُ أو أعلم
من غامضِ الليلِ ولغزِ النهارْ
سيستمرُّ المسرحُ الأعظَمُ
روايةً طالت وأين الستار

* * *

عييتُ بالدنيا وأسرارها
وما احتيالي في صموت الرمالْ!
أنشدُ في رائع أنوارها
رشداً فما أغنمُ الآّ الضلالْ!

* * *

أغمضتُ عيني دونها خائفاً
مبتغياً لي رحمةً في الظلامْ

فصاح بي صائحُها هاتفاً
كأنما يوقظني من منامْ:

* * *

أنت امرءُ ترزحُ تحت الضنى
لم يبقِ منك الدهرُ إلا عنادْ!
وكل ما تبصرهُ من سنا
يهزأ بالجذوة خلف الرمادْ!

* * *

وكل ما تُبصره من قوى
تدوي دويَّ الريحِ عند الهبوبْ
يسخر من مبتئس قد ثوى
يرنو إلى الدنيا بعين الغروبْ!

* * *

أنظرْ إلى شتى معاني الجمالْ
منبثة في الأرض أو في السماءْ
ألا ترى في كل هذا الجلال
غير نذيرٍ طالعٍ بالفناءْ!

* * *

كم غادة بين الصبا والشبابْ
تأنّق الصانع في صنعها
تخطرُ والأنظار تحدو الركاب
ولفظة الإعجاب في سمعها!

* * *

وربما سار إلى جنبها
مدلّهٌ ليس يبالي الرقيبْ

يمشي شَدِيدَ العجب في قربها
إِذ راح يوليها ذراعَ الحبيبْ!

* * *

وأنظر إلى سيارة كالأجلْ
تخطفُ خطفاً لا تُبالي الزحامْ
هذا الردى الجاري اختراع الرجلْ
هل بعد صنع الموت شيءٌ يُرامْ!

* * *

وانظر إلى هذا القويِّ الجسدْ
الباتر العزم الشديد الكفاحْ!
قد أقبل الليلُ فحيّ الجلد
في رجلٍ يدأبُ منذ الصباحْ

* * *

أجبتُ: يا دنياي من تخدعين؟!
إني امرؤٌ ضاق بهذا الخداعْ
مزَّقتِ عن عيشي هنيّ السنين
لأنني مزقتُ عنكِ القناعْ!

* * *

ان الجمالَ الساحرَ الفاتنا
يا ويحه حين تغير الغضون
ويعبثُ الدهرُ بحلو الجنَى
وتستر الصبغةُ إثمَ السنينْ!

* * *

وهذه السيارةُ العاتيهْ
وربُها الجبارُ كالبرقِ سارْ

مـا هـي الا شُـعَـلٌ فـانـيـهْ
نصيبُهـا مـثـلُ شعـاع الـنهـارْ!

* * *

وارحـمـتـاه لـلـقـويِّ الـصـبـورْ
يقضي الليـالي في كفاحٍ سخيفْ
وكيف لا أبـكي لـكـدح الفـقـيـرْ
أقصى منـاه أن ينـال الـرغيفْ!

* * *

كم صِحتُ إذا أبصرتُ هذا الجهادْ
ومبسـم الـذلـة فـوق الجـبـاهْ
يـا حسـرتـا مما يـلاقي العبـادْ
أَكُـلُّ هـذا في سبيـل الحيـاهْ؟!

* * *

وفـي سبـيـل الـزاد والـمـأكـل
نـمـلأ صـدرَ الأرضِ إعـوالا
كم يسخـر النجمُ بنـا مِن عـل
وكـم يـرانـا الـلّهُ أطـفـالا!

* * *

يـا ربِّ غفـرانـك إنـا صِغـارْ
نـدبّ في الـدنيـا دبيبَ الغـرورْ
نسحب في الأرض ذيـولَ الصغارْ
والشيـبُ تـأديبٌ لـنـا والقبـورْ!

* * *

قلب راقصة

أمنسيتُ أشكو الضيقَ والأينا
مستغرقاً في الفكرِ والسأمِ
فمضيتُ لا أدري إلى أينا
ومشيت حيث تجرّني قدمي

* * *

فرأيتُ فيما أبصَرَتْ عيني
مَلهىً أُعِدَّ ليبهجَ الناسا
يجلون فيه فرائدَ الحسنِ
ويباع فيه اللهو أجناسا

* * *

بغرائب الألوان مزدهر
وتراه بالأضواء مغمورًا
فقصدته عَجِلاً ولي بصرٌ
شبه الفراشة يعشق النورَا!

* * *

ودخلتهُ أجتازُ مزدحماً
بالخَلق أفواجاً وأفواجا
وأخوضُ بحراً بات ملتطماً
بالناس أمواجاً وأمواجا

* * *

فقدوا حجاهم حينما طربوا
ودووا دويَّ البحرِ صخّابا
فإذا استقرّوا لحظةً صخبوا
لا يملكون النفسَ إعجابا

* * *

متوثبين يميلُ صفُهم
متطلعَ الأعناق يتقدُ
ومصفقين عَلَتْ أكفُهم
فوّارةً فكأنها الزبدُ!

* * *

لِمَ لا أثورُ اليومَ ثورتهم؟
لِمَ لا أجرّبُ ما يحبونا؟
لِمَ لا أصيح اليومَ صيحتهم؟
لِمَ لا أضجُّ كما يضجونا؟!

* * *

لِمَ لا تذوق كؤوسَهم شفتي؟
إنَّ الحجا سُمّي وتدميري
في ذمةِ الشيطانِ فلسفتي
ورزانتي ووقارِ تفكيري!

* * *

يا قلبُ! ضقتَ وها هنا سعةٌ
ومجالُ مصفودٍ بأغلال
أتقول أعمارٌ مضيعة؟!
ماذا صنعت بعمرك الغالي؟!

* * *

أنظر ترَ السيقان عاريةً
وترَ الخصورَ ضوامراً تغري
وتجدْ عيون اللهو جارية
فهنا الحياة! وأنت لا تدري

* * *

مَنْ هــذه الحسناءُ يـا عيني؟
الـســحــرُ كــلَّلها وظـلَّلهـا
كـالـطيــرِ من غصنٍ إلى غصن
وثّــابــة، وثـب الفـؤاد لـهــا!

* * *

وتــراه حــســنــاً غـيــرَ كــذاب
لا مــا يــزيـفــه لــك الضــوءُ
ويـــزيــد فـتـنـتَهــا بــاغــراب
حـــزنٌ وراءَ الحســن مخـبــوءُ!

* * *

ثم اختفتْ والجمــعُ يــرقـبهـا
ويلحُّ: عـودي! ليس يـرحمهـا
هــي متـعــةٌ لـلحسِّ يـطلبـهــا
وأنــا بــروحي بتُّ أفـهمُـهــا!

* * *

ورأيـتُـهــا فــي آخــر الـلـيــلِ
في فتيــةٍ نصبـوا لهــا شــركــا
يعلو سنــاهــا الحــزنُ كــالـظل
مـسكـينــة تـتكـلّفُ الضـحـكــا

* * *

فمضيتُ تــوّاً، قلت: سيـدتي!
زنــتِ الـمــراقص أيّما زيــن!
هــل تــأذنين الآن ســاحــرتي
تــأكيـدَ اعجــابــي بكــأسـين؟

* * *

فـتمـنّـعــت وأنــا ألــحّ سـدىً
بــالـقــول أُغــريـهــا وأعـتــذر

فاستدركتْ. قالت: أراك غداً
ان شئتَ. اني اليوم أَعتذر

* * *

وتحوَّلت عني لرفقتها
ما بين منتظرٍ ومرتقبِ
فتَّانة تغري ببسمتِها
وتحدّدُ الميعادَ في أدبِ

* * *

حان اللقاءُ بغادتي وأنا
أخشى سراباً خادعاً منها
متلهفاً أستبطئُ الزمنا
وأظل أسأل ساعتي عنها

* * *

وأجيل عينَ الريب ملتفتاً
متطلعاً للباب حيرانا
وأقول: ما يدريك أي فتى
هي في ذراعيْ حبه الآنا!

* * *

مَنْ ذا يُصدّقُ وعدَ فاتنة
لا ترحمُ الأرواحَ إتلافا
أنثى تلاقي كل آونةٍ
زجلاً وترمي الوعدَ آلافا

* * *

وهممتُ بعد اليأسِ أن أمضي
فاذا بها تختالُ عن بُعدِ
ميّزتها بشبابها الغضِّ
وبقدِّها، أُفديه من قدٍّ!

* * *

يـا لـلقلوب لـمـلتـقى اثـنـيـن
لا يـعـلـمـان لأيّـمـا سَـبَـبِ
جمعتهـمـا الـدنيـا غـريـبيـن
فـتـآلـفـا في خـلوةٍ عَـجَـبِ

* * *

عجبـاً لـقلب كـان مـطمـعـه
طَـرَبـاً فجـاء الأمـرُ بـالعكس
وأشـدّ مـا في الكـون أجمعـه
بـين الـقـلوب أواصـرُ الـبـؤس

* * *

مَن أنت يـا مَن روحُها اقتـربت
مني وخـاطـب دمعُـهـا روحي
صبّتـه في كـأسي! ومـا سكبتْ
فيـه سـوى أنّـات مـذبـوحِ

* * *

عجبـاً لنـا! في لحظةٍ صـرنـا
متفـاهـمـيـن بغـيـر مـا أمـدِ!
يـا مَن لقيتُـك أمس! هـل كنـا
روحين ممتـزجين في الأبـدِ؟!

* * *

هـاتي حديثَ السقمِ والـوصبِ
وصِفي حـقـارةَ هـذه الـدنيـا
انـي رأيتُ أسـاكِ عـن كـثـب
ولمستُ كـربَـكِ نـابضـاً حيًّـا

* * *

لا تكتمي في الصـدرِ أسـرارا
وتـحـدثي كـيـف الأسـى شـاءَ

أنـا لا أرى إثـمـاً ولا عـارا
لـكـن أرى امـرأةً وبـأسـا

* * *

تجـدين فكـرَك جـدّ مبتعـد
والنـاس نحـو سنـاك دانـونـا
وتـريْن حـالـك حـالَ منفـرد
والـقـومُ كـثـرٌ لا يُـعـدّونـا!

* * *

وتـريـن أنـكِ حيثمـا كُنـتِ
تـرضيـن خـوّانـيـن أنـذالا!
يبغـونـه جسـداً فـإن بعـتِ
بـذلوا النضـار وأجزلـوا المـالا!

* * *

يـا حـرَّهـا من عبـرةٍ سـالتْ
مِن فـاتـكِ العينين مكحـولِ
وعـذابهـا من وحشـة طـالتْ
وحـنيـن مجهـولٍ لمـجهـولِ

* * *

أفنيـتِ عـمـرَك في تـطلبـه
ويكـادُ يـأكـلُ روحَـكِ المللُ
فـإذا بـدا مَنْ تعجبيـن بـه
وتقول روحُك: هـا هو الأمـلُ!

* * *

أدميـتِ قـلبَـك في تـقـرّبـهِ
والقلبُ إن يـخلص يَـهُنْ دمُـهُ
فـإذا حسبتِ بـأن ظفـرتِ بـهِ
فـازت بـه من ليس تـفهـمُـهُ

* * *

سكتت وقـد عجبت لـخلوتـنـا
طـالـتْ كـأنّـا جـدّ عـشـاقِ
وأقـول: يـا طـربـاً لنشـوتِنـا
صرعى المدامة والجوى الساقي!

* * *

أفـديـكِ بـاكـيـةً وجـازعـةً
قـد لفّهـا في ثـوبـهِ الغسقُ
ودعـتُـهـا شـمـسـاً مـودّعـة
ذهبت وعنـدي الجـرحُ والشفقُ

* * *

تمضي، وتجهـلُ كيف أكبـرهـا
إذ تختفي في حـالـك الـظلم
روحـاً إذا أثـمـت يـطـهـرهـا
نـاران: نـارُ الصبـرِ والألَـمِ!

* * *

الميعاد

إن عُـدتَ أو أخلفتَ لم تعـدِ
أنـا إلف روحـك آخـر الأبـدِ
ظمـأٌ على ظمـإٍ على ظمـإٍ
ومـواردٌ كـثـرٌ ولـم أردِ
مـرَّ الـظلامُ وأنت لي شجنٌ
وأتى النهـارُ وأنت فـي خلدي
لا يسمع البحرُ الغضوبُ إلى
شـاكٍ ولا يصغي إلى أحـدِ!
كم لاح لي حربُ الحياة على
أمـواجـهِ المجنـونـةِ الـزبـدِ
ورأيتُ طيفَ الضنك مرتسمـا
فـي عـاصفِ الأنـواءِ مطَّردِ
في الليـل مدَّ رواقَـه وثـوى
كجوانحٍ طُـويت على حسدِ
قبـر مَبـاهـجُـه بـلا عـددٍ
لـفتى متـاعبُـه بـلا عـددِ
مَـن يـومـه يـوم بـلا أمـلٌ
وغـدٌ بـلا سلوى وبعـد غـدِ
لـولاك والعهـد الـذي عقـدتْ
بيني وبينـك مهجتي ويـدي
أضجعتُ جنبي جـوفَ غيهبـه
وأرحـتُ فيـه بـاليَ الجسـدِ
يـا مخلفَ الميعـادِ عُـدْ لترى
جزَعَ الغـريب وضيعةَ الـرشـدِ
وليـاليـاً مـوصـولـةً سهـراً
أبـديـةً حـجـريـةَ الكـبـدِ

وطليحَ أسفارٍ وعلّته
قتالة لَم تشفَ في بلدِ!
يا شعر أيامي وأغنيتي
وغليل ظمآن الشفاه صدي!
يا ظالمي! عيناك كم وعدت
قلبي إذا شفتاك لَم تعدِ

الميت الحي

(كان الشاعر مريضاً وشعر أنه ينتهي
فكتب القصيدة التالية)

داوِ نــاري والتيــاعـيْ ... وتـمـهَّـلْ فـي وداعـيْ
يا حبيبَ العمر هبْ لي ... بضـعَ لحـظاتٍ سـراعِ
قفْ تأمل مغربَ العمـ ... ـر وإخفـاقَ الشعـاعِ
وابـكِ جبَّارَ الليـالي ... هـدّه طولُ الصـراعِ
واضياع الحزن والدمـ ... ـع على العمر المضاع!
وهتـاف القلب بـالشكـ ... ـوى على غيـر انتفاعِ
ما يهمّ الناس من نجـ ... ـم على وشك الزماعِ
غـاب من بعـد طلوعٍ ... وخبـا بعـد التمـاعِ؟!
طال بي سُهدي وإعيـا ... ئي وقد حان اضطجاعي
وإذا الـراحـة حـانت ... بـعـد لأيٍ ونـزاعِ
فصـدور الغيـد سيَّـا ... ن وأنيـاب السبـاعِ!

❊ ❊ ❊

آهِ لـو تقضي الليـالي ... لـشتيـت بـاجـتمـاع
كـم تمنيتُ وكم من ... أمـلٍ مُـرّ الخـداع!
وقـفـة أقـرأ فـيـهـا ... لـك أشعـار الـوداع
سـاعـة أغفـر فيهـا ... لـك أجيـال امتنـاع
يـا مناجـاتي وسرِّي ... وخيـالي وابـتـداعـي
ومتـاعـاً لعـيـوني ... وشـميـمي وسـمـاعـي
تبعث السلوى وتنسى الـ ... ـموت مهتوك القنـاع:
دمعـة الحزن التي تسـ ... ـكبهـا فـوق ذراعي!

الوداع

حان حِرماني وناداني النذيرْ
ما الذي أعدَدْتُ لي قبل المسيرْ
زمني ضاع وما أنصفتني
زاديَ الأولُ كالزاد الأخيرْ
ريّ عمري من أكاذيبِ المنى
وطعامي من عفافٍ وضميرْ
وعلى كفِك قلبٌ ودمٌ
وعلى بابِك قيدٌ وأسيرْ!

* * *

حانَ حرماني فدعني يا حبيبي
هذه الجنةُ ليستْ من نصيبي
آه من دارِ نعيمٍ كلما
جئتُها أجتازُ جسراً من لهيبِ
وأنا إلفك في ظل الصِّبا
والشبابِ الغضِّ والعمرِ القشيبِ
أنزلُ الربوةَ ضيفاً عابراً
ثم أمضي عنك كالطيرِ الغريبِ

* * *

لِمَ يا هاجرُ أصبحتَ رحيما
والحنانُ الجمُّ والرقةُ فيما؟!
لِم تسقينيَ من شهدِ الرضا
وتلاقيني عطوفاً وكريما
كلُّ شيء صار مرّاً في فمي
بعدما أصبحتُ بالدنيا عليما
آه من يأخذُ عمري كلَّه
ويعيدُ الطفلَ والجهلَ القديما!

* * *

هل رأى الحبُّ سكارى مثلنا؟!
كم بنينا من خيالٍ حولنا!
ومشينا في طريق مقمر
تثبُ الفرحةُ فيه قبلنا!
وتطلعنا إلى أنجمه
فتهاوين وأصبحنَ لنا!
وضحكنا ضحك طفلين معاً
وعدونا فسبقنا ظلنا!

* * *

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق
وأفقنا. ليتَ أنا لا نفيقْ!
يقظةٌ طاحت بأحلام الكَرَى
وتولّى الليلُ، واللّيْلُ صَدِيقْ
وإذا النُّورُ نَذِيرٌ طَالِعٌ
وإذا الفجرُ مُطِلٌّ كالحَريقْ
وإذا الدُّنيا كما نعرفُها
وإذَا الأحْبَابُ كلٌّ في طَريق

* * *

هاتِ أسعدْني وَدَعْني أسْعدُكْ
قَدْ دَنا بعدَ التَّنائي موردُكْ
فأذقنيه فإني ذاهِبٌ
لا غدي يُرجَى ولا يُرجى غدُكْ
وا بلائي من ليالِيَّ التي
قرَّبَتْ حَيْني وراحَتْ تبعِدُكْ!
لا تَدَعْني لِلّيالي فغداً
تجْرَحُ الفُرْقةُ ما تأسو يَدُكْ!

* * *

أزف البينُ وقــد حــان الــذّهــابْ
هــذه اللّحــظةُ قُــدَّت مِن عَــذَابْ
أزف البينُ، وهــل كـــان النَّــوى
يــا حبيبي غيــر أن أغْلق بـــابْ؟!
مَضتِ الـشّمْسُ فــأمسيــتُ وقــد ،
أغلقت دونــيَ أبــوابُ السَّـحـــابْ
وتــلفَّـــتُّ عـــلى آثـــارهَـــا
أسْألُ اللّيْلَ! ومَنْ لي بــالجوابْ؟!

* * *

الزائر

يـا للحبيب الـمفـدَّى غـداةَ زار وسـلَّمْ
مستَحييـاً والهـوى في ركـابـه يـتـضـرَّمْ
وصـامتاً وهـو أيـكٌ بـألـفِ شـدوٍ تـرنَّمْ
نـاداه قلبي! ونـاجـا ه خاطري! وهو يعلَمْ!
يـا مطلعَ السحـر والنو ر والـجمـال! تـكَلَّمْ!
أبِـنْ! وإلا أعـنْ قـلـ ـبي الممـزَّقَ وارحَمْ!

* * *

يـا غازيـاً يضرب القلـ ـب وهو حصنٌ مُحَطَّمْ
لـمَّـا طلعت عـليـه وهَـى وأَنَّ وسـلَّمْ
يـا فـتنـة تـتـهـادى ورحـمـة تـتـبـسَّمْ
إن لم يكن لي رجاءٌ ولا لـحـظيَ مغـنـمْ
أو لَمْ يعُـدْ لي نصيبٌ دعني بحسنك أحلمْ!

* * *

الليالي

(١)

مكانيَ الهادىء البعيدْ
كُن لي مجيراً من الأنامْ
قد أمَّكَ الهاربُ الطريدْ
فآوهِ أنتَ والظلامْ

* * *

يا حسنها ساعة انفصالْ
لا ضنْك فيها ولا نكدْ
يا حقبةَ الوهم والخيالْ
هلاَّ تمهلتِ للأبدْ؟!

* * *

يا أيها العالم الأخيرْ
ماذا ترى فيك من نصيبْ؟
أراحةٌ فيك للضمير
أم موعدٌ فيك من حبيبْ؟

* * *

كم يَعذُب الموتُ لو نراهُ
أو كان فيك اللقاءُ يُرجى
ينفضُ عن عينه كراهُ
ويقبل الراقدُ المسجَّى!

* * *

لكن شكّاً بما تجنّ
خيّم فوق العقولِ جمعَا

عـجبـتُ لـلمـرءِ كـم يئـنّ
ويستـطيـبُ الـحيـاةَ مَـرعَـى

* * *

قـد صـار حبُّ الحيـاةِ منـا
يقنـع بـالـجيفـةِ الـسبـاعْ
وعلم الـسـمـحَ أن يـضـنّـا
وثبَّت الـجبنَ في الـطبـاعْ!

* * *

(٢)

طـال بنـا الصمتُ والـجمـودْ
لا البـدر يـوحي ولا الغـديـرْ
يـا عـالـم الضيـم والقيـودْ
بـرَّحت بـالـطائـر الأسيـرْ!

* * *

هـربـتُ من عـالـمٍ أضـرّا
وجئـت يـا كـعـبـتـي أزورْ
هـاتـي خيـالاً إذن وشـعـرا
أسـكبـهُ في فمِ الـدهـورْ!

* * *

هـرَبـتُ من عـالـمِ الشقـاءْ
وجئتُ عَلي لـديـكِ أحيـا!
أشـرب مـن روعـةِ الـسمـاءْ
شعـراً وأسقـي الفـؤادَ وحيـا!

* * *

مللتَ في هاته العوالمْ
مهزلةَ الموت والحياهْ
وصورةَ القيدِ في المعَاصمْ
ووصمةَ الذلِّ في الجباهْ

* * *

هياكلٌ تعبرُ السنين
واحدةُ العيش والنظامْ
واحدة السخطِ والأنينْ
واحدة الحقدِ والخصامْ!

* * *

وواحد ذلك الطلاء
يسترُ خزياً من الطباعْ
أفنى البلى أوجهَ الرياءْ
ولم يذُبْ ذلك القناع!

* * *

بعينها كذبةُ الدموعْ
بعينها ضحكةُ الخداعْ
ومُنحَنى هاته الضلوعْ
على صوادٍ بها جياعْ!

(٣)

كأن صدر الظلام ضاقْ
من كَثرةِ البثِّ كل حينْ!
يا ويحه كيف قد أطاقْ
شكوى البرايا على السنينْ؟!

* * *

كـأنــمـا يـنـفـثُ الـشـهـبْ
تـخـفـيـفَ كـرب يـئـنَ مـنـهُ
كـالـقلب إن ضـاق واكـتـأبْ
تـخـفـف الـذكـريـات عـنـهُ

* * *

كـم زفـرة في الـضلوع قـرّتْ
يـحـوطـهـا هـيـكـلٌ مـريضْ
مـبـيـدة حـيثـمـا اسـتـقـرت
فـان نـبُـحْ سمِّـيـت قـريضْ!

* * *

كم في الـدجى آهـةٌ تـطول
تـسـري الـى أذنـه وشـعـرْ!
لـو يفهم النجمُ مـا نـقـول!
أو يـفـهـم الـلـيـلُ مـا نُـسـرْ!

* * *

مـا بـالـهـا أعـيـن الـفـلك
مـنـتـشـرات عـلى الـفـضـاءْ
تـطل مـن قـاتـمِ الـحـلك
بـغـيـر فـهـمٍ ولا ذكـاءْ!

* * *

ألا وفـيٌّ ألاَ مـعـيـنْ
في مـدلـهـمٍ بـلا صـبـاحْ؟!
وكـلّمـا جَـدَّ لـي أنـيـنْ
تـسـخـر بـي أنَّـةُ الـريـاحْ!

* * *

هبنـا شكـونـا بـلا انقـطاعْ
مـا حظ شـاكٍ بـلا سـمـيـعْ

وحظ شعرٍ إذا أطاعْ
يا ليته عاش لا يطيع

* * *

يضيعُ في لجةِ الزمنْ
مبدداً في الورى صداهْ
ولن ترى في الوجودِ مَنْ
يدري عذاب الذي تلاهْ!

(٤)

يا أيها النهر بي حسدْ
لكل جارٍ عليك رفّ
أكُلُّ راجٍ كما يودّ
يروي ظماه ويرتشفْ

* * *

ومن حبيب إلى حبيب
ترنو حناناً وتبتسمْ
وكل غادٍ له نصيبْ
من مائِك البارِدِ الشبمْ

* * *

يا نهرُ روّيتَ كل ظامي
فراح ريّان إن يذُقْ
فكن رحيماً على أوامي
فلي فمٌ بات يحترقْ

* * *

يا نهر لي جذوة بجنبي
هادئة الجمرِ بالنهارْ

فـإن دنـا الليـلُ بـرَّحَتْ بي
وسـاكـن الـليـل كـم أثـارْ

* * *

وقـفـت حـرّان فـي إزائـكْ
فـهـل تـرى منـك مـسـعـدُ؟
وددتُ ألـقـي بـهـا لـمـائِـكْ
لـعـلهـا فـيـك تـبـردُ

* * *

عـالـج لـظاهـا فـإن سكنْ
فـرحـمـةٌ مـنـك لا تـحـدْ
وإن عـصـت نـارُهـا فـكـنْ
قـبـراً لـهـا آخـر الأبـدْ!

* * *

تـريـنـي الـهـاجـر الـشـتـيتْ
وقـربـه لـيـس لـي بـبـالْ
وكـلّـمـا خلـتـنـي نـسـيـتْ
مَـرَّ أمـامـي لـه خـيـالْ

* * *

تـمـر ذكـرى وراء ذكـرى
وكـل ذكـرى لـهـا دمـوعْ
وتـعـبـر الـمشـجـيـاتُ تـتـرى
من كـل مـاضٍ بـلا رجـوعْ

* * *

مـاضٍ وكـم فيـه من عـثـارْ
ومـن عـذابٍ قـد انـقـضـى
كـم قلت لا يـرفـع الـسـتـارْ
ولا ادكـارٌ لـمـا مـضـى!

* * *

يـا من أرى الآن نصب عيني
خـيـالَـه عـطّر الـنـسـمْ
بـالله مـا تـبـتـغـيـه مـنـي
ولـم تـدع لـي سـوى الألَـمْ

* * *

فـي ذمـة الله مـا أضـعـتـمْ
مـن مهـجٍ أصـبـحـت هـبـاءْ
لم نجـزكم بـالـذي صنعتمْ
إنّـا غـفـرنـا لـمـن أسـاءْ

* * *

لا تـحـسـبـوا الـبـرءَ قـد أَلَـمّ
فـلم يـزل جـرحنـا جـديـدا
يـخـدعـنـا أنّـه الـتـأمْ
ولم يـزل يخبىءُ الـصـديـدا!

* * *

يـا أيهـا الليـل جئتُ أبكـي
وجئـتُ أسـلو وجئـت أنـسـى
طـال عـذابـي! وطـال شكـي
ومـات قـلبـي، ومـا تـأسّى!

* * *

الجمال الضنين

قلْ للبخيل إذا ما عزَّ مشرعهُ:
يا مانع الماء عني كيف تمنعهُ
غرَّ حسنك أن الخلدَ جدولُه
وأنّه من غريبِ السحرِ منبعهُ؟
يا أيها الكوكب المحبوس في فلكٍ
مبددٌ مجده فيه مضيّعُه!
هيهاتَ يخلد حسنٌ لا يؤلهه
شعرٌ من النسق الأعلى ويرفعُه!
أنا شهيدك، والقلب الضحوك إذا
أدميتَه، والمغنّي إذ تقطّعُه
هل منك يوم رضىً ضنَّ الزمانُ به
أعيا خيالي وأضناني توقّعُه؟!
كم بتُّ منتبهاً أصغي لخطوته
أراه في الوهم أحياناً وأسمعهُ!
وأنت في أُفق الأوهام طيف صبا
سما ودقَّ على الأفهام موضعهُ
كأنك النسمُ النشوانُ منطلقا
أظل كالنفس الحيرانِ أتبعهُ
تعالَ وادنُ بيوم لا نحسُّ به
أجسادَنا. في صفاء، لا نضيعهُ!
لكن أحسك تجري في صميم دمي
أنت الحياةُ، وأنت الكونُ أجمعُهُ!

ليالي الأرق

(زيارة من حبيب يسأل: لماذا نتلقى هذه اللحظات الهاربة ما دمنا نفترق بعد ذلك).

هل في العصيب المدلهمْ مصغٍ لشاكٍ لم ينمْ
سهدٌ على سهدٍ وذكـ ـرى فوق ذكرى تزدحمْ
وحنين قلب لا يثو ب إلى خيالٍ لا يلمْ
يا من أحب وافتدي ويلذُّ لي فيه الألمْ
لو كنتَ تسمع لاسترحـ ـت من الشكايةِ للظلمْ
ان الكواكبَ ضقنَ بي ذرعاً وآسيها سئِمْ
ومن العجائبِ في الليـ ـالي والحوادث تستجمْ
شكوى الحيارى في الحيا ة إلى حيارى في السدْمْ!

* * *

لمنْ انتظاري في الظلا م كأنَّ بي شبه اللممْ؟
وتساؤلي في حالكٍ لا صوت فيه ولا قدمْ؟
وعلام اصغائي لعـ ـلَّ خطاكِ هذي عن أَممْ؟
ليلي العشية مثل ليـ ـلي في غرامكِ من قِدَمْ
يا طالما أدنتكِ أو هامٌ كواذبُ كالحُلمْ
فلمحت صبحكِ في السوا دِ وخلتُ روحكِ في النسمْ
وشفيتُ وهمي من رضا كِ وربَّ ذي يأسٍ وَهَمْ
ورويتُ أذني من حديـ ـثكِ وهو معبود النغمْ
وحرقت قلبي من سنا كِ على جمالٍ يضطرمْ
كفراشةٍ حامت عليـ ـكِ وأيّ قلبٍ لم يحُمْ!

* * *

لك حسنُ نوّار الخميـ ـلةِ طُلَّ صبحاً فابتسمْ
لك نضرةُ الفجر الجميـ ـل على الذوائب والقممْ
لك طلعةُ البرءِ المرجَّـ ـى بعد مستعصى السقمْ

لك كل ما أوفى على | قـدر النهـايــة واستتمْ
فــبــأي قـلبٍ أتـــقـي | وبـــأي حصنٍ أعتصمْ؟

* * *

يـا زائـراً عجــلانَ لَمْ | يـطلِ اللقـاءُ ولَمْ يقمْ
ودّعتَ مـا أشبعتَ لي | روحي ولا نظري النهمْ
ومضيتَ عن دنيا خلَتْ | وجـرت بنعمى لَم تَتِمْ
لم يبقَ من أثــر اللقـا | ء بهـا سـوى عبقٍ ينمْ
وسؤالِ دمعك حين يسـ | ـألني ومَن لي بـالكلمْ
لِمَ يـا أليفَ خواطـري | غفت العيون ونحن لَمْ؟!

* * *

وإلامَ تــدفعنـا الحــوا | دث في عُبـابٍ يلتـطِمْ
دَفَعتْ بمـركبنـا المقــا | ديــرُ الخفيــةُ والقِـسمْ
خَرَجَتْ وما تدري الغَدا | ةَ بـأي صخرٍ تـرتَـطِمْ
بدَأتْ عَلَى ريح الرضا | والله يــدري المختتمْ!

صخرة الملتقى

(صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى عندها
ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا).

سألتكِ يا صخرةَ الملتقى
متى يجمع الدهرُ ما فرَّقا!
فيا صخرةً جمعت مهجتين
أفاءا إلى حسنها المنتقى!
إذا الدهرُ لَجَّ بأقداره
أجَدَّا على ظهرها الموثقا
قرأنا عَلَيْكِ كتاب الحياةِ
وفضَّ الهوى سرها المغلقا
نرى الشمس ذائبةً في العباب
وننتظر البدرَ في المرتقى
إذا نشر الغربُ أثوابَه
وأطلق في النفس ما أطلقا
نقول هل الشمس قد خضبته
وحلَّت به دمها المهرقا
أم الغرب كالقلب دامي الجراح
له طلبةٌ عزَّ أن تلحقا
فيا صورة في نواحي السحاب
رأينا بها همَّنا المغرِقا
لنا الله مِنْ صورَةٍ في الضمير
يَرَاهَا الفتى كلما أطْرقا!
يرى صورةَ الجُرْحِ طيَّ الفؤا
دِ ما زال ملتهباً محرقاً
ويأبى الوَفَاء عَليه اندمالاً
ويأبَى التَّذكُّر أن يشفقا!

* * *

ويـا صَخْرَةَ العهـد أبتُّ إليـكِ
وقـد مُزِّق الشَّمـل مـا مـزقـا
أريـك مشيـبَ الـفـؤادِ الـشـهيـ
ـدِ والشيـبُ مـا كلَّل المفـرِقـا
شكـا أسـره في حبـال الهـوى
وود عـلى الله أن يُـعـتـقـا
فلمَّـا قضى الحظ فـك الأسيـ
ـرِ حـنَّ إلـى أسـره مـطلقـا

الشك

(قد يظفر المرء بقرب حبيبه، ولكنه
يشك في هذا النعيم الذي لقيه، فيبكي
في النعمة كما يبكي في الشقاء).

بي ما تحسّ وفي فؤادِك ما بي
فتَعال نبكِ أيا نجيَّ شبابي
تجري الدموعُ وأنتَ دَانٍ واصلٌ
كمسيلهنَّ وأنْتَ في الغيَّابِ
أنكرت بي ناري عشية لاَمَسَتْ
شفتاي مِنْكَ أناملَ العنابِ
وجرت يمين في غَزيرٍ حالكٍ
مسترسلٍ كالجدولِ المنسابِ
وسألتَ ما صمتي وما اطراقتي
وعَلاَم ظلَّت حيرة المرتابِ
أقبِلْ أذقني ما اليقين وهاته
خلواً من الآلام والأوصابِ
أقبِلْ لأقسمَ في حياتي مرةً
ان الذي أُسقاه ليس بصابِ
لهفي على هذا اليقينِ! وطعمُه
بفمي وتكذيبي شهيَّ شرابي!

* * *

مَنْ أنتَ؟! من أيِّ العوالم ساحرٌ
مستأثرٌ بأعنة الألبابِ؟
حدَّثتُ نفسي إذ رأيْتكَ بادياً
وأطَلْتُ تسآلي بغير جوابِ
ما يصنع الملكُ الطهورُ بعالَمٍ
فانٍ وأيَّامٍ كلمع سرابِ؟

ما يصنع الأبرارُ بالأرض التي
ساوت من الأبرار والأوشابِ؟
دوَّارةً أبدَ السنين كعهدِها
من ليل آثامٍ لصبح متابِ
تغلو الحياة بها الى أن تنتهي
عند التراب رخيصةً كترابِ!
يا هيكل الحسنِ المبارَك ركنه
الساحر النور الطهور رحابِ
لا صدقَ إلاَّ في لهيبك وحده
وجلالُه الباقي على الأحقابِ
قدمتُ قرباني إليك بقية
من مهجةٍ ضاعت على الأحبابِ
وَأذبْتُ جوهَرَهَا فدَاءَ نَواظِر
قُدْسِيَّةٍ، عُلويّةِ المحرابِ!

خواطر الغروب

قلتُ للبحر إذ وقفتُ مساءَ
كم أطلتَ الوقوفَ والاصغاءَ
وجعلتَ النسيمَ زاداً لروحي
وشربت الظلالَ والأضواءَ
لكأنّ الأضواءَ مختلفاتٍ
جَعَلَتْ منكَ رَوْضَةً غَنّاءَ
مَرَّ بي عطرُها فأسكَرَ نفسي
وَسَرَى في جوانحي كيف شاءَ
نشوةٌ لم تطل! صحا القلبُ منها
مثلَ ما كان أو أشدّ عناءَ
إنما يفهم الشبيهُ شبيهاً
أيها البحر، نحن لسنا سواءَ
أنت باقٍ ونحن حربُ الليالي
مَزَّقتْنا وصيرتْنَا هباءَ
أنت عاتٍ ونحن كالزبدِ الذا
هب يعلو حيناً ويمضي جُفاءَ!
وعجيبٌ اليك يممتُ وَجهي
إذ مللتُ الحياةَ والأحياءَ
أبتغي عندك التأسّي وما تمـ
ـلك رَدّاً ولا تجيب نداءَ!

* * *

كل يومٍ تساؤلٌ... ليت شعري
من ينبّي فيحسن الإنباءَ؟!
ما تقول الأمواجُ! ما آلَم الشمسَ
فولّت حزينةً صفراءَ

تـركـتنـا وخـلفـتْ لـيـلَ شـكٍّ
أبــديٍّ والـظلمـةَ الـخــرسـاءَ

* * *

وكـأنَّ الـقـضـاءَ يـسـخــر مـنـي
حين أبكي ومــا عــرفتُ البكـاءَ
ويــح دَمعي وويــح ذلـة نفسي
لَم تــدع لي أحـداثــهُ كبـريـاءَ!

* * *

مناجاة الهاجر

دع النفسَ تمـرحُ في خيالٍ وأوهـام
وخـلِّ لأجفـاني كـواذبَ أحـلامي!

وقـل يـا حبيب القلب انـك عـائـد
على جهـلِ حسـاد وغفـلة لـوّامِ

وإنـك دانٍ كـالـربـيـع وزائـرٌ
بضـاحـك نـوار ومخضـلّ أكمـامِ

تعال اسقني خمرَ المـواعيد والـرضا
وخـلّ الأماني البيض تغمـر أسقـامي

أيحـرم حتى وهم حبـك من رمى
بمهـجتـه فـي نـاره دون إحجـامِ

وأنـفـق فـيـه قـلبـه وشـبـابـه
فلم يَبْقَ إلاَّ الجرحِ والشفق الدامي!

ومن عجب أحنو على السهم غائـراً
ويسـألني قلبي متى يرجع الـرامي!

فيـا لهفـه لـو كنت أدري بمـوعـدٍ
وراء الليـالي أو رجـاء بـإلمـام!

ولـو كـان عنـدي غيـر زفـرة آسف
وحـسـرة أشـعـارٍ ودمـعـة أقـلامِ

ولو كنت أدري كيف يصفو مغاضبٌ
كأن رضاه في ذرى الكوكب السامي

كـأن ائتـلاق النجم والنجم مُشـرقٌ
ثنـايـاه تبـدو في عبـوسـة أيـامي

كـأنَّ نسيمَ الليـل يحمـل طيبـه
كَأنَّ اصطدام المـوج معبودُ أقـدام!

فيـا أملي النـائي إذا كنتُ مـذنبـاً
فقـد تبتُ عن ذنبي إليـك بـآلامي!

حببتك، لا أدري الهوى ما وراءه
وما بعد سقمي فيك عاماً على عامِ
جمالُك نبراسي وروحُك كعبتي
وعيناك وحيي في الحياة وإلهامي!

الصورة

يا رسمَ من أعطى الهوى مفتــاحَ قلبي المقفـلِ
في حبــه فنيَ الصبــا وشبــاب أيــامي بـلي
يا ويح مـا ضيعت فيـ ـه من قليــل مخجـلِ
مـاضيٍّ ضاع ولـو قدر ت لجدت بالمستقبـلِ
يـا رسم! كم من ليلةٍ أبكي وأستبكيــك لي
حتى رجعتُ مخــادَعــاً ومضيتُ جــدَّ مضـلَّلِ
أرنُــو لـدمعي بــاديــاً في وجهـك المتـهللِ
فـأخـال عينـك هـزّهـا شَكوى الغريب المهمَلِ
فبَكَتْ وتلك دمـوعهـا! هَذي تَسيل وذِي تَلي!

رجوع الغريب

عـادتْ لـطائـرهـا الـذي غَنّاهَـا
وشَـــدَا فهـاج حَنينَهــا وشَجـاهَــا
أيُّ الحــظوظ أعــادهــا لـوَفيِّهــا
ونجيٍّ وحــدتهــا وإلفِ صبــاهَــا
مشبــوبــة التحنــان تكتم نــارَهــا
عبثــاً وتــأبَـى أن يبـين لـظاهَــا
يــا إلفيَ المعبـود! سِــرّك ذائــع
نــار الحنين دفـينهــا أفشــاهَــا

❊ ❊ ❊

مــاذا لقينــا من لـقــاءٍ خــاطفٍ
وعشيــة كالبـرق حـان ضحـاهَـا؟!
يـا ويح هـاتيك الثواني لَـم تقف
حتّى نسيــغ هـنــاءةً ذقنــاهَــا!
حتى يـمتــع بــاليقين مكــذب
عينيــه في رؤيـا يضــلُّ سنـاهَــا
تمضي لها الأبصارُ مُشعلة الهـوى
وتحـول عنهـا مـا تَـطيق لقــاهَـا!

❊ ❊ ❊

تخبو العواطفُ في الصدور وتنتَهي
ويَجف في زهـرِ القلوبِ نـداهَـا!
وأنـــا أحسُّ اليـومَ بــدءَ عــلاقــةٍ
وعنيف ثــورتهـا وحــزّ مــدَاهَــا!

❊ ❊ ❊

لم تُرو منكِ نـواظري وخـواطري
ورجعت أزكى مهجــةً وشفـاهَــا!

مدَّ الخريفُ على الـرياض رواقَـهُ
ومضى الـربيعُ الـطلقُ ما يغشـاها
مـا بالـرياض؟! كـآبةٌ في أرضِهـا
وسحــابـةٌ تغشى أديمَ سمــاهَــا!
جمـدت حمائمُ أيكِهـا وأنا الـذي
شــاكيتُهـا فــاغـرورقت عينــاهَـا!

* * *

كيف السبيـلُ إلى شفـاء صبــابـة
الـدهر أجمـع ما يبـلُّ صـداهَـا!!
وإلـى نســائـم جنــة سـحــريــة
قــرّحتُ أجفـاني على مغنــاهَــا!
قـضيـتُ أيــامي أضـمُّ خيــالَـهــا
وأضعت أيــامي أقـول عســاهَــا!

قميص النوم

(كان الشاعر مريضاً فارتدى قميص النوم فشفى).

يا ليلةً سنحت في العمر وانصرمَتْ
هَـلَّا رجعتِ؟ وهـلَّا عــادَ أحبـابي؟
(يا ليت شهدَك إذْ لم يَبْق لي أبداً
لَمْ يُبقِ في القَلب تذكاراً من الصابِ)
لَم أَنسَ مُهــديَتي جلبــابَهــا وعـلى
جسمي من السقمِ منهـا أيُّ جلبابِ
قميصُ يــوسفَ ردَّ العيـنَ مبصــرةً
ففـاز بـالنـور ذاك المـطرقُ الكــابي
وأنتَ لــو أنّ روحـاً أزمعت سفــراً
أعــدتَهـا وخَيــالُ المـوت بــالبــابِ
فَـذُدْ خيالَ المنـايا اليـومَ عن رجُـلٍ
أنـشبـنَ في روحِــه أشبــاهَ أنيــابِ
وإن عجزتَ فكنْ في الموت لي كفناً
أمـتْ وألقـى إلـهي غيــرَ هيَّــابِ

الغد

يـا حنـانـاً كيـدِ الآسِيْ الـرؤُوم
وشُعـاعـاً يُشتهَى بعـد الغُيـومِ
أنـا في بُعْـدِكَ مـفقـودُ الـهُـدَى
ضـائـعٌ أعْشُـو إلى نـورٍ كـريـمِ
أشتـري الأحلامَ في سُوق المُنى
وأبيـعُ العُمْرَ في سُـوق الهُمـومِ !
لا تقُـلْ لي في غـدٍ مـوعـدُنـا
فـالغـدُ المـوعُـودُ نـاءٍ كـالنجـومِ !

* * *

أغـداً قـلتَ؟ فعـلِّمْني اصـطبـارَا
ليتـني أختـصـرُ الـعُمْـرَ اختِصـارَا
عَـبَـرَتْ بي نَـشـوةٌ مِـن فَـرَحٍ
فَـرَقَـصْنَـا أنـا والـقـلبُ سُكَـارَى
وعَـرَانـا طَـائِـفٌ مِـنْ خَـبَـلٍ
فـانـدَفَعْنـا في الأمـاني نتبـارَى
سنَـذمُّ الـنـورَ حـتى يَـتَـلاشى
ونَـذمُّ الـليـلَ حـتـى يـتـوارَى!

* * *

انفـردنـا أنـا والقـلبُ عشيـا
ننسـج الآمـالَ والنَّجْـوى سويًّـا
فـركبنـا الـوهـمَ نبغي دارَهـا
وطـوينـا الـدهـرَ والعـالَم طَيَّـا
فـبـلغـنـاهـا وهـلَّلْنـا لـهـا
ونـزَلنـا الخُـلْدَ فَيْنَـانـاً نَـدِيًّـا
ولقينـا الحسنَ غَـضّـاً والصِّبَـا
وتـمـلَّيْـنَـا الـجـلالَ الأبـدِيَّـا

* * *

قـال لي القلبُ: أحقّاً مـا بلغنـا؟
كيف نـام القَـدَرُ السَّـاهـرُ عنَّـا؟
أتـراهـا خـدعـةً حـاقت بنـا؟!
أتـراهـا ظِـنـةً مـمـا ظَـنَـنَّـا؟
قلتُ: لا تجـزع فكم مّن منـزلٍ
عـزَّ حتى صـار فـوق الـمتَـمنى
أذِنَ اللّهُ به بعد النوى
فثوينا واسترحنا وأمِنّا!

* * *

يـا جِنانَ الخُلْدِ قَـدَّمْتُ اعتـذاري
إذ يَـطوف الخلدَ سقمـي ودَمـاري
أيـهـا الآمـرُ فـي مُـلكِ الـهـوى!
اعـف عـن لـهـفـةِ روحـي وأواري
أشـتـهـي ضَـمَّـكَ حـتـى أشـتـفـي
فـكـأنـي ظـامـىءُ آخـذ ثـاري!
غـيـر أني كـلّمـا امتـدت يـدي
لعنـاقٍ خِفتُ أن تـؤذيـكَ نـاري!

* * *

أيهـا النورُ سَـلامـاً وخشـوعـاً
أيهـا المعْبَـدُ صَمْتـاً ورُكُـوعَـا
مـلكـت قـلبي ولُـبي رهـبـةٌ
عصفت بـالقلب واللُّبِّ جـميـعَـا
رُبَّ قـول كـنـتُ قـد أعـددتُـه
لـكَ إذ ألقـاك يـأبى أن يـطيعَـا
وحـبيسٍ مـن عتـابٍ فـي فـمـي
قـد عصـاني فتفجَّـرتُ دمـوعَـا!

* * *

لــذعــتــنــي دمــعــة تــلفــح خــدي
نبهتني من ضــلالٍ لـيس يُجْـدِي
واختفتْ تلك الــرُّؤَى عن نــاظــري
وطــواهــا الغيبُ في سِحْــريِّ بُــرْدِ
وتَــلَفَّــتُّ فــلا أنــت ولا
جنــةُ الخــلد ولا أطيــافُ سَعْـدِ
وإذا بــي غــارقٌ فــي مــحنَــتــي
وبــلائــي، أقــطعُ الأيــامَ وَحْـدِي

* * *

هــاتِ قيثاري ودَعْني للخيــالِ
واسقني الــوهْمَ! وعَلِّلْ بــالمحــالِ!
ودَع الــصــدق لــمــن يــنــشــده
الحجى خصميَ فــاغمرْ بــالضــلالِ
وخُــذ الأنــوار عــنّــي، ربــمــا
أجدَ الــرحمــةَ في جــوفِ الليــالي
خلِّني بــالــشــوق أستــدني غــداً
فــغــداً عــنــدي كــآبــادٍ طــوالِ!

رثاء شوقي

(ألقيت على قبر فقيد الشعر)

قــلْ للذين بكَــوْا على (شــوقي)
النــادبيــن مـصــارعَ الــشُّــهــبِ
وا لــهــفَـتــاه لــمـصــر والشَّــرْق
ولــدولــة الأشــعــار والأدبِ!

* * *

دنيــا تَـفــرُّ اليــومَ فيْ لـحــدٍ
وصحيفــةٌ طُــويتْ من المـجــدِ
ومُســافــرٌ مــاضٍ إلى الـخـلد
سَـبَـقـتــهُ آلاءٌ بــلا عَــدِّ

* * *

هــذا ثَـرى مصْــرَ الكــريمُ، وكمْ
أكــرمـتَــهُ وأشــدْتَ بــالــذكــرِ
يلقــاك في عــطفِ الحبيب فنمْ
في النــور لا في ظُلمــةِ القبْــرِ!

* * *

كــم مـن دفيـنٍ رحتَ تـحـييــهِ
وبَـعـثْـتَــهُ وكَـفـفْـتَ غُــرْبَـتَــهُ
فــاحــللْ عـليــهِ مُـكــرّمــاً فـيــهِ
يــا طــالـمــا قَــدَّست تُــربتَــهُ

* * *

يــا نــازلَ الصحــراء مــوحـشــةً
ريَّــانــةً بــالــصـمــت والـعــدمِ
ســالتْ بهــا العبــراتُ مجهشــةً
وجَـرت بهــا الأحــزانُ من قـدمِ!

* * *

هـذا طـريـق قـد ألـفـنـاهُ
نـمـشـي وراءَ مُـشَـيَّـعٍ غـالِ
كـم من حـبـيـبٍ قـد بـكَـيْـنَـاهُ
لـم يُـمْـحَ مـن خَـلدٍ ولا بـالِ

* * *

وكـأنَّ يـومَـك فـي فـجـيـعـتِـهِ
هـو أولُ الأيـامِ فـي الـشَّـجـنِ
وكـأنَّـمـا الـبـاكـي بـدمـعـتِـهِ
مـا ذاق قبلك لـوعـةَ الحَـزنِ!

* * *

فـاذهبْ كمـا ذهب النهـارُ مضى
قـد شـيَّعَـتْـه مـدامـعُ الشـفـقِ
واغـربْ كما غـرب الشعاعُ قضى
رفَّـت عـلـيـه جـوانـحُ الـغـسـقِ

* * *

مـا كـنـتَ إلَّا أمـةً ذهَـبـتْ
والـعـبـقـريَّـةُ أمَّـةُ الأُمَـم
أو شُـعـلةً أبـصـارَنـا خـلـبـتْ
ومـنـارةً نُـصـبَـتْ عـلى عَـلَمِ

* * *

يـا راقـداً قـد بـات في مَـثـوىً
بَعُـدَتْ بـه الـدُّنْـيـا ومـا بَعُـدَا
أيْن النجـوم أصـوغ مـا أهْـوى
شعـراً كشعْـرك خـالـداً أبـدَا؟!

* * *

لـكـنَّ حـزنـي لـو عـلمْـت بـه
لـم يُبْـقِ لي صـبْـراً ولا جُـهْـدَا
فـاعـذر إلـى يـوم نفـيـك بـه
حقَّ النبـوغِ ونـذكـرُ المجْـدَا

هبة السماء

(أُلقيت في حفلة تأبين المرحوم أحمد شوقي بك بمسرح حديقة الأزبكية).

راحوا بأرواحٍ ظماءْ   يتهافتون على الفناءْ
جفَّت حلوقٌ بعدهم   لم تلقَ دونهمُ رَواءْ
واماً لكأسٍ كالخُلو   د ومنهلٍ فيه الشفاءْ
كنّا إذا ضجَّ الفؤا   دُ وضاق بالدنيا وناءْ
نمضي إليه فنستقي   ونَعُبُّ منه كما نشاءْ
فاليومَ إذْ شطَّ المزا   رُ بكم وقد عزَّ اللقاءْ
وبخلْتُمُ بُخْلَ الضَّنينِ   فحسْبُنا قَطَراتُ ماءْ!

* * *

أَين الأمين على الإما   رة والحريصُ على اللواءْ؟!
قبسُ أضاء العالمي   ن كما تُضيءُ لهم ذُكاءْ
ثم اختفى خلف الغيو   ب مخلِّفاً ظُلَمَ المساءْ
فكأنما هبة السّما   ءِ قد استردَّتها السَّماءْ!

* * *

جزع الرياضُ لطائرٍ   غنَّى فأبدعَ في الغناءْ
حتى إذا خلب العقو   لَ وقيل: سِحرٌ لا مراءْ!
ولَّى عن الأيك الفخو   ر به إلى عرضِ الفضاءْ
فكأنَّه والسُّحْب تط   ويه فيمعن في الخفاءْ
دنيا من الأمل الجمي   ل قد استبدَّ بها العَفاءْ!
ووراءها شفقٌ من الذ   كرى كجرحٍ ذي دِماءْ!
وتُسائل الدُّنْيا التي   ناطت به كلَّ الرَّجاءْ
عن أي سرٍّ طار عنْ   هذي الرُّبى وعلام جاءْ؟!
قُم يا فقيدَ الشعر وانْ   ظُرْ أيّ حفلٍ للرثاءْ!
أمَمٌ يُصبِّرُ بعضُها   بعضاً، وهيهات العزاءْ!

هـذي الجمـوعُ البـاكيـا ... تُ الساخطاتُ على القضاءْ
قـاسمتـهـا أشجـانـهـا ... ووفيت مـا شـاءَ الـوفـاءْ
أوَ لَمْ تجـدكَ لسانهـا الـ ... ـشاكي إذا احتدم البلاءْ؟
أوَ لَمْ تكـن غِـرّيـدَهـا ... ونـديمهـا عنـد الصفـاءْ؟
لِمَ لا تـوفّيـك الجميـ ... ـلَ وتَسْتَقِلُّ لك الفداءْ؟!

* * *

ومُـنَعَّـمٍ بيـن القـصـورِ ... قـد اسْتَتَـمَّ لـه الثـراءْ
مـا بـالُـهُ حمـلَ الهمـو ... مَ وجشَّم القلبَ العنـاءْ!
وينـوءُ بـالعـبءِ الـذي ... هـو عن أذاه في غَنـاءْ!
ويـحَ الـذكـاءِ ومـا يكلِّـ ... ـفُهُ من الثَّمَنِ الـذَّكـاءْ!
أضنى قــواه ولـم يـدعْ ... مـن جسـمـه إلاَّ ذمـاءْ
والمجـد يوغـل في حنـا ... يـا، روحه والمجـدُ داءْ!

* * *

صرحٌ من الأدبِ الصميـ ... ـمِ له على الدنيا البقاءْ
الـدَّهـرُ يـحمـي ركنَـه ... والـفنُّ فـي روح البنـاءْ

* * *

(شوقي)! على رغم التفرّ ... دِ والـتـفـوقِ والـعـلاءْ
ذاك الـرقـادُ بـسـاحـةٍ ... كـل الـرجـالَ بهـا سـواءْ
وبــرغـم ذهن كـالـفـرا ... شة حول مصباحٍ أضاءْ
مثـواك لا تشكـو السكـو ... نَ ولا تمـل من الثـواءْ

* * *

هجاء أعمى بغيض. زوج حسناء

يـا جمـال الصِّبـا وأنس النفـوسِ
خبِّرينـا عن زوجـكِ المنحـوسِ!
حَـدِّثي أنت عن عمـاه «الحيسي»
وصفي لي الغـرام (بـالتجسيسِ)!

* * *

حـدثينـا عن اللهيب المفـدَّى
وجـمـالٍ يُصَـيِّـرُ الحُـرَّ عَـبْـدا
وجنـونِ الأعمى إذا مـا استجـدى
وهـو يعشـو لنـارِهِ كـالمجـوسِ!

* * *

يا جمالاً في الترب يُلقَى ويُرمَى
يا لَظلمِ الحـظوظِ والحظُّ أعمى!
وبـلائـي أنـي أسـمـيـه ظـلـمـاً
وهـو لفظٌ ما جاءَ في القامـوس!

* * *

آه مـن قسـوةِ الـطبيعـة شقتْ
ظـلمـةً في مـكـان نـورٍ ورقـتْ
دونَ قـصـدٍ لعـينـه فـاستَبْـقَـتْ
كـوةً في فضـائهـا المـطمـوسِ!

* * *

كـوّةً تـنفـذ الـحفيـظةُ عـنـهـا
ويُـطلُّ الـدهـاءُ والخبثُ منهـا!
طـالعتنـا في طلعـةٍ لم تـزنهـا
«كـالفتيل» الحقيـرِ في (الفانـوس)

كـــذلـيـــل الأبـــقـــار إذ ربـــطوه
وتـــراهــم بـخــرقــةٍ عَــصَّـبــوه
فـــاذا مـــا عصـــاهمـــو ضـــربـــوه
وتمشَّـى على غـنــاءِ «الالـــوس»!

* * *

وتـــراه تـــقـــولُ يـقــطر بـــغـضـــا
حـــيـــوانٌ يـــريـــد أن يَـنـــقَـــضَّـــا
حسبـك الله! عشت تنـظر أرضـــا
فابق فيها! حُرِمْتَ نورَ الشمـوس!

الانتظار

(وقف الشاعر ينتظر تحت العاصفة
والظلام والبرد).

لعينيكَ احتملنا ما احتملنا
وبالرحمان والذلِّ ارتضينا
وهان إذا عطفتَ ولو خيالاً
وأين خيالك المعبود أينا؟!

* * *

تعالَ! فلم يعد في الحَي سارٍ
وهوَّمت المنازلُ بعد وهنِ
وران على نوافذها ظلامٌ
وقد كانت تطلُّ كألف عينِ

* * *

تعالَ! فقد رأيتُ الكون يحنو
عليّ ويدرك الكرب الملمَّا
ويجلو لي النجومَ فأزدريها
وأغمض لا أريد سواك نجما!

* * *

ومنتظرٌ بأبصاري وسمعي
كما انتظرتكَ أيامي جميعا
وهل كان الهوى إلّا انتظاراً
شتائي فيك ينتظر الربيعا!

* * *

أرى الآباد تغمرني كبحرٍ
سحيقِ الغورِ مجهولِ القرار

ويأتمر الظلام عليَّ حتى
كأني هابط أعماق غارِ

* * *

وتصطخبُ العواطف ساخرات
وتطعنُني بأطرافِ الحرابِ
وتشفقُ بعدما تقسو فتمضي
لتقرع كل نافذةٍ وبابِ

* * *

فصحت بها إلى أن جف حلقي
فحين سكتُّ كلمني إبائي
وأشعرني العذابُ بعمق جرحي
وأعمق منه جرح الكبرياءِ

* * *

ولمّا لَمْ تفزْ بلقاك عيني
لمحتك آتياً بضمير قلبي
فأسمعُ وقعَ أقدامٍ دوانٍ
وأنصتُ مصغياً لحفيفِ ثوبِ

* * *

وأخلقُ مثلما أهوى خيالاً
وأستدني الأمانيَ والحبيبا
وأُبدعُ مثلما أهوى حديثاً
لناءٍ صار من قلبي قريبا

* * *

أمدُّ يديَّ في لهف إليه
أشاكيه بمحتبس الدموع

فيسبقني إلى لقياه قلبي
وُثوباً ثم يبرُدُ في ضلوعي

* * *

فتصطخب العواطفُ ساخراتٍ
وتطعنُني بأطراف الحرابِ
وتشفق بعدما تقسو فتمضي
لتقرعَ كلَّ نافذةٍ وبابِ!

صلاة الحب

أحقّـاً كنت في قـربي ... لـعـلي واهــمٌ وهـمـا
تـكلّمْ سـيـدَ الـقـلبِ ... وقل لي : لَمْ يكن حُلما

* * *

دنــوتَ إليَّ مستمـعــا ... فبُحْتُ، وفرطَ ما بحْتُ
بعــادك والـذي صنعــا ... وهجـرُك والـذي ذقتُ

* * *

وحـبّي! ويـحـه حبّي ... تَبيعــك حيثمــا كـنتَ
تـكَلَّمْ سـيـدَ الـقـلبِ ... وقـل بـالله مــا أنتَ؟!

* * *

أرى في عمق خــاطرِكَ ... جــلالاً يشبـه البحــرا
وألمــحُ في نـواظــرِكَ ... صفـاء الرحمـة الكبرى

* * *

وأنــت رضىً وتـقبيــلُ ... وأنت ضنىً وحــرمـانُ
وفي عينيــك تـقتيــلُ ... وفي البسمـات غفـرانُ

* * *

وأنــت تَهَلُّلُ الـفـجـرِ ... وبـسمـتُــه على الأفقِ
وحـينــاً أنَّــةُ الـنـهـرِ ... وحزن الشمس في الغَسقِ

* * *

وأنت حــرارةُ الشمسِ ... وأنــت هـنــاءةُ الـظلِّ
وأنت تجــاربُ الأمسِ ... وأنت بـراءةُ الـطفــلِ

* * *

وأنت الحسنُ ممتـنعــاً ... تحـدّى حصنه النجمـا
وأنت الخيــرُ مجتمعـاً ... وعندك عرشـهُ الأسمى

* * *

وعنـدك كل مـا أظمـا ... وردّ الـقلبُ لـهـفــانــا
وعنـدك كـل مـا أدمى ... وزاد الجــرح إثخـانــا

* * *

وعندك كل ما أحيا | وشدَّد عزمه الواهي
حنانُكَ نضرة الدنيا | وقربُك نعمةُ اللَّهِ!

* * *

وفيم هواجس القلب | وفيم أطيلُ تسآلي
أحبك أقدسَ الحبِّ | وحبك كنزيَ الغالي

* * *

سناكَ صلاة أحلامي | وهذا الركنُ محرابي
بهِ ألقيت آلامي | وفيه طرحت أوصابي

* * *

هوىً كالسحر صيّرني | أرى بقريحة الشهب
وطهَّرني وبصَّرني | ومزَّق مغلقَ الحجبِ!

* * *

سموت كأنما أمضي | إلى ربٍّ يناديني
فلا قلبي من الأرض | ولا جسدي من الطين!

* * *

سموت ودق إحساسي | وجُزتُ عوالم البشر
نسيت صغائر الناسِ | غفرت إساءَة القدرِ!

* * *

مصافحة اللقاء

أهاب بنا فلبّينا | منادٍ ضمّ روحينا
كأنا إذ تصافحنا | تعانقنا بكفينا
كأن الحبَّ تيار | سرى ما بين جسمينا
يؤجج في نواظرنا | ويشعل في دماءينا!

مصافحة الوداع

يا أميري ! أزف البـ ـين وما زلت ضنينا
أصغ لي! وانظرْ ودع كـ ـفك في كفي حينا
آهِ من يمناك هذي والذي منها سقينا
عللتنا بالأماني فشربنا ظامئينا
ثم دارت بالمنايا فوردنا طائعينا
آه من قاسية ريـ ـانة ضعفاً ولينا
يا بناناً ساحراً قد حكَّم الأقدار فينا
شفتي موتورة ظمـ ـآنة جنت جنونا
وكأن الآن كفي حملت ثأراً دفينا
تتمناك حبيساً عندها العمرَ سجينا
طائراً ألفى على را حتها وكراً أمينا
وشعاعاً قدسياً هاديَ النور مبينا!

أُغنية في هيكل الحب

كم تجرّعنا هوانا ولقينا في هوانا
وبلونا نار حب لَم نذقْ فيها أمانا
وإذا حلَّ الهوى هيـ ـهات تدري كيف كانا
فإذا ما ملك الأنفـ ـس أصلاها عوانا
فهو نصلٌ مستقرٌّ ولهيب لا يدانى!
يا حبيبي هدأ الليـ ـل ولم يسهر سوانا
لا الدجى ضمَّد جرحيـ ـنا ولا الصبح شفانا
لا الهوى رقّ على الشا كي ولا قاسيه لانا
قد غدونا غرض الرا مي كما شاء رمانا
وافِني بالله نطرقْ هيكل الحب كلانا
ساعة نبكي على الكأ س ونشكو من سقانا!

دعاء الراعي

عن الألمانية- من أغاني هينه
(قصيدة رمزية)

يـا أيها الحمـلُ الـوديـعُ أنـا الـذي
يحنـو عليـك. أنـا الحبيبُ الـراعي
كم ليلة والـرعبُ يمشي في الدجى
والـهـولُ منـتشـرٌ عـلى الأصـقـاع
أغفيت في كنفي وفي ظـلِّ الكـرى
كـالـطفـلِ في أمنٍ مِنَ الأوجـاعِ
يا ربِّ! قد وهت العصـا واستأثرتْ
غـيـرُ الليـالـي بـالقـويِّ الـبـاعِ
يـا ربِّ إن تك قـد حكمتَ بفـرقـةٍ
وأذنـتَ لـلراعـي بـوشـك زمـاعِ
فـانـظر إلى الحمـلِ الـوديـع ووقِّـه
شـرَّ الـنفـوسِ وفـتنـةَ الأطـمـاعِ
نضِّـرْ لـه الـدنيـا ومـد ربيعَـهـا
وانـشـرهُ مؤتـلقـاً بـكـل شـعـاع
واجـعـلْ لـه الأيـامَ ظـلاًّ وارفـاً
وخـريـرَ أنهـارٍ وخصـبَ مـراعي!

التذكار

معرّبة عن «الفرد دي موسيه»

بي نـزوعٌ إلى الدمـوع الهـوامي
غيـر أنـي أخـافُ مـن آلامـي
أيهـذا المكـان! يـا غـالي التـرب!
ومثـوى عبـادتي واحتـرامي!
أنت مثوى الذكـرى ومـدفنُها الغـا
لي القصيُّ المجهـولُ في الأيـام

* * *

هـذه خلوتـي فـلا تـمـنـعـونـي
مـا الـذي تحـذرون يـا خـلاني
انـهـا عـادتي الـتي كـنـت أعـتـا
دُ وأهـوى فـي سـالـفِ الأزمـانِ
أخـذتني لـذِي الـرحـاب وقـادت
قـدمي في سبيـلِ هـذا المكـان!

* * *

أنـظروا هـذه السفـوحَ وهـذا النبـ
ـتَ إذ قـام مـزهـراً تـيّـاهـا!
لـكـأني مـا زلـتُ تسـمـع أذنـي
في صمـوتِ الرمـالِ وقع خطاهـا
وكـأن الـنـجـوى بـكـل مـمـرٍّ
طـوقتني في سـتـرهِ يـمـنـاهـا!

* * *

قـد تـراءى الصنوبـر النضـر إذ أيـ
ـنـع فـي قـاتـمٍ مـن الألـوانِ
وتـراءَى لـيَ المضيـقُ البعيـدُ الـ
ـغـور يمتـدُّ في رخيّ المجـانـي

مـوحـشـات لـكـنـمـا كـن آلا
في ومهـد الـهنـيء من أزمـانـي

* * *

أنـا مـا جئتُ هـا هنـا أذكـر الأشـ
ـجانَ في موطنٍ عـرفت فيه هنـائي
ذلـك الغـاب رائـع الحسن والصمـ
ـت مثـال الجـلال والـكـبـريـاءِ
وفؤادي عـاتٍ كـرائـعِ هـذا الـ
ـغـابِ مستكبـرٌ عـلى الْبـرحـاءِ!

* * *

من يشـأ أن يفيضَ يـومـاً بشكـوا
ه فـمـا هـذا مـوضـع الأحـزان
قـل لشـاكٍ هـلاَّ مضيت لتجشـو
عـنـد مثـوى ميت مـن الخـلان!
كـل شـيء حيٌّ هـنـا ونـبـاتُ الـ
ـقبرِ ينمـو في غيـرِ هـذا المكـان!

* * *

طـلع البـدرُ يـرتـقـي ذروةَ الأُفـ
ـقِ ويـجـتـازُ حـالـكَ الأسـدادِ
يـا أمـيـر الـظلام إنـك تـبـدو
حـائـرَ الـرأي، واضـحَ الـتـرداد
ثـم تمـضي مـجـاوزاً حجبَ اللـيـ
ـلِ وتـرمـي بـنـورك الـوقَّـادِ

* * *

كلّمـا شـارف الثـرى فـيض نـورٍ
مـرسـلٍ من جبينِـك الـوضّـاحِ
وإذا الأرض قـد تـضـوَّعَ مـنـهـا
عن ثـراهـا الـنـديِّ عـطرُ الصبـاحِ

استثارت عطرَ القديمِ من الحبِّ
دفين العبيرِ في الأرواح

* * *

أيهذا الوادي المحبب ما زر
تك حتى سألت عن أوصابي
أيْن راحت لواعجي أيْن آلا
مي اللواتي أهرمنَني في الشباب
عاودتني طفولتي فيك حتى
خلتُ أني ما اجتزتُ يومَ عذاب!

* * *

يا خفاف السنين! يا صولة الدهـ
ـر قويّاً مثل الجبابرِ عاتي
كل ماضي صبابَة قد أخذتن
فمن مدمعٍ ومن حسراتِ
ورحمتنَّ لي أزاهر ذكرى
علقتْ في ذبولها بالحياةِ

* * *

فسلام مني على الأيامِ
كيف آستْ في النازلاتِ الجسامِ
لم أكن أدرِي أن جرحاً بما كا
بدتُ منه من فاتك الآلامِ
معقبٌ لذةً لنفسي واحسا
سَ هناءٍ لديَّ بعد التئامِ

* * *

فليبْن عنيَ السخيّفُ من الرأ
يِ وتنأى سفاسفُ الأقوالِ
وهمومٌ كواذبٌ كفنت أثْـ
ـوابُها حُبَّ عاشقين ضآلِ

جـعـلوهـا مـظاهـراً لـهـواهـم
والهـوى الحـقُّ ليس منهـم ببـالِ

* * *

ايـه دانتي! أأنـت ذاك الـذي قـا
ل قـديماً عن ذكـريـاتِ الهنـاءِ:
انـهـا إن مـرَّت على ذاكـريـهـا
زمن الحـزن فهي أشقى الشقـاء!
أي بؤسي أملت عليـك مريـرَ الـ
ـقـولِ حقّـاً أسـأت للبـأسـاءِ!

* * *

أو إنْ أقبـل الـدجى بعـد ادبـا
ر نـهـارٍ صافي الضياءقضيتَهْ
تنكـرُ النورَ في الـوجـودِ فيغـدو
محضَّ وهـمٍ كـأنـه مـا رأيـتَـهْ
ذلـك القـول وهـو جـدّ عجيبْ
أيهـا الخـالـد الأسى كيف قلتَـهْ

* * *

قسمـاً بـالـطهـورِ من لهب الحب
مضيئـاً في القَلب شبـه المنـارِ
مـا عهِدْنـا في قلبك الـوافر الإيـ
ـمـانِ هـذا الضـلال في الأفكـارِ
لا أرى لـلهـنـاءِ والله صـدقـاً
مثـل صـدقِ الهنـاءِ بـالتـذكـارِ

* * *

أو إنْ أبـصـرَ الشـقـيُّ وميـضـاً
في رمـادِ الـهـوى فـقـام إليـهِ
بـاسـطاً نـحـوَه يـديـهِ بلهـفٍ
حـارصـاً أن يـمـرَّ من كـفَّيـهِ

وبـه مـن إشعـاعِـهِ أثـرُ السبـر
قِ إذا مـرّ خـاطـفـاً نـاظـريـه

* * *

أو إن غاصت روحهُ في عبابِ الذ
كـريـات التي طـوتـهـا السنيـنْ!
وعـلى مـرآةٍ مـجـرّحـةٍ مِـنـ
ـهـا جرى دمعُـه السخيُّ الهتون!
أو هـذا السـرور من ذِكـر المـا
ضي تسميـه بـالـعـذابِ المبين!

* * *

ان تـروى أدمعي فـلا تـزجـروني
ودعـوني اني أحـب الـدمـوعَـا
لا تـجـفـف ايـديكـمُ أدمعـاً تَـنْـ
ـفـعُ قلباً لمّـا يـزلْ مـوجـوعـا
أدمعي سـتـرٌ مسبـلٌ فـوق مـاضٍ
قـد تـولى مـا يستـطيـع رجـوعـا!

* * *

البحيرة

معربة عن لامارتين

من شاطىءٍ لشواطىءٍ جددِ
يرمي بنا ليلٌ من الأبدِ
ما مَرّ منه مضى فلم يعدِ
هيهات مرسى يومِه لغدِ!

* * *

سنةٌ مضت! وختامُها حانا
والدهرُ فرّق شملَنا أبدا
ناجِ البحيرةَ وحدك الآنا
واجلسْ بهذا الصخرِ منفردا!

* * *

قل للبحيرةِ تذكرين وقد
سكن المساءُ ونحن باللجِّ
لا صوت يسمع في الدنى لأحدْ
الا صدى المجدافِ والموجِ

* * *

فاذا بصوتٍ غير معتادِ
هزّ السكونَ هتافهُ العذبُ
أصغى العبابُ ورجَّع الوادي
أصداءَه وتناجتِ السحبُ

* * *

يا دهر في رفق ولا تدرِ
ساعاته في هينة وقفى
حتى تتاح هناءةُ العمر
وتطول لذتُها لمقتطفِ

* * *

هلا التفتَّ لذلك الكونِ
وعلمت كم في الناس من باكي
يدعوك خذني والأسى المضنيْ
خلِّ الممتِّعِ وامضِ بالشاكي

* * *

هذا النعيم وهاته المحنُ
يتنافسان الدهر اقلاعا
فبأي عدلٍ أيها الزمنُ
تتشابهُ الحالان إسراعا

* * *

يا أيها الأبد السحيق أجبْ
وتكلمي يا هوة الماضي
ما تصنعان بأشهرٍ وحقبْ
ونعيم عمرٍ غير معتاض

* * *

ناج البحيرةَ والصخورِ وعُدْ
فاستحلِف الأغوارَ والغابا
قل! صُنْ ذكر غرامنا فلقدْ
صين الشبابُ عليك أحقابا

* * *

ولتبق يا هذي البحيرة في
حاليك ثائرة وهادئةً
في باسق للماء منعطفٍ
في رائعاتِ الصخر ناتئةً

* * *

في عابر النسمتِ مرتجفَا
في النجم فضض صفحةَ الماءِ

فــي الــريــح أنّ أنيــنــه وهــفــا
في الغـصـن نـفَّسَ حــر أحـشــاءِ

* * *

فــي الجــو مــعــتــبــقــاً بــريّــاكِ
خــطرت مــلاعــبــة رقــيــق صــبــا
فــي كــل هــذا هــاتــفٌ بــاكــي
سيقــول يــا أســفــا لقــد ذهــبــا!

وداع المريض

(مهداة الى س. . .)

«مريضٌ عزيزٌ سهر الشاعر عند سريره يعنى به،»
«وكان وداعه في الصباح فكتب يودعه بالقصيدة التالية»

فيم الغدوّ غداً وأيْن رواحي
ويح الصباح! لقد مضى بصباحي
عصفتْ علينا غيرَ راحمةٍ لنا
يا صفوة الأحباب، أيّ رياحِ!
عبثت بمعبود العيونِ وصيَّرتْ
كالورس لوناً توأم التفاحِ
ذهبوا به كالوردِ جافاه الندىٰ
ومضوا به شبحاً من الأشباحِ
يا هاتفاً باسمي فديت منادياً
ردّ النداء عليه حرّ نواحي!
يا آسيَ الآسيْ لممت جراحتي
وأسلت يوم نواك أيَّ جراحِ!
طأطأتُ للبين المشتتِ هامتي
وخفضت للقدر المغيرِ جناحي!
أيّ الليالي العاتيات سهرتها
في أيّ آلام وأيُّ كفاح!
هدم الضنى العادي قويَّ شكيمتي
وثنى معاندتي وردَّ جماحي!
وطغى على الملك الموسد بيننا
في لطف زنبقةٍ وضعفِ أقاحِ!

* * *

كيف المآب إلى مكان موحشٍ
متجهمِ العرصاتِ قفر الساح!

في كــل نــاحيــةٍ خيــالٌ هــاتفٌ
ومــذكــرٌ بجبينِــك الــوضــاحِ !
ومــوســد كــالــطيف صــاحٍ ليله
أمسيت أرعــاه بجــفــنٍ صــاحِ !
عــاد الشقيُّ إلى قــديم شقــائــهِ
ومحى من الــدنيا السعــادةَ مــاحي
ويــح الحياة اليــوم أين جمــالهــا
وعــلامَ اخــفــاقي بــهــا ونجــاحي
أنــت الــذي وهب الــحيــاة لــميتٍ
في الأرضِ منفــردٍ بغيــر طمــاحِ
أشــرقت في ظلمــائهــا وغمــامهــا
وطــلعت مــثــل البــارقِ الــلمــاحِ !

* * *

فرحة جديدة

أدركت عندك يومي الموعودا
ولقيت فيك مثاليَ المنشودا
وا فرحتي بك فرحة الطفل الذي
يلهو ويخلق كل يوم عيدا
وا فرحتي بك فرحة الطير الذي
ملأ الروابي المصغيات نشيدا
طربتْ لصدحتِه وصفق ظافراً
جذلانَ في عرض الفضاءِ سعيدا
في موكبٍ من قلبِه وحبيبِهِ
من راح تحسبه العيون وحيدا
وا فرحتي بك فرحة الضال الذي
يطوي القفارَ اللافحاتِ شريدا:
لاحت له بعد الهواجر أيكةٌ
غنّاء تبسط ظلها الممدودا
ما أعجب الدنيا التي بعث الهوى
وأحالها روضاً أغر جديدا
شتى غرائبها وأعجبها فتى
يغدو لمهجته عليك حسودا
يتهالكان على جمالك صبوة
يتنافسان ضراعة وسجودا
يتنازعانك غيرة وتغضباً
كل يراك حبيبه المعبودا
ما أعجب الإيمان يغمر خاطري
كالفجر قد غمر السماء وئيدا
مزقتِ شكي فاسترحتُ لأعين
علمنني الإيمان والتوحيدا

استقبال القمر

أقبِلْ بموكبك الأغَرْ ... ما أظمأ الأبصارَ لكْ!
العين بعدك يا قمرْ ... عمياءُ! والدنيا حلَكْ!

* * *

تمضي وراءَ سحابةٍ ... تحنو عليك وتلثُمك
وأنا رهينُ كآبةٍ ... بخواطري أتوهَّمُكْ!

* * *

كن حيث شئتَ فما أنا ... إلَّا معنًّى بالمحال
أغدو لقدسك بالمنى ... وأزور عرشك بالخيال!

* * *

وأقول صبراً كلَّما ... عزَّ الفكاك على الأسيرْ
روحي وروحك ربما ... طابا عناقاً في الأثيرْ!

* * *

مهما تسامى موضعُكْ ... وعلا مكانُك في الوجودْ
فأنا خيالُك أتبعُكْ ... ظمآن أرشفُ ما تجودْ!

* * *

قمرَ الأماني يا قمر ... إني بهمٍّ مسقمِ
أنت الشفاءُ المدَّخرْ ... فاسكب ضياءك في دمي

* * *

أفرغ خلودَكَ في الشبابْ ... واخلعْ على قلبي الصفاءْ
أسفاً لعمرٍ كالحبابْ ... والكأسُ فائضة شقاءْ

* * *

خذني اليك ونجّني ... مما أعاني في الثرى
قدحي ترنَّق فاسقني ... قدح الشعاع مطهّرا!

* * *

واهـاً لأحـلامٍ طـوالْ وأنـا وأنـتَ بـمـعـزلٍ
نَعْلو على قممِ الجبـالْ ونـرى العوالم من عَـلِ

* * *

نفرتيتي الجديدة

(إلى ممثلة فنانة)

لِـمَـن هــاتـه الـفـتـنـةُ الـنـادرهْ!
ومـا هــاتـه الأعـينُ الـسـاحـرهْ؟
ومـا ذلـك الـمـرَحُ الـقـدسـيُّ؟
ومـا هـاتـه الضحكـةُ الـطاهـرهْ؟
تـطوف مـطاف الـحنـان الـعميـم
وتـسـقط كـالـنـعـمـة الـوافـرهْ
وتـمتـدُّ مـثـل امتـدادِ الـعبـاب
وتـرجـع كـالـمـوجـة السـاخـرهْ
وتـنـقش أصـداءهـا فـي الـقـلـوب
وتبقى مـدى العمـر في الـذاكـرهْ
فـيـا رِقّـةً سُكِـبَـتْ فـي الـنـفـوس
كمـا تُسكبُ الـخمـرةُ القـاهـرهْ
نـسينـا بـك العـالَـمَ الـدنـيـويِّ
وأسـمـعْـتِـنَـا نَـغَـمَ الآخـرهْ
ويـا ربـةً من نـواحـي الألـمـب
أطـلّت عـلى مَـهَـجٍ شـاعـرهْ
حنينـا الـرؤوسَ لمجـد الجمـالِ
ولُـذنـا بـعـرشـكِ يـا آسـرهْ
(. . . . .) مثَّلتِ هـذي الحـيـاة
وصـوّرت أدوارَهـا الـزاخـرهْ

وحمَّلت روحَك أثقالها .
وروحُك كالريشة الطائرهْ
وكلّفتِ قلبكِ خوض الجحيم
وقلبُك كالجنةِ الناضرهْ
دفعتِ به في اللظى كالخليل
وعدتِ مباركة ظافرهْ
رجعتِ من النار ياقوتةً
مطهّرةً حرَّةً باهرهْ
(.....) إن كرّمتكِ البلادُ
ودانت لمعبودةٍ قادرهْ
فوالله ما فهمتك العقولُ
ولا قدرت قدرَكِ «القاهرهْ»!
فللشعر عينٌ يراكِ بها
بغير عيونِ الورى الناظرهْ
يرى لك حُسْنَ الشعاعِ الجميل
أغار علَى الظلمة الغامرهْ
فجلّل بالسحر هذي الدُّنى
وصيّرها جنةً زاهرهْ
فنوَّر أكواخها الباليات
وهلّلَ في دورها العامرهْ
رسولٌ يجوس خلال الديار
وينزل كالرحمة الزائرهْ
بعين قد اغرورقت بالدموع
لها مُقلةُ الغيمةِ الماطرهْ
يطوفُ على الناس إنسانُها
ومهجتُه . للورى غافرهْ

الفراشة

أجلْ! يعلم الحبُّ أني لظاهُ
وتدري الفراشة أنِّي اللهبْ
وأني بدوتُ لها في الظلام
فرفَّت بأجنحةٍ تضطرِبْ
وبين ذراعيَّ سرُّ الحيا
ةِ وفي ناظريَّ بريقُ الشُّهُبْ
دنت خطوة ثم عادت إليّ
مجاهِلها من خفيِّ الحجُبْ!
وشتّان بين السنا والظلا
مِ لعابدةٍ لِلسنا عن كثبْ!
وفي صدرها لهفة للعنا
قِ وفي قلبها جنةُ المغتربْ
يلوح لها شبحٌ لِلعذا
ب ويبدو لها الأبدُ المقتربْ
كأن اللظى قدَحٌ من سلا
فٍ لها فوقه وثباتُ الحببْ
فراشة روحي تعاليْ وُثوباً
ستلقين قلباً إليكِ يثبْ
إذا ما امتزجنا احترقْنا معاً
ونلنا الخلود بهذا العطَبْ!!

الى س . . .

جئتُ أشكـو لـكِ روحي وجـواهـا
وردت ظـمـأىٰ وعـادت بصـدَاهـا
آه مـن عيـنـكِ! مـاذا صنـعـتْ
بـغـريـبٍ مستجيـرٍ بـحـمـاهـا؟!
نـبـعـتـه تـقـتـفـي أحـلامَـهُ
كـلّمـا أغـفـىٰ أطـلَّت فـرآهـا
يـا سقى الـلّهُ «لِـلـيـلى» أيـكـةً
وجـزاهـا الخيـرَ عنّـا ورعـاهَـا
وغـذاهـا مـن أمـانـيـنـا ومِـن
حبنـا الشهـدَ المصفىٰ وسـقـاهَـا
قـرِّبـي عيـنـكِ مـنـي قـرّبـي!
ظـلليني واغـمـريـنـي بـصـفـاهَـا!
وأريـنـي هـدأة الـبـحـر إذا انْـ
ـبسط الـبَحـرُ جـلالاً وتـنـاهَـى
وأريـنـي لـجـةَ الـسـحـر الـتـي
ضـلَّ فيَ أعمـاقهـا الفكـرُ وتـاهَـا
ألـمـحُ الـلـؤلـؤ فـي أغـوارهـا
وأرى الـطيبـةَ تـطفـو في سنـاهَـا
وأراهـا تُـخـبِّـىءُ الـخـلدَ لـمـن
بـاع دنيـاه وبـالـروح اشتـراهَـا!

* * *

نـحـن أرواحُ حـيـارىٰ افـتـرقـتْ
ثم عـادت فتـلاقت في شجَـاهَـا
سـوف ينسىٰ القـلبُ إلّا سـاعـةً
مِنْ رضـاً في وكرِكَ الحـاني قضاهَـا

هتف القلب وقد حدثتني
أيّ ماضٍ كشفت لي شفتاهَا
هَمَسَتْ في خاطري فاستيقظتْ
روحيَ الحيْرى وأصغت لنداهَا
فأنا إنْ لَمْ أكُنْ توأمَها
فكأني كنت في الغيبِ أخاها
نحن أرواحُ حيارَىٰ ثملتْ
وانتشتْ سكرى على لحنِ أساهَا
قرِّبي روحَكِ مني قرِّبي!
ظلليني واغمريني برضاهَا!
وتعاليْ حدّثيني! حدّثي!
انت مرآة شجوني وَصَدَاهَا
فهبيني ساعة الصفو التي
تقسمُ الأيامُ ما فيها سواها
ثم أمضي لحياةٍ مرَّةٍ
صبْحُها عندي سواءٌ ومَساهَا!

نداء للشباب

وطنٌ دعا وفتىً أجابْ   بوركت يا عزم الشبابْ!
يا فتية النيل المسا   لم والكريم بلا حسابْ
جناته مرآتكمْ   ولكم خلائقُها العِذابْ
ولكمْ جمال الزهر ر   فَّ على الأماليدِ الرطابْ
ولكم فؤاد النهر ر   ق على المحاني والشعابْ!
يمضي فيضحك للسهو   ل ولا يضن على الهضابْ
حتى إذا نادتكم الأ   وطان والوادي أهابْ!
حتى إذا طغت الكوا   رث واستفزكم العذابْ
أصبحتُم كالغيل تحـ   ـميه الليوثُ بألف نابْ
قل للشباب اليوم يو   مكم الأغر المستطابْ!
اليوم يبدو حبّ مصـ   ـر فلا خفاءَ ولا حجابْ!
إن كان اثماً يا شبا   بُ فلا رجوع ولا متابْ!
الله ينظرُ والليا   لي عندها لكم الحسابْ
والعهدُ في القلبِ المصا   بر والأمانةُ في الرقابْ!
هاتوا الفدا الغاليَ لمصـ   ـرِ وأرخصوه كالترابْ
المال، والأرواح كـ   ـل ضحيةٍ ولها ثوابْ

في يوم الشباب

اليوم يومُك في الشباب فنادِ
لا نوم بعدُ. ولا شهيًّ رقادِ
قل للذي يبغي الصلاحَ لقومهِ
بنبيل صنعٍ أو شريفِ جهادِ
بالطبِّ أو بالشعر أو بكليهما
كل الجهودِ فداءُ هذا الوادي!
لا خير في قلمٍ اذا هو لَمْ يكنْ
حراً طهوراً كالشعاعِ الهادي
لا خير في طبٍّ اذا هو لم يزُرْ
ظلم الحياة كفرحةِ الأعيادِ
يا أيها الوطن الجريح وجرحه
بصميم كل حشاشة وفؤادِ
صبراً فنحن أساءتك الرحماء في الـ
ـبأساءِ قد جئنا بكل ضمادِ
قل للبناةِ المصلحين ألا اخلقوا
شم الذرىٰ ورواسخَ الأطوادِ
جيلاً من النشء القوي إذا مشوا
رفعوا الرؤوسَ بعزةٍ وعنادِ
لا خير في الأرواحِ تسكن منزلاً
متهدما رثاً من الأجسادِ
لا خير في الأرواحِ تسكنُ موطناً
متخاذلاً لا يرتجىٰ لجلادِ

أبَكَتْ عيونُكم الضعيفَ يصير في
ناب القويِّ فريسةَ استعبادِ

فتبينوا اذنِ الحقيقَةَ واعلموا
ان الطبيعةَ هكذا من عادِ

الجوُّ ملكُ النسر يغشاه على
ما يشتهي والغابُ للآسادِ.
مهلاً بنيْ قومي أتيت مذكراً
في ساحةٍ مجموعة الأشهادِ
واخجلتنا مما نقدمه إذا
حان الحسابُ وجاء يومُ معادِ
أي الصحائف في غد وحسابكم
في ذمةِ الأبناءِ والأحفادِ
أيّ البلاد هو السعيد وأهله
يتنابذون تنابذ الأضدادِ
كل يعيش لنفسه في أمةٍ
شقيتْ بطول تفرقِ الأفرادِ
فخذوا السبيلَ إلى الحياةِ تآلفاً
وتكاتفاً في رغبةٍ ووِدادِ
خير الصحائف ما كتبتَ سطورَه
بيد الكفاح الحر لا بمدادِ
صونوا البلادَ وأدركوا فلأحَكم
كاد الحمىٰ يغدو بغير عمادِ
حيران من مرضٍ إلى بؤسٍ الى
كربٍ تمر به بلا تعدادِ
هذي ديارُكمُ وذلك نيلُكم
هبةُ السماءِ ومنحةُ الآبادِ
هذي ديارُكمُ وهذي شمسُكم
طمعُ الغريب وحرقةُ الحسادِ
ومن المصائب في زمانك أن ترى
بلداً كثير مناهل الروادِ
والخيرُ مدرارٌ عليه وربه
جوعان محروم الرعاية صادِ!

والزرع نضر في الحقول وأهله
يتهيأون لمنجل الحصادِ!...
هذا زمانكم وذا ميدانكم
ماذا بكم من عدة وعتادِ؟..
نبغي شداد القوم قد شحذوا القوىٰ
في ليل احداث نزلن شدادِ
ونريد شباناً بمصر استعصموا
ومضوا يصدون الغريبَ العادي
ونريد اطفالاً اذا ما أُرضعوا
فرضاعهم وطنية بسهادِ
لطفل منهم مثل امي أو أبي
شفتاه اول ما تقول بلادي!...
يُغذون في الأرحامِ حب بلادهم
لتكون مصراً صرخة الميلادِ!

إلى روح الشاعر

ألقيت في حفلة الذكرى للشاعر المرحوم
طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقي يوم
الثلاثاء ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤

موقفٌ حانَ فاغتنِمْ وتخير مِن الكلِمْ
كلَّ لفظٍ أرقَّ مِن ضحكةِ الزهر للدِّيَمْ
مستمَدٍّ من الرُّبى مُستعارٍ من النّسمْ
اجمعِ الآنَ طاقةً غضّةَ النور تبتسمْ
أُهدِها روحَ شاعرٍ خالدٍ بالذي نَظمْ

❊ ❊ ❊

قلمي ! ما الذي لديـ ـكَ من الخير يا قلمْ؟!
قمْ فذكّر وناج قو مَكَ واخطُب وقل لهُمْ:
قل لأهل الغناءِ في كنف المعهد الأشمّ
ذلك الشاعرُ الذي بات في خاطر الظُلَمْ
هو منكم وفنُّهُ علمَ الله فنكمْ

❊ ❊ ❊

كان لحناً فصار ذكـ ـراً كما يُذكَرُ الحُلمْ
انما الشعر مزهرٌ قد حكى قصةَ الأممْ
وبأوتاره المنى تتلاقى وتزدحمْ
هو نايٌ مُرجِّعٌ لشجيٍّ وما كتمْ
هو قيثارةُ الزما نِ ونجواه مِنْ قِدَمْ
هو أنشودة الحيا ةِ وفيضٌ من النغمْ

❊ ❊ ❊

أيها المعهد الذي بلغ المجدَ واستتمّ
كلُّ لحنٍ مذكرٍ أشعل القلب فاضطرمْ
نظمته يدُ الأسى وقّعته يدُ السقمْ

❊ ❊ ❊

وأناشيدكم وما صاغه الفنُّ من عِظمْ
هـي أنّـاتُ أنـفسٍ بـالمقـاديـر تـرتَـطِمْ
وصـبـابـاتُ أعـيـنٍ يشهـدُ الليـلَ لَم تـنمْ
وأغـانـيـكـمُ الـتـي هـي في قـمـةِ القـمَمْ
هـي آهـاتُ شـاعـرٍ عـرف الـحبَّ والألـمْ!

* * *

ذلـك الشـاعـرُ الـذي روحـهُ الآن بـيـنـكـمْ
لـكـأنـي أراه حَـيّـاً وألـقـاهُ عـن أمَـمْ
وهـو في ذروة الشبـا ب وفي خفـةِ الـقَـدَمْ
غـاشيـاً كـلَّ منتـدىً عـاليَ الـرأس محتـرمْ
كـلمـا قـال شـعـرَه غمـر السهـلَ والعلمْ
دافـقـاً لـيس يـنـتـهي أبـداً سـيـلُه الـعـرمْ
بـاذلاً لـلصـديق والأ هـلِ كـلّ الـذي غنِمْ

* * *

زوجـه والـبـنـون هُـم مـجـدهُ والـرجـاءُ هُمْ
درجـوا في ذُرَا العـلا نـوَّروا في رُبى الـنعـمْ
نشـأوا في حِمى العفـا فِ وجـلُّوا عن الـتُّـهـمْ

* * *

حين ظـنـوا بـأنَّ مـا أمَّلوا في الـزمـانِ تـمْ
إذ شكا الضعفَ سيد الـ ـبيتِ خارت بـه الهِممْ
نـام في حضنـهِ الضَّنى وعـلـى صـدره جَـثَـمْ
واذَا بـالـطيـور قـد دخـل الموتُ وكـرهُمْ
شِـبْـهَ لصٍّ مـخـادعٍ غـشَى الـبيـت فـالتهَمْ
وإذا الـفـاقـةُ الجـريـ ـئـةُ تَـطْغَى وتَنْـتَـقِـمْ
صنعـتْ في رجـائـهمْ فعلَة الـذئـب بـالغـنَـمْ
كـأتـونٍ مـسـعَّـرٍ غـاضـبٍ ينثـرُ الحُـمَمْ!
مَن رأى البؤسَ إن عدا! مَنْ رأى الضنكَ إن هَجَمْ؟
مَن رأى العفـةَ العريـ ـقةَ بالـدهر تصـطدمْ؟!

* * *

أُمَّتي! ليس يُهزَمُ الـ ـفنُّ في أُمَّة الشَّمَمْ
أُمَّتي! ليس يخذلُ الـ ـجُودُ في أمَّة الكرَمْ
أُمَّتي! أُمَّةُ العلا وأبي الهول والهرَمْ

* * *

ساعة التذكار

أُلقيت في حفلة الذكرى التي أقامتها جماعة الأدب المصري
بالاسكندرية لمرور عام على وفاة المرحوم
أحمد شوقي بك

شَجنٌ على شَجنٍ وحرقةُ نارِ
مَنْ مُسعدِي في ساعةِ التذكارِ
قُمْ يا أميرُ!أفِضْ عليَّ خواطراً
وابعث خيالَكَ في .النسيم الساري
واطلع كعهدك في الحياةِ فراشةً
غراءَ حائمةً على الأنوارِ
يا عاشقَ الحرية الثكلى أفِقْ
واهتفْ بشعرك في شباب الدارِ
يا مَنْ دعا للحق في أوطانهِ
ومضى ليهتفَ في ديار الجارِ
الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهدها
نهبُ الخطوب قليلةُ الأنصارِ
والحظُّ أطمارٌ كما شاءَ البلَى
والعيشُ رثٌّ والسنونُ عوارِ

* * *

عامٌ مضى يا للزمان وطيِّه
فينا ويا لسواخر الأقدارِ!

عـامٌ مـضـى وكـأنّ أمس نـعـيُّـه
يـا ما أقـلَّ العـامَ في الأعمـارِ!
أيْـنَ الامـارة والأمـيـرُ ودولـةٌ
مـبـسـوطـةُ الـسلطان فـي الأمصـارِ
خمسـون عـامـاً وهي وارفـةُ الجنَى
تـحت الـربـيـع دؤوبـة الأثمـارِ!
مَـدَّ الخـريفُ على الـريـاض رواقَـهُ
ومضى الـربيعُ الضـاحكُ النّـوارِ!

* * *

هيهـات أنسىٰ قبـلَ بينـك سـاعـةً
جمعتْ صحابَك في غـروب نهارِ[1]
والشمس في سقم الغروب وأنتَ في
لـونِ الشحـوب معصـفـرٌ ببـهـارِ
منحتْ وقـد ذهبت شعـاعـاً غـاربـاً
كـسـنـاكَ طـوّافـاً عـلى الـسّـمـارِ
تشكـو ليَ الضعفَ الملمَّ لعـلَّ في
طـبي مـقيـلاً مِـن وشـيـكِ عـثـارِ
وكشفتَ عن متهـدِّمٍ جـال الـردىٰ
متهـجـمـاً فـي صَـرحـه المنهـارِ
فـرأيتُ ما صنـع الضنى في صـورةٍ
حـالـتْ، وخلى هـيكـلاً كـإطـارِ
ووجمتُ! المـحُ في الغيـوب نهـايـةً
وأرى بـعـيـنـيَ غـايـةَ الـمـضـمـارِ
وأرى النبـوغَ وقـد تهـاوى نجمُـه
والـعـبـقـريـةَ وهـي فـي الإدبـارِ!
أوَلـم يكـن لـك من زمـانـك ذائـداً
وثـبـاتُ ذهـن مـاردٍ جـبـارِ؟

(١) يشير الى اجتماع مجلس (جمعية أبولو) في كرمة ابن هاني في يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٣.

أوَلَمْ يكن لكَ من حِمامك عاصِماً
ذاك الجبينُ مكللاً بالغارِ؟
ولَّيتَ في إثر الذين رثيتهُم
واقمتَ فيهم مأتمَ الاشعار
وسُقيتَ من كأسٍ تطوف بها يدٌ
محتومةُ الاقداح والأدوارِ
والدهرُ يقذف بالمنايا دفَّقاً
فمضيتَ في متدفق التيارِ

* * *

في ذمة الاجيالِ ما غنَّت به
قيثارةٌ سحريةُ الاوتارِ
صدحتْ بألحان الحياة ووقَّعتْ
أنغامَها المحجوبة الأسرارِ
والفنُّ ما حاكى الطبيعةَ آخذاً
منها ومن إعجازها بغرار
مسترسلاً رحباً كعينٍ ثرّةٍ
شتى السيولِ سحيقةِ الأغوارِ
متعالياً حتى الأشعةِ مشرقاً!
متألقاً كالكوكبِ السيَّارِ!

* * *

شوقي! نظمتَ فكنت برّاً خيِّراً
في أمة ظمأى الى الأخيارِ!
أرسلتَ شعرَك في المدائن هادياً
شبهَ المنارِ يطوف بالأقطارِ
تدعو إلى المجد القديمِ وغابر
طيّ القرون مجلّلٍ بوقارِ!
تدعو لمجدِ الشرق: تجعل حبَّهُ
نصبَ القلوب وقبلةَ الأنظار!
تبكي العراقَ اذا استُبيحَ ولا تضَنّ

علي الشآم بـهـدمـعٍ مـدرارِ

وتـرى الـرجـالَ وقـد أُهين ذمـارهم

خـرجـوا لصـون كـرامـةٍ وذمـارِ

فلو استطعتَ مـددتَ بين صفـوفهم

كـفّـاً مضـرجـةً مـع الاحـرارِ!

* * *

مـا زلتَ تُبعثُ في قـريضِـكَ ثـاويـاً

أو مـاضيـاً حَفِـلاً بكـلِّ فخـارِ

حتى اتُّهمتَ فقـالَ قـومٌ: شـاعـرٌ

نـاجى الـطلولَ وطـاف بـالآثـارِ!

فجلوتَ ما لَم يشهدوا، ورسمت ما

لَم يعهـدوا من معجـز الافكـار!

شيـخٌ يـدبُّ الى الاصيـل وقلبُـهُ

وجنـانُـهُ في نـضـرة الأسحـارِ

ويحسُّ تبـريـحَ الصبـابَـةِ واصفـاً

مـجنـونَ ليلى في سحيقِ قـفـارِ

ويـروح يبعث كليـوبـاتـرا نـاشـراً

تلك العصـور وطيفَهـا المتـواري!

ويـرى الحيـاةَ الحبَّ والحبَّ الحيـا

ةَ! همـا شعـارُ العيش أيُّ شعـارِ

* * *

دَينَ الأحياء

أُلقيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة لذكرى العام
الأول على وفاة المرحوم أحمد شوقي بك

دَينٌ... وهـذا اليـومُ يـومُ وفـاءِ
كـم منَّـةٍ لـلميْتِ فـي الاحيـاءِ!
إن لَم يكن يُجزَى الجزاءَ جميعَه
فلعـلَّ في التـذكـار بعضَ جـزاءِ
يـا سـاكنَ الصحـراء منفـرداً بهـا
مسـتـوحشـاً في غـربـةٍ وتنـائي
هـل كنتَ قبلاً تستشفّ سكـونَها
وتـرى مقـامَـك في العراء النـائي
فـأتيتَـ والـدنيـا سـرابٌ كلهـاـ
تـروي حـديثَ الحبِّ في الصحـراءِ
ووصفتَ قيساً في شـديـدِ بلائـه
ظـمـآن يـطلب قـطرةً مـن مـاءِ
ظمـآن حين الماء ليلى وحـدُهـا
عـزَّت عليـه ولَم تُتـح لـظمـاءِ!
هيمـان يضرب في الهـواجر حـالمـاً
بـظلال تـلك الجنـة الفـيحـاءِ
فـاذا غـفـا فلطيفهـا، وإذا هـفـا
فلوجههـا المستعـذبِ الـوضّـاءِ
يـا لـلقلوب لـقصـةٍ بقـيت عـلى
قِـدم الـدهـور جـديـدةَ الأنبـاءِ
هي قصةُ الطيف الحزين، وصورةُ الـ
ـقلب الـطعيـن، مجللاً بـدمـاءِ
هي قصـةُ الـدنيـا، وكم من آدم
مـنـا لـه دمـعٌ عـلى حـوّاءِ

كل به قيسٌ إذا جنَّ الدجى
نزع الإباءَ وباح بالبرحاءِ
فاذا تداركه النهارُ طوى المدا
معَ في الفؤاد وظُنَّ في السعداء
لا تعلم الدنيا بما في قلبه
من لوعةٍ ومرارةٍ وشقاء.
كلٌّ له «ليلى» ومن لَم يَلقَها
فحياته عبثٌ ومحضُ هباءِ
كلٌّ له «ليلى» يرى في حبها
سرّ الدُّنىٰ وحقيقةَ الأشياءِ
ويرى الأماني في سعير غرامها
ويرى السعادةَ في أتمِّ شقاءِ
الكونُ في احسانها والعمرُ عنـ
ـد حنانها، والخلدُ يومُ لقاءِ
يا للقلوب لقصةٍ محزونةٍ
لم تُروَ إلاَّ روِّحتْ ببكاءِ
خلُدت على الدنيا وزادت روعةً
ممّا كساها سيدُ الشعراءِ
خلدتْ على الدنيا وزادت روعةً
من جودة التمثيل والإلقاءِ
من فنّ (زينبها) ومن (علاّمها)
زين الشباب وقدوةِ النبغاء

الأجنحة المحترقة

يــا أمتي كم دمــوعٍ في مــآقينــا
نبكي شهيـديـك أمْ نبكي أمـانينـا؟!
يــا أمتي إن بكينــا اليــوم معــذرةً
في الضعفِ بعضُ المآسي فوق أيدينا
واهـاً على السـرب مختـالاً بمـوكبـه
وللنسور عـلى الأوكـار غـاديـنـا
قـالـوا الضبـاب فلم يعبأ جبـابـرةٌ
لا يـدركـون العــلا إلّا مضحِّينــا
والمـانش يعجب منهم حينما طلعـوا
على غــواربِــهِ الغـيــرى مــطلِّينــا
فــاستقبلتهم فـرنسـا في بشـاشتهـا
تجـزي البسـالـة ورداً أو ريـاحينـا
قـالـوا النسـور فهبَّ القـومُ وادَّكـروا
نســراً لهم مـلأ الـدنيـا ميـادينـا
وهـلل السِّـين إذ هـلَّت طـلائعنـا
طـلائع المجـد من أبنـاء وادينـا
حان الأمانُ ووافَى السـربُ فافتقـدوا
نسـرين ظنـوهمـا قـد أبـطآ حينـا
لكنـه كـان إبـطاءَ الـرَّدىٰ فـهمـا
لمـا دعـا المجـد قـد خَفَّـا ملبينا
فلبيكِ من شـاء وليُشبعْ محـاجـرَهُ
ولينتحبْ مـا يشـاءُ الحـزنَ بـاكينـا
يبكي الحبيب وتبكي فقـد واحـدهـا
من لا تــرى بعـده دنيـا ولا دينـا
هُنيهـة ثم يسلو الـدمـعَ سـاكبُـه
لا يـدفعُ الـدمـعُ شيئـاً من عـوادينـا

فكلما حلَّ رزءٌ صاحَ صائحُنا:
فداك يا مصر لا زلنا قرابينا
فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً
والنسر محترقاً والليث مطعونا!

عتاب

هجرتِ فلم نجد ظلاًّ يقينا
أحُلْماً كان عطفُكِ أم يقينا؟!
أهجراً في الصبابة بعد هجر
أرى أيامَهُ لاً ينتهينا
لقد أسرفتِ فيه وجُرتِ حتى
على الرَّمَقِ الذي أبقيتِ فينا
كأنّ قُلوبَنا خُلِقَتْ لأمر
فمذْ أبصرنَ من نهوىٰ نسينا
شُغِلْنَ عن الحياةِ ونِمْنَ عنها
وبتن بمنْ نحبُّ موكَّلينا
فإن مُلِئت عروقٌ مِنْ دماءٍ
فانَّا قد ملأناها حنينَا!

أَصوات الوحدة

يـا وحدتي جئت كي أنسَى وهـائنذا
ما زلتُ أسمعُ أصـداءً وأصـواتـا
مهمـا تصـاممتُ عنهـا فهي هـاتفـةٌ
يـا أيهـا الهـاربُ المسكينُ هيهـاتـا!
جَـرَّتْ عليَّ الأمـاني مِنْ مجـاهلِهـا
وجمَّعَـتْ ذِكَـراً قـد كُنَّ أشتـانـا
مـا أَسْخَفَ الوحـدةَ الكبـرىٰ وأضيعهَـا
إذا الهـواتف قـد أرجعن مـا فـاتـا
بَعثن مـا كـان مـطويّـاً بمـرقـدِهِ
ولم يـزَلْنَ إلى أن هبَّ ما مـاتـا
تلفَّتَ القلبُ مـطعـونـاً لـوحـدتـه
وأين وحـدته؟ بـاتتْ كما بـاتـا!
حتى إذا لم يجـدْ ريّـاً ولا شبعـاً
أفضى إلى الامل المعطوبِ فاقتاتـا!

(من شعر الصبا)
الختام

عجبـاً لقلبٍ هيض منكَ جنـاحُـهُ
وجـرى بـه نصـلُ الندامـةِ يذبـحُ
ومضى الحِمامُ يدبُّ فيه فان جـرتْ
ذكـراك طـار اليـك وهـو مجنَّـحُ
لهفي على النـاقـوس بين جـوانحي
وعـلى بقيـةِ هـيكـلٍ لا تـصلحُ
لا فـرق بـين أنـينـه ورنـينـهِ
وصـداه في وادي المنيـةِ أوضـحُ

يا قلب! صهباء الهوى وبساطه

وكؤوسه المتجاوبات الصُّدَّحُ

وقفٌ على متنقلين على الهوى

يبغون من لذاته ما يسنحُ

متبدِّلين موائداً وأحبةً

ما خاب من حب فآخر يفلحُ

فالحبُّ آسيه وراء عليله

فيهم، وبلسمه على ما يجرحُ

يا قلبُ! ويح ثباتنا ماذا جنىٰ

أترى شعاعاً في البقيةِ يُلمحُ!

* * *

يا أيها الحبُّ المقدَّسُ هيكلاً

ذاق الردىٰ من عابديك مسبحُ

كثرت ضحاياه وطال قيامُه

وصيامه فمتى رضاءَك تمنحُ؟

يا دوحة الأرواح يُحمد عندها

فيءٌ ويعبد زهرُها المتفتحُ

أينال ظلّك والرعايةَ عابثٌ

بجلالك البادي وآخر يمزحُ

ويبيت يحرمه قتيل صبابةٍ

قضّى الحياةَ الى ظلالك يطمحُ

ليلى! حببتُكِ كالحياة وذقتُ في

ناديك كأساً بالأماني تطفحُ

فتكسرت قدح المنىٰ ورجعتُ من

سقم الهوىٰ وهزاله أترنحُ

نزل الستار على الرواية وانقضتْ

تلك الفصولُ وفُضَّ ذاك المسرحُ

الدكتور زكي مبارك

في سنتريس وفي الأزهر وفي باريس
(أُلقيت في حفلة تكريمه بمسرح الهمبرا بالقاهرة)

تحت عين الصباح والأنوار
ورقيق الأنداءِ والأسحارِ
في حمى سنتريس شبَّ غلامٌ
شاعريُّ الكلامِ والأنظارِ
أزرق العين هادئٌ هدأة البحر
بعيد الرضى! بعيد القرارِ!
ساهم يلمح السحائب في الأفق
بعينٍ عميقةِ الأغوارِ

* * *

شبَّ في جيرة النسائم والزهر
وفي صحبة الغديرِ الجاري
ونضيرِ الحقول والعشب المخضلِّ
يكسو شواطىءَ الأنهارِ
ومصيخاً إلى غناءِ السواقي
شاكياتٍ سواخرَ الأقدارِ
باكياتٍ على الصبا والأماني
والهوى والنوى وبعدِ المزارِ
غير أن الذي شكا خطبه الأهـ
ـلُ وأمسى حديثَ جارٍ وجارِ
انَّ ذاك الفتى الوديعَ الظهورَ الـ
ـقلبِ في رقة النسيم الساري:
مغرمٌ بالعصا! فلوَ خلف سورٍ
لتخطى شواهق الأسوارِ
ولأجل العصا سطا[1] على الافرع الخضـ
ـراء زانت بواسق الأشجار

ولأجل العصا سطا[٢] على خشب البيـ
ـت، طموحاً حتى لِباب الدارِ
ولو أنَّ العصيَّ عزَّت عليه
لتمنّى حتى عصا التسيارِ

* * *

ان تلك العصا لرَمزٌ على القو
ةِ في قلب ماردٍ جبَّارِ
لا يرى القرية الصغيرة كفؤاً
لكبار الآمال والاوطارِ
ساخراً من هدوئها مستعدّاً
لصراع الخطوب والأخطارِ
أين يمضي؟! للأزهر الشامخ
الرأس، القويّ الباقي على الأدهارِ
مطلع عبده وسعداً ورهط المجـ
ـد والبأس والعلى والفخارِ

* * *

فرح الأهلُ بالغلام الذي صا
ر حديثاً في ندوة السُّمارِ
عمّموه وقفطنوه فأمسى
أملَ القومِ، فارس المضمارِ
ومضى يطلب العلوم وحيداً
موحشاً قلبهُ، غريبَ الدار
ناظراً في هوامشٍ تأكل العقـ
ـل وتبلي نواضر الأبصار
لا يبالي الطوى ولا يحفل الأقدا
ر جاءت بكل أمرٍ ضاري
لا يبالي غداة يصغي الى الشيـ
ـخ وللشيخ هالة من وقارِ:

أحـصـيـرٌ مـمـزقٌ أم حـريـرٌ
مـقـعـدٌ لـلمجـاهـدِ الـصبَّـارِ
آهِ من هـاتـه الشـدائـدِ فهي النـ
ـار تبلو الـقلوبَ فـي الأخيـارِ
إنَّ قـلبَ العـظيم يـاقـوتـةً تسـ
ـمو سمـوّاً وتـزدهي بـالـنـارِ!
أي شيء في الـدهـر كـالألم الجبا
ر يـجـلو ضـمـائـرَ الأحـرارِ؟!

* * *

عجبي من «مجـاور» ضـاق بـالأز
هـر واحيـرة النفـوس الكبـارِ!
ثم أمسى مـطربشـاً واكتسى البـذ
لـة مـا بـيـن لـيلةٍ ونـهـارِ
ثم ضـاقت بهمـهِ مصرُ فـاشتـا
ق لـغيـر الأوطـانِ فـي الأمصـارِ
ضـمَّ أشيـاءه الـيـه، وأضحـى
في سفينٍ تجـوبُ عـرض البحـارِ
ثم أمسى مبـرنـطاً يقصـد السيـ
ـن ويـغـزو مـديـنـةَ الأنـوارِ

* * *

والـذي يبعـثُ السـرورَ ويـدعـو
كـلَّ نـفسٍ لـلزهـو والاكـبـارِ
رجـلٌ مـا ازدهتـه فـتـنـةُ بـاريـ
ـس ومـا في بـاريس من أسـرارِ
ظـلَّ في ذلـك الحمى مـصـريـاً
عـربـيَّ الـحـيـاةِ والأفـكـارِ
كـلمـا هبَّـت الـغـواني عليـه
ضـاق ذرعـاً بـالـغـادةِ المعـطار

يــزفــر الــزفــرةَ الـعنيفــةَ تــرمي
من لــظاهــا فحمَ الـــدُّجى بشـــرار
يـــذكـــر الـنيــلَ، والأحبــةَ بـنـالنيـ
ـل ِ ويــشـــدو بــرائـعِ الأشـعــارِ!

* * *

كــرّمــوا نــابغيكمــوا واعــرفــوهــم
فـضيــاعُ الـنبــوغِ فــي الانـكــارِ
فــزكــيٌّ مــبــاركٌ شــعــلـةٌ فــي
مصــر تهــدي شبــابهــا كــالمنــارِ
قسمــاً لــو يُتــاح لي الـغــارُ كللـ
ـتُ بكـفـي جبـيـنَـهُ بــالــغــارِ!

* * *

على البحر

(من شعر الصّبا قاله الناظم في الثالثة عشرة من عمره)

هــل أنتِ سامعــةٌ أنيني — يــا غايـةَ القلب الحزينِ
يــا قِبلة الحب الخفـيِّ — وكعبــة الأمـل الــدفينِ
أني ذكــرتــك بــاكيــاً — والأفق مُغـبّــر الجبيــنِ
والشمس تبدو وهي تغـ — ـرب شبه دامعة العيـونِ
أمـسيـتُ أرقبُـهــا عـلى — صخر وموج البحر دوني
والبحــر مجنـون العبــا — ب يهيـج ثائـره جنـوني
ورضــاكِ أنتِ وقـايـتـي — فاذا غضبتِ فَمن يقيني؟!

كلانا

(من شعر الصبا)

كلانا عليل فلا تجـزعي ودمعــك تسبقــه أدمعي
وان كان بين ضلوعك نار فنار الصبابة في أضلعي
وان كان نجم هنائك غاب فنجم هنائي لَم يطلع . . .



لـيَالي الـقاهـرة



الاهداء

«إلى صديقي ع. م»
الذي ندّى الزهر الذابل من خمائل الماضي، وأنبت في روض الحاضر، زهوراً ندية مخضلة بالأمل والحياة.. إليه أقدم ما أوحى به إليّ..

كلمة

الشعر عندي هو النافذة التي أطل منها على الحياة..
وأشرف منها على الأبد..
وما وراء الأبد..
هو الهواء الذي أتنفسه..
وهو البلسم داويت به جراح نفسي عندما عز الأساة
هذا هو شعري..

ابراهيم ناجي

ليالي القاهرة

«كان الظلام العصيب المخيم على القاهرة في سنوات الحرب الأخيرة، ظلاماً متجاوباً مع قتام في النفوس، وحلوكةٍ تجثم على الصدور، وقد مرّت بالشاعر انطباعات من ذلك الضنك الشامل فسجلها ضوراً في هذه الملحمة المختلفة الضروب والايقاع».

- ١ -

في الظلام

أليلايَ ما أبقى الهوى فيّ من رشدِ
فردي على المشتاقِ مهجتَه ردِّي
أينسى تلاقينا وأنت حزينةٌ
ورأسك كابٍ من عياءٍ ومن سهدِ
أقول وقد وسّدتُه راحتي كما
توسّد طفلٌ متعبٌ راحة المهدِ..
تعاليْ إلى صدرٍ رحيبٍ وساعدٍ
حبيبٍ وركنٍ في الهوى غير منهدِ
بنفسي هذا الشعر والخُصَل التي
تهاوت على نحرٍ من العاجِ مُنقدِ
ترامتْ كما شاءتْ وشاء لها الهوى
تميل على خدٍّ وتصدفُ عن خدِ
وتلك الكروم الدانيات لقاطفٍ
بياض الأماني من عناقيدها الرّبْدِ
فيا لك عندي من ظلامٍ محببٍ
تألق فيه الفرقُ كالزمن الرغد

ألا كُــلُّ حسنٍ في البــريــة خــادمُ
لسلطانــة العيـنيـن والجيــدِ والقــدِّ

وكـل جمـالٍ في الــوجـود حيـالـه
بــه ذلـةُ الشــاكي ومـرحمــةُ العبـدِ

ومــا راع قلبي منــك إلا فــراشــةٌ
من الدمعِ حامتْ فوق عرش من الوردِ

مجنحــةٌ صيغتْ من النــور والنــدى
تــرفُ على روضٍ وتهفـو إلى وردِ

بهـا مثل مـا بي يـا حبيبي وسيِّـدي
من الشجن القتـال والظمـأ المُـردي

لقــد أقفـر المحـرابُ من صلواتــه
فليس بــه من شاعـرٍ سـاهـرٍ بعـدي

وقفنـا وقـد حـان النـوى أي مـوقفٍ
نحاول فيه الصبرَ والصبرُ لا يجـدي

كـأن طيوفَ الـرعب والبين مـوشكٌ
ومـزدحمَ الآلامِ والوجـدُ في حشـدِ

ومضـــطرمَ الأنفـاسِ والضيقُ جــاثمٌ
ومشتبـك النجـوى ومعتنق الأيــدي

مــواكب حُــرس في جحيم مؤبــد
بغيــر رجــاءٍ في ســلام ولا بــرد

فيــا أيكـة مدّ الهـوى من ظــلالهـا
ربيعــاً على قلبي وروضاً من السعـد

تـقلصـتِ إلا طيـفَ حـبٍّ محيّــر
على درجٍ خــابي الجـوانب مســودِّ

تــردَّدَ واستــأنى لــوعــد ومــوثـقٍ
وأدبـرَ مخنـوقاً وقـد غص بـالـوعـدِ

وأسـلمني لليــلٍ كــالـقبــر بــارداً
يهب علىَ وجهي بــه نفسُ اللحـدِ

وأسلمني للكــون كـالــوحش راقـداً
تمـزقني أنيـابُـه في الـدجى وحـدي
كــأن على مصــر ظــلامــاً معلقــاً
بـآخـر من خـابي المقـادير مـربـدِ
ركــودٌ وإبـهــامٌ وصـمـتٌ ووحـشــةٌ
وقـد لفهـا الغيبُ المحجبُ في بُــردِ
أهــذا الـربيــعُ الفخمُ والجنـةُ التي
أكــاد بهــا أستــافُ رائحــةَ الخـلدِ
تـصيــرُ إذا جـن الــظلامُ ولـفـهــا
بجنـحٍ من الأحلام والصمتِ ممتـدِّ
مـبــاءةَ خمّارٍ وحــانــوتَ بــائـعٍ
شقيِّ الأماني يشتري الرزق بالسهـدِ
وقـد وقف المصباحُ وقفــة حـارس
رقيب على الأسـرارِ داعٍ إلى الجدِّ
كــأن تـقـيــاً غــارقــاً فـي عــبــادةٍ
يصوم الدجى أو يقطع الليلَ في الزهدِ
فيـا حارس الأخـلاق في الحيِّ نائمٌ
قضى يومَه في حومة البؤسِ يستجدي
وسـادته الأحجـارُ والمضجـعُ الثـرى
ويفتـرش الافـريـزَ في الحـر والبـردِ
وسـيــارةٌ تمـضـي لامــر مـحـجــبٍ
محجبــة الأستـار خــافيــة القصــدِ
إلى الهدف المجهولِ تنتهبُ الدجى
وتومض ومض البرق يلمـع عن بُعدِ
متى ينجلي هذا الضنى عن مسالكٍ
مــرنقـة بــالجـوع والصبــرِ والكـدِّ
يـنقـبُ كلبٌ فـي الحــطام وربـمــا
رعى الليل هرٌّ ساهرٌ وغفـا الجندي

أيا مصر ما فيك العشية سامرٌ
ولا فيك من مصغٍ لشاعرك الفردِ
أهاجرتي، طال النوى فارحمي الذي
تركتِ بديدَ الشملِ منتثرَ العقدِ
فقدتكِ فقدانَ الربيعِ وطيبَهُ
وعدتُ إلى الإعياء والسقم والوجدِ
وليس الذي ضيعتُ فيك بهَيِّنٍ
ولا أنتِ في الغيّاب هينة الفقدِ

* * *

بعينيك استهدي فكيف تركتني
بهذا الظلام المطبق الجهم أستهدي
بوِرْدِكِ أستسقي فكيف تركتني
لهذي الفيافي الصم والكثب الجردِ
بحبكِ استشفي فكيف تركتني
ولم يبق غير العظم والروح والجلدِ
وهذي المنايا الحمر ترقص في دمي
وهذي المنايا البيض تختال في فودي
وكنت إذا شاكيت خففت محملي
فهان الذي ألقاه في العيش من جهدِ
وكنت إذا انهار البناءُ رفعتُهُ
فلم تكنِ الأيامُ تقوى على هَدِّي
وكنت إذا ناديتُ لبيْتِ صرختي
فوا أسفاً كم بيننا اليوم من سدِّ
سلامٌ على عينيك ماذا اجتنا
من اللطف والتحنان والعطف والودِّ
إذا كان في لحظيك سيفٌ ومصرعٌ
فمنكِ الذي يحيي ومنكِ الذي يردي
إذا جُرِّد لم يفتكا عن تعمدٍ
وإن أغمدا فالفتك أروع في الغمدِ

هنيئــاً لقلبي مــا صنعتِ ومــرحبــا
وأهـلا به إن كـان فتكُكِ عن عمـدِ
فــإنـي إذا جـن الـظلامُ وعــادنـي
هواكِ فأبـديتُ الذي لم أكن أبـدي
وملتُ بــرأسي كـابيــاً أو مــواسيـاً
وعندي من الأشجان والشوقِ ما عندي
أقبِّــلُ في قـلبي مـكـانــاً حللتِـه
وجـرحاً أنـاجيه على القـرب والبعـدِ
ويــا دار من أهـوى عليـكِ تحيـة
على أكرم الذكرى على أشرف العهدِ
على الأمسيـات الساحـرات ومجلسٍ
كـريمِ الهوى عفِّ المآرب والقصدِ
تـنــادُمنــا فـيــه تبــاريــحُ مـعشــر
على الدم والأشواكِ ساروا إلى الخلدِ
دموعٌ يذوب الصخر منها فـإن مضوا
فقد نقشوا الأسماءَ في الحجرِ الصلدِ
ومــاذا عليهم إن بكـوا أو تعــذبـوا
فإن دموعَ البؤسِ من ثمنِ المجدِ . .

- ٢ -

أنوار

طــابــت بـكِ الأيــامُ وافــرحـتــاهْ
أنـتِ الأمــانيْ والـغـنـىٰ والـحـيــاهْ
فـليـذهـبِ الـلـيـلُ غـفـرنــا لـهُ
مــا دام هـذا الصبـح عقبى دجـاهْ

يـا من غَفَتْ والفـجـرُ من دارهـا
شـعشـعَ فـي الآفـاق أبهـىٰ سنـاهْ
قـد طـرق الـبـابَ فتـىً متـعـبٌ
طـال بـه الـسيـر وكـلَّت خـطاهْ
نـقَّـل فـي الأيـام أقـدامَـهُ
يـبغي خيـالاً مـاثـلاً في مُـنـاهْ
عـنـدك قـد حطّ رحـال الـمـنى
وفي حمـى حسـنِـك ألقىٰ عصـاهْ
كـم هـدأ الـليـلُ وران الـكـرىٰ
إلا أخـا سهـدٍ يـغـنِّي شـجـاهْ
نـاداك من أقصى الـربى فـاسمعيْ
لـمن عـلى طـول الـلـيـاليْ نـداهْ
نـادىٰ ألـيفـاً نـام عـن شجـوهِ
عـذبٌ تـجـنـيـه عـزيـزٌ جنـاهْ
أحـبَّـكِ الـحـبُّ وغـنّـى بـهِ
عـفَّ الأمـانيْ والـهـوىٰ والـشـفـاهْ
وإنـمـا الـحـبُّ حـديـثُ الـعلىٰ
أنـشـودة الخـلدِ ونـحـنُ الـرواهْ . .

- ٣ -

أحلام سوداء

رُبَّ لـيـلٍ قـد صفـا الأفـق بـهِ
وبـمـا قـد أبـدعَ الـلَّهُ ازدهـرْ
وسـرى فـيـه نـسـيـمُ عَـبِـقٌ
فـكـأن الـلـيـلَ بُـسْـتَـانٌ عَـطِرْ

قــلتُ يــا رب لــمــن جـمَّــلتــه
ولمن هــذي الثريــات الغــرزْ..؟
فــعــرا الأفــقَ قَــتــامٌ وبَــدَتْ
سحبٌ تـحبـو إلى وجـهِ القـمـرْ
كــلمــا تــقــرب تــمــتــد لــهُ
كــأكــفٍّ شــرهــاتٍ تــنــتــظر
صحت بــالبــدر: تنبَّــهْ للنــذرْ
أدركِ الــهــالــةَ حفــت بــالــخــطرْ
لا تــبــحْ مــائــدة الــنــور لــهــم
لا تــبــحْــهــا لــســوادٍ مــعــتــكــرْ
قــهــقــه الــرعــدُ ودوَّى ســاخــراً
فــكــأنَّ الــرعــدَ عــربــيــدٌ ســكــرْ
قمتُ مــذعــوراً وهمت قبضتي...
ثــم مــدت، ثــم ردت مــن خَــوَرْ
لــهــف الــقــلب عــلى الــحــســن إذا
قهقــه الغــربــانُ والــذِّئبُ سخِــرْ
تــحتــمي الــوردةُ بــالــشــوكِ فــإن
كــثــر الــقــطافُ لم تــغــنِ الابــرْ
آهِ مــن غــصــنٍ غــنــيٍّ بــالــجــنــىٰ
ومِــن الــطامــع في ذاك الــتــمــرْ
آه مــن شــك ومــن حــب ومــن
هــاجــســاتٍ وظــنــونٍ وحــذرْ
كــســت الأفــقَ ســواداً لم يــكــن
غــيــرَ غيــمٍ جــاثــمٍ فــوق الفــكــرْ
طــالــمــا قــلت لــقــلبــي كــلمــا
أنَّ فــي جنبي أنيــنَ الــمــحــتــضــرْ
إن تــكــن خــانــتْ وعــقَّــت حــبَّــنــا
فــأضِــفْــهــا لــلجــراحــاتِ الأخــرْ

- ٤ -

الميعاد الضائع

«في ليلة من ليالي القاهرة العصيبة، وقفت تنتظره،
ولكن حال بينهما القدر، وأقبل هو بعد ذهابها،
فتخيل فزعها، ووحدتها، وحاجتها إليه، فجاءت
هذه القصيدة عرضاً لتلك الخواطر».

يـا من طـواهـا الليـلُ في بَيْــدائـه
روحــاً مـفــزعــة عـلى ظـلـمـائـهِ
تـتـلفـتيـن إلـيَّ فـي أنـحـائـهِ
لهف الفؤاد على الشـريـد التـائـهِ

* * *

إن تـظمئي لِيَ كـم ظمئت إليـكِ
جـمـع الـوفـاءُ شـقـيـةً وشـقـيـا
يـا منِيتي قستِ الـحيـاة عـليـكِ
وجـرت مقـادرهـا الجسـامُ عليـا

* * *

أسفـاً عليـكِ وأنـت روحٌ حـائـرٌ
والكـونُ أسـرارٌ يضيق بهـا الحجىٰ
تـجتـازُ عـابـرة ويـسـرع عـابـر
وتـمـر أشبـاحٌ يـواريـهـا الـدجى

* * *

فـي وجـنـتـيـكِ تـوهـجٌ وضـرامُ
وبـمـقـلـتـيـكِ مـدامـعٌ وذهـولُ
وكـذا تـمـر بمثلكِ الأيـامُ
مـجـهـولـةً وعـذابُـهـا مـجـهـولُ

* * *

ولّيتِ قبل لقائِنا يا جنتي
لم تظفري مني بقولٍ مسعدِ
وكعادةِ الحظِّ الشقيِّ وعادتي
أقبلتُ بعد ذهاب نجمي الأوحدِ

* * *

تتعاقبُ الأقدارُ وهي مسيئةٌ
كم عقنا ليلٌ وخان نهارُ
وكأنما هذا الفضاء خطيئة
وكأن همسَ نسيمِه استغفارُ
وكأنه أحزانُ قومٍ ساروا
هذي مآتمهم وثم ظلالها
عفتِ القصور وظلت الأسوار
كمناحة جمدت وذا تمثالها

* * *

ران السواد على وجودِ الدورِ
وسرى إليّ نحيبُها والأدمعِ
وكأنني في شاطىء مهجور
قد فارقتهُ سفينةٌ لا ترجعِ

* * *

حملتْ لنا أملاً فلما ودَّعت
لم يبقَ بعد رحيلها للناظر
إلا خيال سعادة قد أقلعت
ووداع أحبابٍ ودمع مسافر

* * *

- ٥ -

اثنان في سيارة

العمرُ أكثرهُ سدى وأقلُّهُ
صفوٌ يتاحُ كأنه عمران
كم لحظةٍ قصرت ومدت ظلَّها
بعد الذهاب كدوحة البستانِ
ويمر في الذكرى خيالُ شبابَها
فكأن يقظتَها شبابٌ ثاني
مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجانبي
كفّاه في كفّيَّ هاجعتانِ
لكأننا والأرضُ تُطوى تحتَنا
نجمان في الظلماءِ منفردانِ
لكأننا والريحُ دونَ مسارنا
خطان في الأقدارِ منطلقان
إني التفت إلى مكانك بعدما
خليتهِ فبكيتُ سوء مكاني
هل كان ذاك القربُ إلّا لوعةً
ونداء مسغبةٍ إلى حرمان
حمى مقدرة على الإنسان
تبقى بقاء الأرض في الدورانِ
وكأنما هذي الحياة بناسها
وضجيجها ضرب من الهذيانِ

- ٦ -

لقاء في الليل

«كان اللقاء في ظلمات القاهرة الحالكة أيام الغارات وقد تم هذا اللقاء تحت الفزع والظلمة والخوف».

قالت تعال فقلت لبيكِ هيهات أعصيْ أمرَ عينيكِ
أنا يا حبيبة طائرُ الايكِ لم لا أغني في ذراعيك

* * *

أفديكِ مقبلةً على جزعِ بسطت إليَّ يمينَ مرتجفِ
وبها إرتعاشةٌ طائرٍ فزعٍ من قلبها تسري إلى كتفي

* * *

شحبتْ كلون المغرب الباكي
وتألّقتْ كالنجم عيناها
فتلفتّتْ كحبيس أشراكِ
وحكى اضطراب الموج نهداها

* * *

وأخذتُ أدفىء بردَها بفمي
لو تنفعنَّ حرارةُ القبلِ
قلتُ اهدئي لم ثورة الندمِ
كفّاكِ ترتجفانِ يا أملي

* * *

وجذبتُها بذراعِها نمشي
نمشي وما ندري لنا غرضا
إلفان قد فرا من العشِّ
يتبادلان سعادةً ورضا

* * *

يا لحظة ما كان أسعدها وهناءة ما كان أعظمها
مر الغريبُ فباعدت يدَها وخلا الطريقُ فقربت فمها

* * *

مرت بنا سيارةٌ ومضت فضاحة خطافة النورِ
كشفت لعينيْنا وقد ومضت
ظلين مقنعين في النورِ
ضحكتْ لظلينا وقد عجبت
مما يخال فؤاد مذعورِ
وكأن ضحكتها وقد طربت
قطرات ماء فوق بلورِ

* * *

عوذتها من شر أمسيةٍ
تعيا بها وتضل أبصارُ
وكواكب ليست بمجدية
ظلم مكدسة وأحجارُ

* * *

عثرت بها فرفعتها بيدي
جسماً يكاد يشف في الظلمِ
ويرف مثل الزهر وهو ندى
ويخف مثل عرائس الحلمِ

* * *

وكأنني مما يسوء خلي
وحياتيَ انجابت حوالكُها
أرمي الطريق بناظريْ رجل
وأنا لها طفل أضاحكُها

* * *

ملكتها الدنيا بما وسعتْ
وأنا أهامسها بأسرازي
وأسرها بحكاية وقعت
ورواية من نسج أفكاري

* * *

وإذا الطريق يسير منعطفا
وإذا رياح تضرب السدفا
وكأن منها منذرا هتفا
بلغ المسير نهاية، فقِفا

* * *

يا توأما من صدري انتزعا
يا من دعا قلبي له فسعى
لم أيها الداعي هواك دعا
والدهر يأبى أن نظل معَا

* * *

انظر ذراعيَّ اللذين هما
قد طوقاك مخافة البينِ
أقسم بأنك عائدٌ لهما
إني لممدودُ الذراعينِ

* * *

- ٧ -

ختام الليالي

الليالي! يا ما أمرّ الليالي
غيبتْ وجهك الجميل الحبيبا
أنت قاسٍ معذبٌ ليت اني
أستطيع الهجران والتعذيبا
ان حبي إليك بالصفح سبّا
قٌ وقلبي إليك مهما أصيبا
يا حبيبي كان اللقاءُ غريبا
وافترقنا فبات كل غريبا
غير أني أستنجد الدمعَ لا ألـ
ـقى مكان الدموعِ إلا لهيبا
آه لو ترجع الدموعُ لعيني
جف دمعي فلست أبكي حبيبا

* * *

الاطلال

«هذه قصة حب عاثر: إلتقيا وتحابا ثم
انتهت القصة بأنها صارت أطلال جسد،
وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تسجل
وقائعها كما حدثت».

يا فؤادي رحم اللّهُ الهوى
كان صرحاً من خيال فهوى
اسقني واشربْ على أطلالِهِ
وارو عني طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبراً
وحديثاً من أحاديث الجوى
وبساطا من ندامى حلم
هم تواروا أبداً وهو انطوى.

* * *

يا رياحا ليس يهدا عصفها
نضب الزيتُ ومصباحي انطفا
وأنا أقتات من وهم عفا وأفي العمر لناسٍ ما وفى
كم تقلبت على خنجره
لا الهوى مال ولا الجفنُ غفا
وإذا القلبُ على غفرانِهِ كلما غاربه النصلُ عفا
يا غراما كان مني في دمي قدراً كالموت أوفى طعمِهِ
ما قضينا ساعة في عرسِهِ وقضينا العمر في مأتمه
ما انتزاعي دمعةً من عينِهِ واغتصابي بسمةً من فمِهِ
ليت شعري أين منه مهربي أين يمضي هاربٌ من دمِهِ

* * *

لستِ أنساكِ وقد أغريتني
بفمٍ عذبِ المناداة رقيقْ
ويدٍ تمتد نحوي كيدٍ
من خلال الموجِ مُدّتْ لغريقْ
آه يا قِبلة أقدامي إذا
شكتِ الأقدامُ أشواكَ الطريقْ
وبريقاً يظمأ الساري لهُ
أين في عينيك ذيَّاك البريقْ
لست أنساك وقد أغريتني
بالذرى الشم فأدمنتُ الطموحْ
أنت روح في سمائي وأنا
لك أعلو فكأني محضُ روحُ
يا لها من قمم كنّا بها نتلاقى وبسرّينا نبوحْ
نستشف الغيبَ من أبراجها
ونرى الناسَ ظلالاً في السفوحْ

* * *

أنتِ حسن في ضحاه لم يَزَلْ
وأنا عنديَ أحزان الطَفَل
وبقايا الظل من ركب رحلْ
وخيوطُ النور من نجمٍ أفلْ
ألمح الدنيا بعيني سئمْ
وأرى حوليَ أشباحَ المللْ
راقصات فوق أشلاء الهوى
معولاتٍ فوق أجداثِ الأملْ
ذهب العمرُ هباءً فاذهبي
لم يكن وعدُك إلا شبحا
صفحةٌ قد ذهب الدهرُ بها
أثبت الحب عليها ومحا

انظري ضِحكي واقصْي فرحا
وأنا أحمل قلباً ذُبِحَا
ويراني الناسُ روحاً طائراً
والجوى يطحنني طحن الرحى؟

* * *

كنت تمثال خيالي فهوى
المقادير أرادتْ لا يدِي
ويحها لم تدرِ ماذا حطمتْ
حطمت تاجي وهدّت معبدي
يا حياة اليائس المنفرد
يا يباباً ما به من أحدِ
يا قفاراً لافحاتٍ ما بها
من نجي.. يا سكون الأبدِ..

* * *

أين من عيني حبيبٌ ساحرٌ
فيه نبلٌ وجلالٌ وحياءْ
واثقُ الخطوةِ يمشي ملكا
ظالمُ الحسن شهيُّ الكبرياءْ
عبقُ السحرِ كأنفاسِ الربى
ساهمُ الطرفِ كأحلامِ المساءْ
مشرقُ الطلعةِ في منطقِهِ
لغةُ النورِ وتعبيرُ السماءْ

* * *

أين مني مجلسٌ أنت بهِ
فتنَةٌ تمت سناء وسنى
وأنا حبٌّ وقلبٌ ودمٌ
وفراشٌ حائرٌ منك دنا

ومن الشوقِ رسولٌ بيننا
ونديمٌ قدّم الكأسَ لنا...
وسقانا. فانتفضنا لحظةً
لغبارٍ آدمي مسنا!
قد عرفنا صولةَ الجسمِ التي
تحكم الحيَّ وتطغي في دماه
وسمعنا صرخةً في رعدِها
سوط جلّادٍ وتعذيب إله
أمرتْنا فعصينا أمرَها
وأبيْنا الذلَّ أن يغشى الجباه
حكم الطاغي فكنا في العصاهْ
وطردنا خلفَ أسوارِ الحياهْ

❋ ❋ ❋

يا لمنفيين ضلّا في الوعورْ
دميا بالشوك فيها والصخورْ..
كلما تقسو الليالي عرفا
روعةَ الآلامِ في المنفى الطهورْ..
طردا من ذلك الحِلم الكبيرْ
للحظوظِ السودِ والليلِ الضريرْ
يقبسان النورَ من روحيْهما
كلما قد ضنتِ الدنيا بنورْ

❋ ❋ ❋

أنت قد صيرت أمري عجبا
كثرتْ حوليَ أطيارُ الربى
فإذا قلت لقلبي ساعةً
قم نغردْ لسوى ليلى أبى
حجبتْ تأبى لعيني ماربا
غير عينيك ولا مطلبا

أنـتِ مـن أسـدلـهـا لا تـدعـي
انـني أسـدلـت هـذي الـحُـجُـبـا
ولكم صـاح بي الـيـأسُ انـتـزعهـا
فـيـرد القـدرُ الـسـاخـرُ: دعـهـا

يا لها من خطة عمياء لو أنني أبصر شيئاً لم أطعها
وليَ الـويـل إذا لبيتُهـا ولي الويلُ إذا لم أتبعها

قـد حنت رأسي ولـو كـل القـوى
تـشتـري عـزة نـفسـي لم أبـعهـا

❋ ❋ ❋

يـا حـبيـبـاً زرتُ يـومـاً أيـكَـهُ
طـائـر الـشـوق أغـنـيْ ألـمـي
لـك ابـطـاءُ الـدلالِ الـمـنـعـمِ
وتـجـنـيْ الـقـادرِ الـمـحـتـكـمِ
وحـنـيـنـي لـك يـكـويْ أعـظمـي
والـثـواني جـمـرات فـي دمـي
وأنـا مـرتـقـبٌ فـي مـوضـعـي
مـرهفُ السمـعِ لـوقـعِ القـدمِ

❋ ❋ ❋

قـدم تـخـطـو وقـلـبـي مـشـبـه
مـوجـة تـخـطـو إلـى شـاطـئـهـا
أيـهـا الـظـالـم بـالله إلـى كـم
اسـفـح الـدمـعَ عـلى مـوطـئـهـا
رحـمـةٌ أنـت فـهـل مـن رحـمـةٍ
لـغـريـبِ الـروحِ أو ظـامـئـهـا
يـا شـفـاءَ الـروح روحي تـشتـكي
ظـلـمَ آسـيـهـا إلـى بـارئـهـا...

❋ ❋ ❋

أعـطنـي حـريتـي أطـلقْ يـديّ
انني اعـطيتُ مـا استبقيتُ شيّ
آه من قيـدك أدمى معـصمـي
لـمَ أُبقيـهِ ومـا أبـقـى عـليّ
مـا احتفـاظي بعهـود لم تصُنْهـا
وإلام الأسـر والـدنـيـا لـديْ
هـا أنا جفتْ دمـوعي فاعفُ عنها
انهـا قبلَك لـم تـبـذلْ لـحـيْ

* * *

وهبِ الـطائـر عن عـشـك طـارا
جفتِ الـغـدرانُ والـثـلجُ أغـارا
هـذه الـدنـيـا قلوب جَـمَـدتْ
خبتِ الشعلةُ والـجـمـرُ تـوارى
وإذا مـا قـبس الـقـلب غـدا
من رمـادٍ لا تسـلْهُ كـيف صـارا
لا تسـلْ واذكـرْ عـذابَ المصـطليْ
وهـو يـذكيـهِ فـلا يقـبسُ نـارا

* * *

لا رعـى اللّهُ مـسـاءً قـاسـيـا
قـد أرانـيْ كـلَّ أحـلامي سـدى
وأراني قلبَ من أعبـدُهُ ساخراً من مدمعي سخر العدا
ليت شعري أي أحداث جر ت أنزلت روحَك سجناًموصدا
صدئت روحك في عيهبِها وكذا الأرواح يعلوها الصدا

* * *

قـد رأيتُ الكـونَ قـبـراً ضيـقـا
خـيّم الـيـأسُ عـليـهِ والـسـكـوتْ

ورأت عيـنـي أكـاذيـبَ الـهـوى
واهيـاتٍ كـخيـوطِ الـعـنـكـبـوتْ
كنت تـرثـي لـي وتـدري ألـمـي
لـو رثى للدمـع تمثـال صـمـوتْ
عـنـد أقـدامـك دنيـا تـنـتـهـي
وعـلى بـابـك آمـالٌ تـمـوتْ

* * *

كنت تـدعـوني طـفـلاً كـلـمـا
ثـار حـبـي وتـنـبدتْ مـقـلـي
ولـك الحق لـقـد عـاش الهـوى
فـيّ طـفـلاً ونـمـا لـم يـعـقـلِ
ورأى الـطـعـنـة إذ صـوبـتـهـا
فـمـشـت مـجـنـونـة لـلـمـقـتـل
رمـت الـطـفـلَ فـأدمـتْ قـلـبـهُ
وأصـابـتْ كـبـريـاءَ الـرجـلِ
قلت للنفس وقد جزْنـا الـوصيـدا
عـجلي لا يـنفـعُ الـحـزمُ وئيـدا
ودعـي الـهـيـكـلَ شـبـتْ نـارُهُ
تـأكـلُ الـركّـعَ فيـهِ والسـجـودا
يـتـمـنّـى لـي وفـائـي عـودةً
والهـوى المجـروحُ يـأبى أن نعـودا
لـي نـحـو الـلهـب الـذاكـي بـه
لَـفـتـة الـعـود إذا صـار وقـودا

* * *

لـسـتُ أنـسـى ابـداً ساعـة في الـعـمـر
تـحت ريـحٍ صـفـقـتْ لارتـقـاصِ الـمـطَر
نـوّحـتْ لـلـذِكـر وشـكـتْ لـلـقـمـرَ
وإذا مـا طـربـتْ عـربـدتْ في الشجـرِ

هاك ما قد صبت الريـ ـح بـاذن الـشـاعـر
وهي تغري القلب اغرا ء الـنصيـح الفـاجـر

أيـهـا الـشـاعـر تـغـفـو
تـذكـرُ الـعـهـدَ وتـصـحـو
وإذا مـا الـتـأم جـرحٌ
جـد بـالـتـذكـارِ جـرحُ

فتعلمْ كيف تنسى وتعلمْ كيف تمحو
او كـل الحب في رأ يِـكَ غفـرانٌ وصفـحٌ

* * *

هـاك فانظرْ عددَ الرمـ ـلِ قـلوبـا ونـسـاءْ
فـتـخـيـرْ مـا تـشـاءْ ذهب الـعـمـرُ هبـاءْ
ضـل في الأرض الذي ينشـد أبنـاء السـمـاءْ
أي روحـانـيـة تـعـ ـصر من طين ومـاءْ..

* * *

أيـهـا الـريـح أجـلْ لـكـنـمـا
هـي حـبـي وتـعـلاتـي ويـأسـي
هـي في الـغـيـبِ لـقـلـبي خلقتْ
أشـرقتْ لي قبـل أن تشـرقَ شمسِ
وعـلى مـوعـدهـا أطبقتُ عيني
وعـلى تـذكـارهـا وسـدتُ رأسي

* * *

جنّتِ الـريـحُ ونـادتـ ـه شيـاطين الـظلام..
أختـامـاً كيف يحلو لـك في البدء الختـام
يـا جريحا اسلمَ الجر حَ حـبـيـبـا نـكـأهْ
هـو لا يـبكي إذا الـنـ ـاعي بـهـذا نـبـأهْ
أيهـا الجبار هـل تصـ ـرع من أَجـل امرأهْ..

* * *

يا لها من صيحةٍ ما بعثت
عنده غير أليمِ الذكرِ
ارقت في جنبه فاستيقظت
كبقايا خنجر منكسرِ
لمع النهرُ وناداه له
فمضى منحدراً للنهرِ
ناضبُ الزادِ وما من سفرِ
دون زادٍ غير هذا السفر

* * *

يا حبيبي كل شيء بقضاءْ
ما بأيدينا خُلِقْنا تعساءْ
ربما تجمعُنا أقدارُنا
ذات يومٍ بعدما عزّ اللقاءْ
فاذا أنكر خلٌّ خلَّه
وتلاقينا لقاءَ الغرباءْ
ومضى كلٌّ إلى غايتِهِ
لا تقلْ شيئا! وقل لي الحظ شاءْ

* * *

يا مغني الخلد ضيعت العمرْ
في أناشيد تغنّى للبشرْ
ليس في الأحياءِ من يسمعنا
ما لنا لسنا نغني للحجرْ
للجمارات التي ليستْ تعي
والرميمات البوالي في الحفرْ
غنّها سوف تراها انتفضتْ
ترحم الشاديْ وتبكي للوترْ

* * *

يا نداء كلما أرسلتُهُ
رد مقهوراً وبالحظِّ ارتطم
وهتافاً من أغاريد المنى
عاد لي وهو نواحٌ وندمْ
رب تمثالٍ جمالٍ وسنا
لاح لي والعيش شجو وظلمْ
ارتمى اللحنُ عليهِ جاثياً
ليس يدريْ أنه حسنٌ أصمْ

* * *

هدأ الليلُ ولا قلب له
أيها الساهر يدري حيرتكْ
أيها الشاعر خذ قيثارتكْ
غنِّ أشجانك واسكبْ دمعتَكْ
رب لحن رقص النجمُ له
وغزا السحب وبالنجم فتكْ
غنّهِ حتى نرى سترَ الدجى
طلع الفجرُ عليه فانهتكْ

* * *

وإذا ما زهرات ذعرت
ورأيت الرعبَ يغشى قلبها
فترفقْ واتئدْ واعزفْ لها
من رقيقِ اللحنِ وامسحْ رعبَها
ربما نامتْ على مهدِ الأسى
وبكتْ مستصرخاتٍ ربها
أيها الشاعر كم من زهرةٍ
عوقبتْ لم تدرِ يوماً ذنبَها

* * *

متفرقات

ذات مساء

وانتحينا مَعاً مكاناً قصياً
نتهادى الحديث أخذاً وردّا
سألتني مللتنا أم تبدلـ
ـتَ سوانا هوىً عنيفاً ووجدا
قلت هيهات! كم لعينيكِ عندي
من جميلٍ كم بات يهدى ويسدى
انا ما عشت أدفع الدين شوقا
وحنينا إلى حماكِ وسهدا
وقصيداً مجلجلاً كل بيتٍ
خلفَه ألفُ عاصفٍ ليس يهدا
ذاك عهدي لكل قلبك لم يقـ
ـض ديونَ الهوى ولم يرعَ عهدا
والوعودُ التي وعدتِ فؤادي
لا أراني أعيش حتى تؤدَّى

رواية

نزل الستارُ ففيمَ تنتظرُ
خلت الحياةُ وأقفر العمرُ
لم يبقَ إلا مقفر تعس
تعوى الذئابُ به وتأتمرُ
هو مسرحٌ وانفضَّ ملعبُهُ
لم يبقَ لا عينٌ ولا أثرُ

وروايــة رويــت ومــوجــزهــا
صحـبٌ مضـوا وأحبّـةٌ هجـروا
عبـروا بهـا صـوراً فمـذ عبـروا
ضحـك الـزمـانُ وقهقـه القـدرُ

يأس على كأس

- ١ -

أصبحتُ من يـأسي لـو أن الـردى
يهتف بي، صحتُ بـه هـيـا
هيـا فمـا في الأرضِ لي مطمح
ولا أرى لـي بـعـدهـا شيـا
مـاذا بقـائي هـا هنـا بعـدمـا
نـفضـتُ منـه الـيـومَ كـفـيـا
أهـربُ من يـأسي لكـأسي التي
أدفـنُ فـيـهـا أمـلي الـحـيّـا
يـا أيـهـا الـهـارب مـن جنـتي
تـعـال أو هـات جـنـاحـيـا
نبكي شبـابينـا ونبكي المنى
وتـرتـمـي بـيـن ذراعـيـا

* * *

- ٢ -

اني على يـأسي وكـأسي كـابـي
وعلى سـرابي عـاكـف وشـرابـي
ولقـد فـرغتُ من التعلل بـالمنى
الا وميضـاً في الـرمـاد الخـابـي

رمــقــاً يــعــللني بــأنــك عــائــدُ
يــومــا لقلبيِ قبــل يــوم دهــابي
حتى اذا الأقــدار شئن وعــدت لي
راجعتُ نـفـسي واتهـمت صــوابي
أأرى شـروقَـك في أفــولِ مغـاربي
وأشم عــطرَك في ذبــولِ شبـابي!

* * *

- ٣ -

هات اسقني واشربْ على سر الأسى
وعلى بقــايــا مـهجــة وشـجــاهــا
مهــلا نــديمي! كيف ينسى حبهــا
من ينشــد السلوى على ذكــراهــا
مــا زلت تسقيني لتنسيـني الـهــوى
حتى نسيتْ، فمــا ذكـرت ســواهــا
كــانت لنــا كــأسٌ وكــانت قصــةٌ
هــذا الـحبــاب أعــادهــا ورواهــا
الآن غشــاهــا الضبــابُ وهــا أنــا
خلفَ المــآسي والــدمــوعِ أراهــا
غــال الـزمــانُ ضبــابَهــا وحبــابهــا
وتـبــخــرتْ أحــلامُــهــا ورؤآهــا
لا تبكِهــا ذهبتْ ومــات هــواهــا
في القلب متســعٌ غــدا لســواهــا
أحببتُهــا وطــويتُ صفـحتَهــا وكم
قــرأ الـلبيبُ صحيـفــةً وطــواهــا
تلك الــوليـدة لم تــطل بشــراهــا
لمّــا تكــد تــطأ الثرى قــدمــاهــا
زف الصبــاحُ إلى الرمــال نــداءَهــا
وســرى النسـيمُ عشيــةً فنعــاهــا

عاصفة روح

(الزورق يغرق والملاح يستصرخ)

أيــن شط الــرجــاءْ يــا عُـبـاب الـهــمــومْ
لــيــلــتــي أنــواءْ ونــهــاري غــيــومْ

* * *

أعــولــي يــا جــراحْ اســمــعــي الــديّــانْ
لا يــهــم الــريــاحْ زورقٌ غــضــبــانْ

* * *

الــبــلــى والــشــقــوبْ في صـمـيـم الـشــراعْ
والـضـنـى والـشـحــوبْ وخــيــالُ الــوَداعْ

* * *

اســخــري يــا حــيــاهْ قــهــقــهــي يــا رعــودْ
الــصــبــا لــن أراهْ والــهــوى لــن يــعــودْ

* * *

الأمــانــي غــرورْ فــي فــم الــبــركــانْ
والــدجــى مــخــمــورْ والــردى ســكــرانْ

* * *

راحــتِ الأيــامْ بــابــتــســام الــثــغــورْ
وتــولــى الــظــلامْ في عــنــاق الــصــخــورْ

* * *

كــان رؤيــا مــنــامْ طــيــفــك الــمــســحــورْ
يــا ضــفــاف الــســلامْ تــحــت عــرش الــنــورْ

* * *

اطحني يا سنين مزقي يا حرابْ
كل برق يبينْ ومضه كذابْ

* * *

اسخري يا حياهْ قهقهي يا غيوبْ
الصبا لن أراهْ والهوى لن يؤوبْ

* * *

كبرياء

- ١ -

نداؤك يا فؤادَ كفى نداءَ
أما تنفك تسقيني الشقاءَ
أنا ظمآن لم يلمعْ سرابُ
على الصحراءِ الا خلتُ ماءَ
وأنت فراش ليلى كل نور
وتبعث كلَّ برق قد أضاءَ
فؤادي قل لها لما افترقنا
على شجن، وما نرجو اللقاءَ
حببتكِ ما شدوت شعراً(!!)
ولكني اعتصرت لكِ الدماءَ
إذا أنا في هواك أضعت روحي
فلست أضيعُ فيك دمي هباءَ
غرامُكِ كان محراب المصلى
كأني قد بلغتُ بكِ السماءَ
خلعت الآدميةَ فيه عني
ولكن ما خلعت به الإباءَ

فلم أركعْ بساحته رياءَ
ولا كالعبد ذلًّا وانحناءَ
ولكني حببْتُكِ حبَّ حرٍّ
يموتُ متي أراد وكيف شاءَ

* * *

- ٢ -

وحبيب كان دنيا أملي
حبه الحرابُ والكعبةُ بيتُهْ
من مشى يوماً على الوردِ له
فطريقي كان شوكا ومشيتُهْ
من سقى يوماً بماءٍ ظامئاً
فأنا من قدحٍ العمرِ سقيتُهْ
خفق القلبُ له مختلجاً
خفقةُ المصباح إذ ينضبُ زيتُهْ
قد سلاني فتنكرتُ لهُ
وطوى صفحةَ حبي فطويتُهْ

* * *

- ٣ -

أقبلتُ للنيلِ المباركِ شاكياً
زمني وقد كثرتْ عليَّ همومي
ومسحتُ كفيْ والجبينَ بمائهِ
علِّي أهدىء ثورةَ المحمومِ
وجلست أنثرُ جعبةً معمورةً
بالذكرياتِ جديدِها وقديمِ

لهفي لحب مات غيرَ مدنسٍ
وشباب عمر مرَّ غيرَ ذميمِ
خان الأحبةُ والرفاقُ ولم أخنْ
عهدي لهم وصفحتُ صفحَ كريمِ
أيخيفُني العشبُ الضعيفُ أنا الذي
أسلمت للشوكِ الممضِّ أديمي
وإذا ونى قلبي يدق مكانه
شممي وتخفقُ كبرياءُ همومي
اني لأحمل جعبتي متحديا
زمني بها وحواسدي وخصومي
أحني لعرش الله رأساً ما انحنى
بالذل يوماً في رحابِ عظيمِ

اذكري

اذكري ذاك المساءَ كيف كنا سعداءَ
لم يدعْ عنديَ همّاً ومحا عنك الشقاءَ
ملأ الدنيا صفاءَ عندما شئتِ وشاءَ
أحسن الدهرُ إليْنا بعدما كان أساءَ
كلما أقبلت السحـ ـب فظلّلن السماءَ
قاتمات غائمات يتهادينَ بطاءَ
لاح نجمٌ من بعيد فتجلى وأضاءَ
وتصدّى قمرٌ را ح على الأرضِ وجاءَ

رسائل محترقة

ذوت الصبابةُ وانطوتْ وفـرغـتُ من آلامهـا
لكنني ألقى المنايا من بقـايـا جـامهـا
عـادت إليَّ الذكريات بحشـدهـا وزحـامها
فـي ليـلة ليـلاء أرّ قني عصيب ظـلامها
هـدأت رسائـل حبها كـالطفـل، في أحلامها
فحلفت لا رقـدت ولا ذاقت شهيَّ منـامِها
أشعلت فيها النار تـر عى في غزيز حطامها
تـغتـال قـصـة حبنـا من بـدئها لختـامها
أحـرقتُها ورميت قلـ ـبي في صميم ضرامها
وبكى الـرمـاد الآدمي عـلى رمـاد غـرامها

الغريب

يـا قـاسيَ البعـد كيف تبتعـدُ
انـي غـريبُ الـديـارِ مـنـفـردُ
إن خـانني اليومُ فيك قلت غـداً،
وأيـن مـنـي ومـن لـقـاك غـدُ
إنّ غـداً هـوةٌ لـنـاظـرهـا
تـكـاد فيهـا الـظنـون تـرتعـدُ
أطـل في عـمـقِهـا أسـائـلها
أفـيـك أخـفـى خـيـالَـهُ الأبـدُ
ألامس الجـرحَ مـا الـذي صنعتْ
بـه شـفـاهُ رحـيـمـةٌ ويـدُ
مـلء ضـلوعي لـظى واعـجبُـهُ
انـي بـهـذا الـلهـيـبِ ابـتـردُ

يـا تـاركي حيث كـان مجلسنـا
وحـيـث غـنّـاك قـلبـيَ الـغـرِدُ
أرنـو الى النـاس في جمـوعِهم
أشـقتْـهمُ الـحـادثـاتُ أم سعـدوا
تـفـرقـوا أم بـهـا احـتـشـدوا
وغـوّروا هـابـطيـن أم صـعـدوا
انـي غـريـبٌ تعـال يـا سكـنـي
فـليس لـي فـي زحـامِهـم أحَـدُ

بعد الفراق

- ١ -

أجـل! أهـواكِ أنتِ مُنى حيـاتـي
وأنـت أحب من بصـري وسـمعي
وهـل أنسـاكِ كـلا لسـت أنسى
هـوى قـد كـان إلهـامي ونـبعي
لبست من الـتصبـر عنـكِ درعـا
فـهـا أنـا تـنـزعُ الأيـامُ درعـي
وهـا أنـا لست أدري عنـك سـرا
عـرفـتِ محـبتي ورأيـتِ دمـعي
تـلاشـت قـوتي وغدا فـؤادي
كـأن خـفـوقَـه خلجـاتُ نـزعِ
أبـشـره فيـرقص فـي ضلوعـي
وأنـظرُ سـودَ أيـامـي فـأنـعـي
وقـد نضبَ الخيـالُ وغـاض طبعي
ومـات على حياض اليـأسِ زرعي
أجـرجـرُ وحـدتي في كـل حشـدٍ
وأحمـل غـربتي في كـل جمـع

- ٢ -

مـزَّقَـتـه فـصـار والله لا يـقـ
ـدر حتـى أن يـسـأل اللّهَ رفـقـا
لـجـةٌ بعـد لـجـةٍ كـلمـا صـا
رع ردت لـه أمـانـيـهِ غـرقـى
فـيلقٌ بـعـد فيلقٍ حـجـب الشمـ
ـس ولـم يـبـقِ لـلنـواظـر أفـقَـا
وسـنـانُ الغـروب تـغـزوه حـمـرا
وسـنـانُ الـعـذاب تـطـعـن زرقـا
وجيـوشُ الـظلامِ تـزحفُ زحـفـاً
وثقـالُ الأقـدامِ تسحقُ سـحقـا . .

المآب

«خرج الشاعر من مصر مريضاً، ورجع
اليها مكسور الساق يحمل عكازتين، فلما
أشرفت السفينة على بور سعيد استقبل الشاعر
مصر بهذه الأبيات»:

هتفتُ وقـد بـدت مصـر لـعيني
رفـاقـي! تلك مـصـر يـا رفـاقـي
أتـدفعني وقـد هـاضت جنـاحي
وتـجـذبنـي وقـد شـدت وثـاقـي
خـرجتُ من الـديـارِ أجـرُّ همي
وعـدتُ الى الـديـار أجـرُّ سـاقي

في الأوتوجراف

من ن الى هـ

طلبتِ الكتابـةَ يـا جنتي
ومـاذا تـريـدين أن أكتبـا
ومـا في الجوانـح خـافٍ عليـكِ
وقـلبـك يعـلم مـا غيـبـا
سـأكتب أنـكِ أنت الـربيـعُ
وأنـكِ أنضـر مـا في الـربى
وأنـكِ أنت الجمالُ الفـريـدُ
وفـجـرُ الشبـابِ وحلمُ الصبـا
أهلل بـاسمكِ عنـد الصبـاح
وأطـوي على ذكركِ المغـربا . .

شكوى الزمن

يا ويلتا من عمريَ الباقي	هذا سوادٌ تحت أحداقي
هذا بياضُ الشيب واعجبي	من مغرب في زِي اشراقِ
ويـلي عـلى كـأسٍ مـعـربـدةٍ
وعلى دمٍ في الكـأس مهـراقِ
وعلى سراب خادعٍ وعلى	متألقِ اللمحاتِ بـراقِ
طاف الزمان به على نفرٍ	مـالوا بهـاماتٍ وأعناقِ
صُـرعـوا وأنت تـظنهم سكـروا
مـات الندامى أيهـا السـاقي
يـا دهـر لم أشـك الكـلالَ ولا
ملكتْ خـطوبُ الـدهـر إرهـاقي
عـذبـت أيـامي بـعِـفَّـتـهـا
وقـتـلتـهـا بـصـفـاء أخـلاقـي

يا كم غرست وكم سقيت وكم
نضرت من زهر وأوراقِ
ما حيلتي والأرضُ مجدبةٌ
سيان إقلالي وإغداقي
أين الذين رفعت فانحدروا
وبنيتُهم بنيان خلاق
أن الوفاءَ بضاعةٌ كسدَتْ
ومآل صاحبِها لإملاقِ
إن كنتُ لم أغنمْ فقد ظفرا
مني بمغفرتي وإشفاقي
لكنني والجرح يُلهب لي
حسي ويكوي كَي إحراقِ
هيهات أنسى أنهم عبثوا
ووفيْتُ لم أعبث بميثاقي

كل الورى

كل الورى يدعون حبكْ
أنا الوحيد الذي أحبكْ
صدرُك فيه اضطرابُ شوقٍ
يقرع قرع العبابِ جنبكْ
فكيف تخلي به مكاني
وتسكن الغادرين قلبكْ
لما اعتنقنا على اشتياقٍ
لمست بالساعدين خطبكْ
تعال لا تعتذر لذنب
بقدر حبي غفرت ذنبكْ

* * *

طال على المتعب الطريق

بلا حبيب ولا صديق

قد بعد الشاطىء المرجى

والموج لا يرحم الغريق

في واضح النور جنح ليل

وفي الرحاب الفساح ضيق

يا أرجوان الغروبِ مهلا

ولْتتئدْ أيها العقيق

صبغت عمري فصرت أمشي

على دمائي التي أريق..

* * *

يا مسرحاً والفصول تترى

عليه مالي بك اغترارْ

فلا بخير ولا بشرٍّ

ولا طوال ولا قصارْ

ما خنت عهدي لمن تولى

كلا ولا خانني اصطبارْ

أين الليالي التي تسرُ

بلا لقاء ولا مزارْ

كم قلت ذا مشهد يمرُّ

ولم أقلْ أنه ستارْ

* * *

إن كان للمشجياتِ رسمُ

إني تمثالها المقامْ

بلا دموع ولا شكاةٍ

قد جمد الدمعُ والكلامْ

يا طالب الحزن في المآقي

لا تنشد الدمع في الرخامْ

وخـــذهُ مـــن أخـــرسٍ مـــريـــر
من شـفـًـه دمـعُـهـا ســجـامْ
فـهـل فمٌ قــد بـكـى بـكـــائي
مـن ذا رأى دمـعـــةَ ابـــتـــســامْ

صور شعرية

- ١ -

راقصة

عجباً لعارية كسا ها الفنُّ حسناً رائعا
سمراء وشتها بنا نتُه بياضاً ناصعا
شبه الفرائد قد كسيـ ـن في الغمام براقعا
خبأن نصفا ي الدجى وجلون نصفا لامعا
من أي وديان الظبا ء ملاعبا ومراتعا؟
من عبقر، ومن الالهـ ـب، ومن فنونهما معا
تبدين ريان الشدي لنا وخصراً جائعا
وترين كونا يشبه الـ ـكونَ الرحيبَ الواسعا
متغاير الابداع مخـ ـتلف المحاسن جامعا
لك خفة الطير المحـ ـلق طائراً أو واقعا
لك خفة البطل المجـ ـلي مقبلاً أو راجعا
متمهلاً للخصم حيـ ـنا للّقاءِ مسارعا

الصنم الجميل

يا قلبي الشاكي المعذ ب هذه الشكوى لِمَا
حان الفرارُ وآن للمـ ـسجون أن يتنسما
حان الحسابُ وآن للـ ـموتور أن يتكلما
يا طفليَ النواح آ ن اليوم أن تتعلما
أسفي لغالي الدمع تبـ ـذله لمُرتجِصِ الدمى

أفنيتــه ورجعـت حـ ـتى من دموعك معـدما
فـإذا افتقدت الـدمع عـ ـز فـتبـكـيـنّ تبـسمـا
تبكي على العرش المصو غ من المـدامع والـدما
تبكي على الصنم الجميـ ـل يكـاد أن يتهكـمـا
تبكي تراب الأرض مصـ ـبوغا بـألـوان السمـا

الليل في فينيسيا

يـا رب مـا أعجب هـذي البـلاد
لا ليـلَ فيهـا! كـل ليـلٍ صبـاح
وكـل وجـه في حمـاهـا ضِمـاد
ومـصـر لا تـنـبـت الا الـجـراح

شكوك

يـا رامي السهم يدري أين مـوضعـه
مـني ويـعلم مـا داريـت مـن ألـمِ
رميتَ في سـاحـةٍ مـوسـومـة بـدمٍ
منقـوشـةٍ بنـدوب الحبِّ والنـدمِ
لا يخـدعنَّـكَ منهـا وهي صـامتـةٌ
صمت القبـور فراغُ المـوتِ والعدم
فكم شفـاه جـراحـاتٍ اذا انـطبقت
جـرح الإبـاءِ عليهـا غيـر ملتئم
فيم انتقـامـك من قلب عصفتَ بـه
لم يبقَ من مـوضـع فيـه لمنتقمِ
وفيم لـذعـة سخطٍ من جـوى برمٍ
تـرمي بجمرتـه في جوف مضطرم !

النسيان

حـان الـشفـاءُ فـودع الألـمـا
واستقبـل الأيـامَ مـبتسـمـا
ضيفٌ مـن الـسلوان حـل بنـا
حـدبُ اليـدين مبـاركُ قـدمـا
أو ما ترى الضيفَ الـذي قدما
يـطوي الغيوبَ ويـذرعُ الـظلما
فـي كـفِـهِ كـأسٌ يـقـدمهـا
تمحـو العذابَ وتغسـلُ الـندما
فـاشـربْ ولا تـرحمْ ثمـالتَهـا
لهفي عليـك شـربتَ أي ظمـا
فيض من النسيان يغمرني اني لأحمد سيله العرما
مـستـسلمـاً لـلمـوج يغمـرني
فـرحـان حين أعـانقُ العـدمـا

المساء

يـا غـلة المـتـلهـفِ الـصـادي
يـا آيتي وقصيـدتـي الكـبـرى
مـاذا تـركـت لـديَّ من زادِ
إلا استعـادة هـذه الـذكـرى
يـا لـلمسـاء الـعبـقـري ومـا
أبـقى عـلى الأيـام في خـلدي
شفتـاك شـفـا لـوعـةً وظمـا
وجمـالـك الجبـار طـوعُ يـدي
نمشي وقـد طـال الـطريقُ بنـا
ونـودُّ لـو نـمشـي إلى الأبـدِ

ونـــود لـــو خلتِ الحيـــاة لنـــا
كـــطريقنا وغـــدتْ بـــلا أحـــدِ
نبني على أنـقـــاض مـــاضينـــا
قصـــراً من الأوهـــام عمـــلاقـــا
ونـــظل نـنســـج مـــن أمـــانينـــا
وشـيـــا مـن الأحـــلام بـــراقـــا
وأظـــل أسـقيـهـــا وتـمـــلأُ لـــي
من مـــورد خلف الـظنـــون خفي
حتى إذا سـكـــرت من الأمـــلِ
وتـــرنحت مـــالـت على كـتفـــي
حـــلفت بـــأنـي مغتـــد مـعـهـــا
حيث اغتـــدت وهواي في دمهـــا
فمسحت بـــالـقبـــلات أدمعَهـــا
وطبعـت ميـثـــاقي عـــلى فمـهـــا

عذاب

ألـمي مـحـا ذنبـي إلـيـك وكـفّـرا
هبني أسـأت ألم يـحنْ أن تـغفـرا
روحـي ممـزقـةٌ وأنـت تـركـتَـهـا
لمخـالـب الـدنيـا وأنيـابِ الـورى
روحــي مـمـزقـةٌ ولـو أدركـتـهـا
جمّعت من أشـلائـهـا مـا بعثـرا
أو ليس لي في ظـل حبك مـوضـع
أحـبـو اليـه وأرتـمي مـستنصـرا؟
مـا كنت أصبـر عن لقـائك سـاعـة
كيف اصطباري عن لقـائـك أشهـرا
من بـدّل الثغـرَ الجميـلَ عبـوسـة
ومضى إلى وجـه السـمـاء فكـدرا
يـا هـاتـه الأقـدار! عينـك لا تـرى
تحت الـدجى سأمـان ممتنع الكـرى
ظـمـآن، لـو بـاع الأحبـةُ قـطرةً
بـالعمـر والـدنيا جميعـاً لاشتـرى
اخفى جـراحـك واستعـز بفتكهـا
غـريدك الشـادي المحلق في الذرى
يـرنـو اليـك على البعـاد ويعتلي
فيجـره الجـرحُ المميتُ إلى الثـرى
قـد عـاش وهـو معـذبٌ بـإبـائـه
ولـقـد يـلاقي يـومَـه مستكبـرا
حتـام كتمـانـي وطـول تجـلدي
يـا أيهـا الجـانيٍ عليَّ ومـا درى
ومتى الـمـآب إلى رحـابِـك مـرة
لأريـك جـرحي والـدمـا والخنجـرا

ملحمة السراب

- ١ -

السراب في الصحراء

السرابُ الخؤون والصحراءُ
والحيارى المشردون الظماءُ
وليالٍ في إثرهن ليالٍ
سنة أقفرَت وأخرى خلاءُ
قلّ زادي بها وشح الماءُ
وتولى الرفاق والخلصاءُ
كيف للنازح الحبيب ارتحالي
وجَناحاي السقم والبرحاءُ
وجراحي المستنزفات الدوامي
وخطاي المقيدات البطاءُ

ادركي زورقي فقد عبث اليـ   م به والعواصف الهوجاءُ
والعبابُ العريضُ والأفقُ المو   حشُ واللانهاية الخرساءُ
أفق لا يحد للعين قد ضا   ق فأمسى والسجن هذا الفضاءُ
سهرت ترقب الصباحَ وعين الـ   ـنجم كلّت وما بها إغفاءُ
عجبي من ترقبي ما الذي أر   جو ولما يعدْ لقلبي رجاء

وأنا مرهفُ المسامع فيه
لي إلى كل طارقٍ إصغاءُ...

* * *

التقينا كما التقى بعد تطوا   فٍ علي القفر في السرى انضاءُ
قطعوا شوطَهم على الدم والشو   ك وراحوا على اللهيبوجاؤ وا
في ذراعي أو ذراعيك أمن   وسلامٌ ورحمةٌ ونَجاءُ
وعلى صدرك المعذب أو صد   ريَ حصنٌ وعصمةٌ واحتماءُ

كم أناديك في التنائي فترتـ ـد بلا مغنم ليَ الا صداء
وأنـاديك في دمـائي فتنسا ب على حسرةٍ لدي الدماءُ
وأناديك في التداني وما أطـ ـمع إلا أن يستجاب النداءُ
باسمك العذب إنه أجملُ الأسـ ـماء مهما تعـددت أسماءُ
لفظة لاتبين تنطلق الأقد ارُ عن قوسها ويرمي القضاءُ

❋ ❋ ❋

وهي بين الشفاهِ نايٌ وتغريـ ـدٌ وطيـرٌ وروضـةٌ غنّـاءُ
وهي في الطرس قصةٌ تذكر الأحـ ـبابُ فيها وتحشد الأنباءُ
صـدفةٌ ثم وقفـةٌ فـاتفـاقٌ فـاشتيـاقٌ فمـوعـد فلقـاءُ
فقليلٌ من السعادةِ لا يكـ ـمل فيه ولا يطولُ الهناءُ
فحنينٌ فلوعـةٌ فـاحتــراقٌ فجحيمٌ وقــودُه الشهـداءُ
مـا بقـائي وأجمـل العمـر ولّى
وانتــظاري حتـى يحـين الـشتـاءُ
يـطلع الفجرُ مـرهقاً شـاحب النـو
ر عـليـه الـكـلالُ والإعــيـاءُ
وبنفسي دب الـمسـاءُ وحـل الـ
ـليـل من قبـل أن يحين المســاءُ

❋ ❋ ❋

زرتني كالربيع في موكب الزهـ ـر لـه روعـةٌ وفيـهِ رواءُ
ولـك الـوجـه أومض الحسنُ فيـه
والتقى السحــرُ عنـده والــذكـاءُ
وشحوبٌ كظل خمر وللند مان تجلو شحوبُها الصهباءُ
ولك الجيد أتلعا أودع الصا نع فيه من قدرة ما يشاءُ
قدَّ من مرمر وشعشعه الفجـ ـرُ بوردٍ وصب فيه الضياءُ
وأنا الطائر الذي تصطبي نفـ ـسي السماوات والذرى الشماءُ
راشني صائدٌ رماني فأدما ني وولّى الجاني وعاش الداءُ
مرحباً بالهوى الكبير، فإن يـ ـبقَ وإن تسلمي يطبْ لي البقاءُ
فهو القمةُ التي تهزمُ المو تَ ولا يرتقي إليها الفناءُ

مرّ يومي كأمسِه مسرحاً تعـ ـرض فيه الحياةُ والأحياءُ
آدم كالقديم قلباً وتفكيـ ـراً ولكن تبدل الأزياءُ
لم يحلْ طبعه ولا ذات يوم
لبست غير نفسها حواءُ
والنضارُ المعبود قُدْسٌ وقربا نٌ وربٌ والشهرةُ الجوفاءُ
والحطامُ الفاني عليه اقتتالٌ
والأماني بريقُها إغراءُ
وسفينٌ تمر أثر سفينٍ
والرياحُ اللذات والأهواءُ
والغيوبُ المحجباتُ رحابٌ
تعبت في رموزها الحكماءُ
عندها المرفأ المؤمل والشط
المرجّى والصخرة الصماءُ..
مرّ يومي كأمسه وأتى لـ ـيلٌ بهيج تزف فيه السماءُ
قد جلت فيه عرسَها، كل نجم
قدحٌ يستحم فيه الضياءُ
لم تزل تسكب السلاف وللأقـ ـداحِ فيها تجددٌ وامتلاءُ
لم تزل.. حتى هوّم الحانُ نعسا نَ وأغفى البساطُ والندماءُ
غير نجم في جانب الليل يقظا نَ، له روعة بها وجلاءُ
ذاك نجمُ الحبيب مني له الشو قُ ومنه الوميضُ والإيماءُ
كم أغنيهِ بالحنين كما غـ ـنت على فرعِ غصنها الورقاءُ
وذراعيَّ في انتظارٍ، وصدري
فيه بالضيف فرحةٌ واحتفاءُ
موقداً للغريب نار ضلوعي
فعسى للغريب فيها اهتداءُ...

* * *

لمَ خليتني وباعدت مسرا كَ ومالي إلى ذراكَ ارتقاءُ
بالذي فيك من سنا لا تدعني
فيم هذا المطال والإبطاءُ

ما تـراني وقـد ذهبت بحـظي
أخـطأبي سن بعـدك الـنعـمـاءُ
وانتهى بعدك الجميلُ فلا فضـ ـلٌ لمسدٍّ ولا يدٌ بيضـاءُ
ومشى الحسن في ركابك والإحـ ـسان طراً والغرة السمحاءُ
حسنات كانت يد الدهر عندي
فـانـطوت بـانـطوائـك الآلاءُ

- ٢ -
السراب على البحر

لا القـوم راحـوا بـأخبـارٍ ولا جاؤوا
ولا لـقلبـك عـن ليـلاك أنبـاءُ،
جفـا الـربيـعُ ليـالينـا وغـادرهـا
وأقفـر الـروضُ لا ظـل ولا مـاءُ
يـا شافي الـداء قد أودى بي الـداءُ
أمـا لـذا الـظمـأ الـقتـال إرواءُ
ولا لـطائـر قـلبٍ أن يـقـر ولا
لِمـركب فـزع فـي الشط إرسـاءُ!
عنـدي سمـاء شتـاءٍ غيـر ممـطرةٍ
سـوداء في جنبات النفسِ جـرداءُ
خـرسـاء آونـة هـوجـاء آونـة
وليس تخـدع ظني وهي خـرسـاءُ
وكيف تخـدعني البيـداءُ غـافيـة
ولـلسـوافي على البيـداء إغـفـاء
أأنتِ نـاديتِ أم صوتٌ يخيـل لي
فلي إليـكِ بـأذن الـوهـم إصغـاءُ
لبيكِ لو عنـد روحي ما تـطير بـه
وكيف ينهضُ بـالمجـروحِ إعيـاءُ

تفرق الناس حول الشط واجتمعوا
لهم بـه صخبٌ عـالٍ وضـوضـاءُ
وآخـرون كسـالى في أمـاكنِهـم
كـأنهمْ في رمـال الشط أنضـاءُ
هم الـورى قبل إفسادِ الـزمان لهم
وقبـل أن تتحـدّى الحبَّ بغضـاءُ
ضـاقت نفوسٌ بـاحقـادٍ ولـو سلمت
فـإنهـا كسمـاء البحـر روحـاءُ...
تـألقتْ شمسُ ذاك اليوم واضطرمت
كـأنهـا شعـلٌ في الأفْقِ حمـراءُ
طابت من الظل، ظل القلب ناحيةٌ
لنـا، وقـد صَلِيَتْ بـالحـرِّ أنحـاءُ
ما لي بهم، أنت لي الدنيا بأجمعها
ومـا وعـت ولقلبي منـك إغنـاءُ
لـو أنـه أبـدٌ مـا زاد عـن سنـةٍ
ومـدةُ الحلم بـالجفنين إغفـاءُ
أرنـو اليك وبي خـوفٌ يسـاورني
وانثني ولـطرفي عنـك اغضـاءُ
إذا نـطقت فمـا بـالقـول منتفـعٌ
وان سكت فـإن الصمتَ افشـاءُ
وأيمـا لـفـظة فـالـريـحُ نـاقلةٌ
والشطُّ حـاكٍ لهـا والأفـقُ أصـداءُ
يـا ليـل من علم الأطيـارَ قصتنـا
وكيف تـدري الصبـا أنـا أحِبـاءُ
لمـا أفقنـا رأينـا الشمسَ مـائلةً
إلى المغيـب ومـا للبين إرجـاءُ
شـابت ذوائبُ، وانحلت غدائـرُهـا
شهبـاء في سـاعـة التوديـع صفـراءُ

مشى لها شفقٌ دامٍ فخضبها
كأنه في ذيولِ الشعرِ حِناءُ

* * *

يا من تنفس حر الوجد في عنقي
كما تنفس في الأقداح صهباءُ
ومن تنفست حر الوجد في فمه
فما ارتويت وهذا الري إظماءُ
ما أنت عن خاطري بالبعد مبتعد
ولن تواريك عن عينيّ ظلماءُ..

- ٣ -

السراب في السجن

يا سجين الحياة أين الفرارُ
أوصد الليلُ بابه والنهارُ
فلمنْ لفتةٌ وفيم ارتقابٌ
ليس بعد الذي انتظرت انتظارُ
والتعلات من هوى وشباب
قصة مسدلٌ عليها الستارُ
ما الذي يبتغي العليلُ المسجَّى
قد تولى العوادُ والسمارُ
طال ليلُ الغريب وامتنع الغمـ
ـض وفي المضجع الغضا والنارُ

* * *

وهَب السجنُ بابه صار حرا
لكَ لا حائل ولا أسوارُ

وعفا القيدُ عنك كفاً وساقاً

فإذا الأرض كلها لك دارُ

أين أين الرحيل والتسيار

بعدت شقة وشط مزار

والخطى المثقلاتُ باليأس أغلا

لُ لساقيك والمشيبُ عثارُ

ما انتفاع الفتى اذا عفت الجـ

ـنة واجتاح دوحَها الأعصارُ

عشتُ حتى أرى خمائلَ حبي

تتهاوى كشامخ ينهارُ

تحت عيني ويذبل الحسنُ فيها

ويموتُ الربيعُ والانوارُ

ما انتفاع الفتى بموحش عيشٍ

بقيَتْ كأسُه وطاح العقارُ

وبقاء البساط بعد الندامى

كأس سم بها يدور البوارُ

ما انتفاعي وتلك قافلة العيـ

ـش وفي ركبها اللظى والدمارُ

الدمار الرهيب والعدم الشا

مل واللفحُ والضنى والأوارُ

يا ديار الحبيب هل كان حلما

ملتقى دون موعد يا ديارُ؟

يا عزيز الجنى عليك سلام

كيف جادت بقربك الأقدار

بورك الكرم والقطوف واوقا

ت كأن العناقَ فيها اعتصارُ

كلما أطلقتك كفي استردتك

كما يحفز الغريم الثارُ

آمال كاذبة

لا البراء زار ولا خيالك عادا
ما أكذب الآمال والميعادا
عجباً لحبك يا بخيلة كيف يخـ
ـلق من جوانح عابد حُسادا
إني لأهتف حين أفترش المدى
وأرى الجحيم لجانبي مِهادا
آها على الرأس الجميل سلا وأغـ
ـفى مطمئنا لا يحس سهادا
فرشت له الأحلام واحتفل الهدو
ء يد ومد له الجمال وسادا
يا حبها ما أنت ما هذا الذي
جمع الغريب وألّف الاضدادا
كم أشرئب إلى سماك بناظري
مستلهماً بك قوةً وعمادا
ولكم أبيتُ على السآمة طاويا
في خاطري شبحاً لها عوادا
فأراك تعبث بي كطفل في السما
ء يصرف الأقدار كيف أرادا
ولقد أقول هوى كما بدأ انتهى
فإذا الهوى وافى النهاية عادا
مات الرجاءُ مع المساءِ وإنما
كان المماتُ لحبنا ميلاداً
ماذا صنعت بناظر لا ينثني
متطلعاً متلفتاً مرتادا
وأنا غريب في الزحام كأنني
آمال اجفان حرمن رقادا

ولقد ترى عيني الجموعَ فما ترى
دنيـا تمـوج ولا تـحس عبـادا
فاذا رأيتك كنت أنت النـاس والأ
عـمـار والآبـاد والآمـادا
وأراك كل الزهـر كل الـروض أنـ
ـت لـديَّ كـلُّ خميلةٍ تتـهـادى

البعث

يـا جمالا وجـلالا يتدفقْ رجع البلبلُ أم عاد الربيعْ
بهـر النورُ عيـوني فتـرفقْ حين تدنو انني لا أستطيعْ

* * *

أيها الورد الذي طاف بنا أيها الطل الذي بلَّ الظما
لا أراكِ الله حالي وانا أطأ الشوك ويغزوني الغما

* * *

يا أماني وحبي وخيالي لا تضيع لحظة فالعمر ضاعْ
لا أراك الله حالي والليالي كاسفات ليس فيهن شعاعْ

* * *

قد بلوت الويلَ فيها لا بلوتا وانا أبدأ يومي بالمساء
وعـرفت الضيق ضيق القلب حتى
لم أجد في الكون ثقباً من رجاء

* * *

لا وربي ليس في الـدنيا ختـام
حين يغدو البعث نجوى من حبيب
حين يستـيقظ قـلب مِن مـنـام
والمنـادي أنت والحب المجيـب

المنصورة

بـاي معجـزة في الحب نتـفقُ
يا قلب لا يتلاقى الفجـرُ والغسقُ

يـا قلب انـا لقينـا اليُـومَ معجــزةً
تكــادُ في ظلمـاتِ الليــل تـأتلقُ
ظللتُ أسـأل نفسي كيف تعشقهـا
بقيــةٌ من بقـايـا العمرِ تحتــرقُ
وافيتُـهــا وفـلول الـنــور دامـيــة
تــطفــو وتــرسب أو تعلو فتعتلقُ
لم أدر حين تبدتْ لي إذا شفقي
ابصرته أو على المنصورة الشفقُ؟
يا من منحت الأماني البيض معذرة
اني بهـذي الأمـاني البيض أختنقُ
أين الهـدوء المرجى في جـوانبهـا
انـي رجـعــت ولـيــلي كـلـه أرقُ
أقبلتُ أنشـد أمنـا في هـواك بهـا
فلم أنــل وتـولى قـلبي الـفــرقُ
لا بـالقلوب ولا الأرواح يـا أملي
إنَّــا بـشيءٍ وراءَ الــروحِ نـعتـنقُ
ويحي على كفكِ البيضاء إذ بسطتْ
عنـد السـلام وويحي حين تنطبقُ
هل يسمع النيـلُ اذ سرنـا بجانبـهِ
والمــوجُ مجتمــعٌ فيــه ومفتــرقٌ
صـوتاً تمـاوجَ في روحي فجاوبـه
من جانب القلبِ موجٌ راح يصطفقُ
تــظل تنهـبُ اذني مـن أطـايبــه
كـأنهـا من خفـايـا الغيبِ تسترقُ
يـا جنـة من جنـان الله أعبـدهــا
لن تبعـدي ولـدي السحـر والعبقُ

وقفة على دار

قف يا فؤادُ على المنازل ساعا
فهنا الشبابُ على الأحبة ضاعا
وهنا أذلَّ اباءَه متكبرٌ
أمرت عيونٌ قلبه فأطاعا
أحسست بالداء القديم وعادني
جرح أبيت لعهده إرجاعا
ومشى مع الأمل الذهول كأنما
طارت بلبي الحادثات شعاعا
كثرت عليّ متاعبي فمحونني
ومحون حتى السقم والأوجاعا
يا من هجرت لقد هجرت إلى مدى
فإلى اللقاء ولن أقول وداعا

الراهبة الباكية

لمن العيون الغائرات خشوعا
لمن النواظر قد صفت ينبوعا
وتكللت بالطهر مؤتلقَ السنا
وجلت لنا معنى الجمال رفيعا
مهلاً فتاة الدير والحسن الذي
تصبو له مهجُ العبادِ جميعا
الحسنُ من حق الورى وحملتِه
مستخفيا متأبيا ممنوعا!
في الدير مثواه وفي جنح الدجى
يتحدر الحسنُ الشهيدُ دموعا

يـا مؤنس الدنيا غديتك موحشاً
تهتــاج وجــداً أو تضيق ضلوعــا
تتحــرق الــدنيــا عليــك وربمــا
أوقدت نفسك في الظلام شموعـا

من ن الى ع

- ١ -

يـا شـطر نفسي وغــرامي الــوحيــدْ
مــا شئتِ يـا ليــلاي لا مـا أريــد
يـا من رأت حزني العميقَ البعيــدْ
داويتِ لي جــرحي بجـرح جــديـدْ
هتكـتِ عن روحـي خفـي النـقــابْ
فلم يـزلْ يـا ليــلَ هـذا الحجــابْ
حتى مشت كـفّــاكِ فــوق العــذابْ
يــا لـيــلَ انـي لـشـقــي سـعــيــدْ
عمـري سـرابٌ في بقــايـا ســرابْ
وكــل أيـامي المــواضي اغــرتــابْ
فــاليــوم يــا ليلاي طــاب المـآب
في ظلك الـرحب الجميلِ المـديـدْ
فليــذهب المـاضي البعيــدُ السحيقْ
فـيــه صــريــعٌ لـلبلى لا يـفــيــقْ
فـي جــدثٍ يــزدادُ ضيقــاً وضيــقْ
في كفنٍ ضمَّ الـشبــابَ الـشهيــدْ!

- ٢ -

ويوم لقياك على سلمِ
في جانب مكتئب مظلمِ
يا عذبة العينين والمبسمِ
وغضة الحسنِ الشهيِّ الفريدْ!
في لحظةٍ يقفز فيها دمي
وتعقدُ الدهشة فيها فمي
من أي كون جئتِ لم أعلمِ
يا نفحةً من نفحات الخلودْ

* * *

هيا ! أجل! هيا إلى أينا؟
لحيث نحكي حلمَ روحينا
لحيث نروي سرَّ قلبينا
فإن فرغْنا من حديث نعيدْ!
أي مكان بهوانا يضيقْ؟
فامضِ بنا، إن زحامَ الطريقْ
في ظل حبينا رحيبٌ طليقْ
وكل ركنٍ طيبٌ في الوجودْ
من أنتِ؟ لا أدري، ولا من أنا
فيا إله الحب ماذا اسمنا
إنّا حبيبان وذا حبُنا
انّا وليدان، وهذا وليدْ
ومجلس قد ضمنا في الزحامْ
رف على قلبين فيه السلامْ
ترمقُنا فيه ظنونُ الأنامْ
ولا تخلينا عيونُ الحسودْ!

وحين ودعتِ خلال الجموعْ
مشى على أثرِكِ قلبي الوجيعْ
مشى به الحبُّ، وكيف الرجوعَ!
وفي ضميري هاتف: هل تعودْ!!

رثاء الهمشري

الشاعر النابغ الذي انطفأ
نجمه في نضارة الشباب.

لا تجزعوا للشاعر الملهمِ
ما مات لكنْ صار في الأنجمِ
ما كان إلَّا زائراً عابراً
لأي سرٍّ جاء لم نعلمِ
والآن قد رُدَّ إلى سربِهِ
في قُدْسِ ذاك الفلكِ الأعظمِ
الآن قد رُدَّ إلى ربه
فتى إلى الخلدِ مشوقٌ ظمي
الآن قد أصبح في قربِهِ
فتى لآفاق السما ينتمي
كان فراشاً حائراً في الدنى
في نورها أو نارها يرتمي
فان نجا من نارها مرة
فمن لهيب النفس لم يسلم

* * *

لا تجزعوا للشاعر الملهم
بنضرةِ الأيامِ لم ينعمِ

مـرَّ بـهـذا الكـونَ فـي لحـظةٍ
طـالت كعـمـرِ الأبـدِ الأعـظمِ
أي جـلالٍ فـاتـه وصـفُـهُ
وأي حسـن فيـه لـم يـرسـمِ
فـان يـكـن ردَّ إلـى حضـنِـهِ
فـعـودةُ المـغـرمِ لـلمـغـرمِ
ورجـعـةُ الـقـلـب إلى صـدرِهِ
بـالعـطف في احنـائـه يـرتمي
لا تجـزعـوا للشـاعـر الملهمِ
والله مـا نـام مـع الـنـوَّمِ
ولـم يـنـلْ منـه أكـول البـلى
وإنـمـا غـاب إلـى مـوسـمِ

الدكتور عبد الواحد الوكيل
وزير الصحة

هي صفحةٌ طويت وحان ختامُ
آسي الأساة على ثراك سلامُ
لهفي عليك تسلّمتك يدُ البلى
وانفض عنك إلى النشور زحامُ
الحفلُ منتظمٌ تكامل عقدُهُ
أينَ العشيَّ خيالُك البسامُ
يتلفتون به كأنك عائدٌ
هيهات في ريب المنون كلامُ
لا صحو من سِنة المنونِ وانما
سهر الخلود عليك حيث تنامُ
يا أيها الآسي العزيز بمضجع
ناءٍ له الإكبار والاعظامُ
أنتَ الطبيبُ وقد بلوت حياته
ومجالُها الأوجاعُ والاسقامُ
جلت الحياة له حقيقتها فما
في ظلها لبسٌ ولا أوهامُ
وله مع القدر الرهيب وقائعٌ
وله مع الموت الملم صدامُ
ووراء ذلك قوةٌ أزليةٌ
خرساءَ عنها ما أميط لثامُ
أي الأساة هو المدلّ بفنه
سبحان من تحنى لديه الهام!
بلدٌ على بلد كأنك ضارب
في الأرض ما يدري لديه مقامُ
فرجعتَ من حمى الحياة لمثلها
حمّى تهد الصرح وهو مقامُ

سفـــرٌ على سفـــرٍ فهـــذي رقـــدةٌ
شفي الغليـــل بـهـــا وطـــاب أوامُ.
يلقي الغـريب على جوانبـه العصا
وتـــقـــر فـيـــهـــا أعيـــن وعـــظامُ
رقـد الصغيـر إلى الكبيـر مجـاوراً
وتـعـــانـق الأحـبـــابُ والأخـصـــامُ
هجعـوا إلى يـوم النشـورِ وهكـذا
هجعتْ هنـــالـــك إلفـــةٌ وخصـــامُ

رثاء الشاعر محمد الهراوي

ألقيت في حفلة تأبينه

هـــا هنـا حفـــلٌ وذكـــرى ووفـــاءْ
لـبّـنـــا انـت مـلبِّـــي الأصـــدقـــاءْ
يـــا لـهـــا من غـــربـــة مـضنيـــة
لـــيس تـــنـــجـــاب وأيـــام بـــطاءْ
ذهب المـــوتُ بـــأغـــلى صـــاحب
وثـــوى في الـتـرب أوفى الأوفيـــاءْ
لـست أنـســـاك وقـــد أقبـلت لي
تشتكي غـــدر صـديق قـــد أساءْ
آه مـن جـــرح ومـن قـــلب عـــلى
ألم الجـــرح انـطوى مـــر الابـــاءْ
كـلمـــا آلـمــك الـــجـــرح فـــأحـ
ـــسست بـــه لـطّفتـــه بـالكبـــريـــاءْ
أيهـا الشـــاكي من الـدهـر استـرحْ
كلنـــا يـــا أيهـــا الشـــاكي ســـواءْ
الـجـــراحـــاتُ التي عـــانيـتَـهـــا
لـــم تـــدعْ أرواحَـــنـــا إلا ذمـــاءْ

برم العيش بها لم يشفها
وتولى الدهر سأمان وجاءْ
أذن الموت لها فالتأمت
وشفاها بعدما استعصى الشفاءْ
لست أرثيكَ أيرثى خالد
في رحاب الخلد موفور الجزاءْ
كيف أرثيك أيرثى فاضل
عاش بالخيرات موصولَ الدعاءْ
انما الدنيا هي الخير على
قلةِ الخير وقحطِ العظماءْ
انما الدنيا فتىً عاش لكم
باذلاً من قوته حتى الفناءْ
فاذا مات فقد عاش بكم
فهو بالذكرى جدير بالبقاءْ
ذلك الشاعر قد واساكمُ
وبكى آلامَكم كل البكاءْ
ذلك الشاعرُ قد غناكُمُ
صادحاً في ايكِكُم بشرى الهناءْ
وأولو الشعر المصابيح التي
حطمتهن رياحَ الصحراءْ
خلدت أنوارُهم رغم البلى
وبها المدلج في الليل استضاءْ
سوف يفنى القولُ الّا قولهم
ويموت الناسُ الا الشعراءْ
عد الينا نسمة حائرة
ذات نجوى وحنين وولاءْ
ثم حلق بجناحين الى
عالم نحن له جد ظماءْ
طِرْ مطارَ النسم واترك قدَما
ثقلت بالشوك في أرض الشقاءْ

تكريم السيد ابراهيم عبد الهادي

(وزير الصحة)

خذ من طبيب الحي رأي النادي
واسمع إلى غريد هذا الوادي
اني عن الفئتين قمت وانه
شرفٌ بلغت به أجل مرادِ
أنا لا أوفي اليوم حقك وحده
لكن أؤدي فيك حق بلادي
يا عائداً تحدو السلامةُ ركبَهُ
بوركت في الغيّاب والعوادِ
مصر التي بك في اشتدادِ كروبِها
عرفتْ فتى الفتيانِ يوم جهادِ
رفت عليك قلوبها وتطلعت
وهفت اليك منابرُ الأعوادِ
أي المحامد فيك لم ترفعْ به
رأساً ولم تتحد كل معادي
وطنيةٌ ملء الفؤادِ وهمةٌ
علوية من حكمة وسدادِ
فلو ان أعواد المنابر قد مشت
لمشت لابراهيم عبد الهادي
أنا ما التفت اليك الا عادني
طيفٌ يراوح خاطري ويغادي
طيفٌ من الماضي الكريم وصفحةٌ
أخذت لها عهداً على الآبادِ
إني به مترنم وبكل ما از
دانت به تلك الصحيفةُ شادي
أيام يجمعنا الشبابُ وكلنا
بالروح والدم والجوارح فادي

السجنُ مثل الأسرِ مثـلُ النفي مثـ
ـل القتـلِ ، تلك قضيةُ استشهـاد

تكريم الدكتور علي ابراهيم
في يوبيله الفضي

اليــك أزف في اليـومِ الجليـلِ
تحيــاتِ الـزميــل الى الــزميــلِ
تـحيــاتٍ يـرفُّ عـليـك مـنـهـا
نـدى الأسحارِ في ظـلِّ الخميـلِ
سـلامــاً لـلإمــامِ عـليّ جئـنـا
إلـيــه بــالعـشيــر وبــالـقـبيــلِ
نـبــايــع مـنــه فـنــاً عـبـقــريــاً
وعقــلاً في العقـولِ بــلا مثيـلِ
تــلفـتْ يــا عــليُّ تـجــد وفــاءً
ومــا احتـاج الــوفـاءُ إلى دليـلِ
أقــول لحــاسبِ الستين مهــلاً
وقعت على الحسـاب المستحيلِ
إذا أحصيتَ لـلاجســامِ عـمــراً
فـكيـفَ تعـدُّ أعـمــار العـقــولِ
ولــو أن الألــى أنـقــذتَ جاؤوا
يـؤدون الـقــديـمِ من الـجميــلِ
ولــو أن الألــى عـلمــت جاؤوا
يـؤدون الـقـليــل من الـقـليــلِ
ولو مـنحــوك عـمــرهم جـميعــاً
ومــا هــو بــالكثير ولا الجــزيــلِ
اذن لــرأيت عمــرك عمــر نجـم
لــه في الـلانهــايــة ألف جيــلِ

بــربــك كم وصلت حيــاة قــومٍ

وكـم حــاربـتَ مـن داءٍ وبـيــلِ

وكم أنقــذت من أســر المنــايــا

وكم نضــوٍ شفيتَ وكم عـلـيــلِ

إذا مـا المــوت أبــدى نــاجــذيـه

إذا انـطفـأت عيـونٌ في الـذبـول

إذا غــامت محــاجــرُهــا ظمــاءً

كمــا غـامت نجــومٌ في الأفــول

فمــا هــو غيــر أن أقبلتَ حتى

تـبــدل كــل أمــرٍ مـسـتـحـيــلِ

كـأنـك لمــعُ بـرقٍ في الأعــالي

يـحيي مقــدم الـغيـثِ الهــطولِ

كــأنـك واحــةٌ في القفــر لاحت

رأتـهــا أعـيـنُ الــركبِ الـكليــلِ

كــأنــك جنــةٌ في البيــد تـنـدى

بعــذبِ المـاءِ والــظلِّ الـظليــلِ

ولــو أيــامــك العصمــاء جــاءت

بــكــلِّ أغــر مــزدانٍ حــفــيــلِ

إذن لـطلعن في الـظلمـات بيضـا

من الغــرر الـلوامــع والحـجــول

ولــو أن الــمــآثــرَ ذاتُ قــولٍ

لـقلت تـكلمي وصـفـي وقــولـي

أضـفهــا فـهي أعـمــارٌ أضيـفـت

ومــا تـدري لمــاضيــك النبيــلِ

تـعــال أذعْ لنــا ســرَّ الـفحــولِ

ودع صمت الحيي أو الخـجــولِ

سـلالــة عـبـقــرٍ وعـشـيــر جــنٍّ

بعـدتم في الحيـاة عن الشكــولِ

فما للشيبِ من بابٍ إليكم
ولا لِلضعفِ يوماً من سبيلِ
لقد جهل الألى حسبوك شيخاً
فلا تقبل حساباً من جهولِ
أُعيذ صباك كيف يكون شيخاً
شعاع سلافةٍ وسنا شمولِ
وما ظفروا بأثبت منك عوداً
ولا أقوى وأصلب في الحمولِ
ولا ظفروا بأصفى منك روحاً
كأن مزاجها من سلسبيلِ
أرى سحرَ الشبابِ عليك غضّاً
وقاك اللّهُ أنفاسَ الأصيلِ
تعالى الله كم من معجزاتٍ
معلقة بإصبعك النحيلِ
محيل القسوة الكبرى حناناً
ورافعها إلى فنٍّ جميلِ
معاركُ من دمٍ ام ساحُ حربٍ
أسنتها منغمة الصليلِ
يسير المبضعُ الجبارُ فيها
بكفك سيرَ مطواعٍ ذليلِ
معاركُ كم كسبت بها حياة
وما لك في المواقع من قتيلِ
تقسمك الورى قوماً فقوماً
وما لك بالورى ضجر الملولِ
تقضي في مسائك ألف أمرٍ
وتقطع في نهارك ألف ميلِ
وإما سرت عن حفل قصير
فعن وعد بمؤتمرٍ طويلِ

وأنــت أبٌ لــذا ، وأخ لــهــذا
ومنــك لمن وجـاك يَـدا خليــل

* * *

نــبــي الــطب أدركــنــا إذا مــا
تــطلعـت العـيــونُ إلـى رســول
فكم في مصــر أجســام مــراض
بــأرواح كــأشــبــاح الــطلولِ
فـيــا أسفــا إذا تــركـت فـظلت
فــرائس لــلدعــيّ ولــلدخــيــلِ
عليٌّ لقــد ملكت عصـاة مــوسى
فقم واضرب بها أفعى الخمولِ
أقــول لأعـين الــطب الحيــارى
وقعت من الفخــار على سـليــلِ
أبــا حسن سلمت على الليــالي
وعش متعت بــالعمر الــطويــلِ

المرحوم انطون الجميل

رئيس تحرير الأهرام[1]

كيف أنسى زمناً كنت بهِ
من أخ أغلى وأسمى من أبِ
ضقت ذرعاً بزماني وكذا
ضاقت الأيامُ والآلامُ بي
رائحاً في لجة طاغية
غادياً في عاصف مضطربِ
قد تغشاني ظلامٌ لا أرى
فيه مغداي ولا منقلبِ
صامداً للظلمِ والظلمُ له
معولٌ يهدمني عن كثبِ
وأنا أدفعُهُ عن منكبي
بيدي حتى تهاوى منكبي
وتماسكتُ فلم يبقَ سوى
كبرياء هي درعٌ للأبي
هتفتْ بي النفسُ فلنمضِ إلى
ذلك الوردِ الكريمِ الطيبِ
إن «أنطون» وما أعظمه
طاهرُ القلب نبيلُ المشربِ
كأس ودٍّ لم ترنق أبداً
وصفت كالذهب المنسكبِ
وندامـاه على طول المدى
رفقة حفّوا به كالحببِ

* * *

(١) القيت في حفلة تكريم في منزل صديقه الأديب الوزير ابراهيم دسوقي أباظه.

مكتب لا بل بساط عامر
بالمعالي يا له من مكتب
مكتب قد صيغ من عالي
المساعي ونبيل الدأبِ (؟!)
مكتب يُزهى بحُر ماجد
ثابت الرأي سني المأربِ
صائد الدر تراه غارقاً
في صحيفٍ غائصاً في كتب
مصغياً في حكمة، أو مطرقاً
في وقارٍ، سامعاً في أدب
فإذا أدلى برأي تلقه
راح يدلي بالعجيبِ المطربِ
مستفيضاً ببيان جامعٍ
سحر «هوجو» وجلال العربِ
ذاك «أنطون» وما أروعه
صفحة لا تنتهي من عجبِ
قطرات حسبت من عرقٍ
وهي لو حققتَها من ذهب
أسعد الأيام يوم ضمني
بك في دار كأفق الشهبِ
كُرِّمت من شرف وارتفعت
بالعلا، وازَّينت بالحسبِ
لدسوقي وما أنسى له
إنه مثلك في الفضل أبي
كيف أنسى فضله وهو الذي
ذاد عني عاديات الحقبِ
أنتما للمجدِ ذخرا فابقيا
للمعالي، واسلما للأدبِ

عبد الحميد عبد الحق

في حفلة تكريمه بدار الأوبرا

أنت فوق التكريم فوق الثناءِ
جلّ ما قد أسديت عن إطراءِ
يا عظيم الشؤون جلّتْ شؤون
أنتَ منها في الذروة الشماءِ
يا عظيم الأوقاف جلتْ أمورٌ
عرّفتنا مواقفَ العظماءِ

لم نكرمك للوزارة والمنـ ـصبِ والمجد والسنا والرواءِ
نحن قوم نهيم بالرجل الكا مل يمضي للأمرِ دون التواءِ
الرحيب الصدر، القوي على الخطـ
ـب، السريعِ الهدم، السريع البناءِ
قد رأيناك كالمنار المعلى مثلاً للقوي في الأقوياءِ
ورأيناك في الرجال فريداً فاقتفينا خطاك أي اقتفاءِ
وحببناك ما بنا من نفاق لا ولا في قلوبنا من رياءِ

* * *

أيْ وربي لأنتَ من صور الما ضي ومجد الجدود والآباءِ
وجلال الصعيد والملك في الوا دي عزيز البنود ضافي اللواءِ
قد ينام التراثُ جيلاً فجيلا غافياً في مجاهلٍ خرساءِ
وتنامُ الروحُ العريقةُ في المجـ ـدِ لتبدو في طلعةٍ سمراءِ
فتراها مصرية السمت والقو ة والعزمَ والحجى والمضاءِ
قسماً قد غفا الجلال ليصحو
من جديد في وجهكَ الوضاءِ
أيها الكوكب الدؤوب على الدهر
بلا فترة ولا إبطاءِ
تصنعُ الخيرَ واضحاً شبه نجم
ساكب نورَه بعرض الفضاءِ

وتؤديهِ خافياً مثل نجم
مستترٍ خافٍ خلال السماءِ
غير أن النفوسَ تعلم مسراً ه وان كان ممعناً في الخفاءِ
وعظيم الفعال يجمل بالاف صاح عنه كالسيف غب الجلاءِ
ما جمال الربيع في الروض ان لم
يشدُ طير في الروضةِ الغناءِ
ما جمال السماء والبدر ان لم
يشدُ سارٌ في الليلة القمراءِ؟
واضياع النبوغ في مصر ان لم
تتحدثْ منابرُ الخطباءِ
واضياع النبوغ في مصر ان لم
يَك تخليده على الشعراءِ
طاقة الشعر طاقة الورد معنى
جلَّ قصداً وقلَّ في الاهداءِ
لست تجزى به أقل الجزاء
فتقبله آية من وفاءِ

* * *

كيف ننساك والعفاة على با بك حشد يموجُ بالبأساءِ
الشريدُ الطريدُ والعاملُ المر هقُ يشقى من صبحه للمساءِ
وبيوت هي العريقة في الأمـ ـجاد صارت عريقة في الشقاءِ
لم تطق أن ترى دموعَ اليتامى تترامى على أكفِّ السخاءِ
والأيامى كالكأس بعد الندامى
ذكرت حظها من الصهباءِ
وقف الدهرُ دونَهم: كل باب
طرقوا صم عن ذليل النداءِ
غير باب من المروءات سمحٍ
لك، ما ردّ مرةً عن نداءِ
انظرِ الحفلَ، داوياً بالدعاءِ
وانظر البحرَ زاخراً بالنداءِ

أنت ورد النبوغ جادت به الدنـ
ـيا لقومٍ إلى المعالي ظماءِ
كلما اطلعت لهم عبقرياً
جعلوا منه معقداً للرجاءِ
حـمـدوافـيـكيـومـهـم واطـمـ
ـأنـوا مـشـرئـبـيـن لـلـغـد الـمـتـرائـي
كيف ننساك في المحاماة حرا
طـاهـراً ذيـله عـفـيـف الـرداءِ
وقف المجلس المحير يوما
مـرهـف المـسـمـعـين بـالاصـغـاءِ
إذ يـرى فيـك نـائباً وخـطيـباً
دامـغـاً بـالحـقـيـقـةِ الـبـيـضـاءِ
مفعمـاً مقحمـاً قـويـاً جـريئـاً
مـاحـقـاً لـلـخـصـوم والأعـداءِ

- ٢ -

عبد الحميد عبد الحق

في وزارة الأوقاف

قـل لـوزيـر الحق وهـو الـذي
قـد استقـامت في حجـاه الأمـورْ

خــذ مـن مـقـالـي ذمـةً انـنـي
عنهم إلى سـاح المعـالي سفيـرْ

يـا جاعـل الأوقـاف في عهـده
مـدينـة والقـفـر فيـهـا قصـورْ

ونـابشـاً فيـهـا الكـنـوز الـتي
مـرت عليهـا بـالعفـاءِ العصـورْ

نـبشـتَ فـيـهـا عـبـقـريـاتـهـا
منقبـا عن كـل قـدر خـطيـرْ

فكـل مـا قيـل ومـا لـم يقـلْ
عن فضلك الجم الغفيـرِ الـوفيـرْ

ممـا جـرى في شفـةٍ عـاجـزاً
ومـا تـوارى في حنـايا الصـدورْ

من حق عبـد الحق في عـدلـه
لـه - وان يـأبى - إليـه المسيرْ

تـحـيـة لـلأصـل مـردودة
وبـاقـة قـد قـدمـت لـلوزيـرْ

سبحـان ربي قـد رأينـا الـدجى
يجلوه في عهـدك صبـحُ منيـرْ

مـاشيت هـذا العصـر في سيره
والعصـر يـعلو بـجنـاح الـنسـورْ

مـا زلت بـالأوقـاف حتى رأت
محـطم القيـد وفـادي الأسيـرْ

كم عيروها بسلحفاتها
فلينظروها بجناحٍ تطيرْ
يا نابشاً فيها كنوز الحجى
من كل وهاجٍ قليل النظيرْ..
من ذهب الدار وآياتها
فتى كبير القلب صافي الضميرْ
له معاني البحر في هدأة
وفيه روح كانسياب الغديرْ
خذ من سجاياه ومن علمه
ما يهب الورد وتطويْ البحورْ.

- ٣ -

عبد الحميد عبد الحق

في وزارة الأوقاف

عش مديداً وجددِ ... واعل والمع كفرقدِ
لو رأى الحق عبده ... وهو بالحق يهتدي
وعلى الحق رائحاً ... وعلى الحق يغتدي
بسط التاج باليد ... قائلاً قم تقلدِ
قم تقلدِ ... يا أميري وسيدي
وبإيمان ركع ... وتسابيح سجدِ
بايع الحق عبده ... والبرايا بمشهدِ

* * *

انظر الساح داويا ... بالنداء المرددِ
انظر البحر زاخراً ... بالشباب المجندِ
حمَدوا فيك يومهم ... مشرئبين للغدِ
عش مديداً لتبتني ... كل صرح ممردِ

فلك الرأي قاطعا　　ما به من تردد
يهدأ السيف في القراب　　ويثوى بمرقدِ
ولك السيف ساهراً　　يقظاً غير مغمد

* * *

خذ بيانا نظمته　　شبه عقد منضد
ما به من تزلف　　جل شعري ومقصدي
خالدٌ أنت بالعلى　　والفعال المسدد
فتقبل على المدى　　كل شعر مخلد

الشاعر عزيز اباظة

في حفلة تكريمه بمنزل الوزير
الأديب دسوقي أباظة

غيثٌ على القفر حيّانا وأحيانا
يا شاعر الجيل كان الجيل ظمآنا
كنا نعيش من الدنيا على عدةٍ
نبني من الأمل الموعودِ دنيانا
فالآن قد حققتْ ما كان منتظراً
منها وإن لمعت بالوعد أحيانا
جاءت بأروع من هز البيانَ ومن
أعاد مجد القوافي مثل ما كانا
ريحانةُ النيل هزت نفسَها طرباً
وقدمت لأمير الشعر ريحانا
ماذا نقول ونبدي بعدما سبقت
لك الشهادة من تكريم مولانا
أقمت من عبقري الشعر برهانا
وقبلها كنت للأخلاق عنوانا

بـآيـتـيـن: وفــاء لـلتـي ذهـبتْ

وأنت مَنْ حفظ الذكرى ومن صانا

ان التي نصـرت عيشـاً نعمت بـه

وصيـرت بيتـك المعمـور بستـانـا

لو لحظة نحو ذياك الضـريح رنت

عيناك، تلق الهوى لم يختلف شانا:

وايــة من وفــاء لــلألى سحبت

عليهم حـادثـات الـدهـر نسيـانـا

عهد الرشيد وعهد المجد في زمن

بـه تـوطـد ملك العـرب سلطانـا

وعهـد بغـداد حيث العيش مؤتلقٌ

يهفــو خمـائــل أو يهتـز أفنــانـا

جـلوتــه وهــو فتــاك بـجـعـفــره

والسيف يقـطر بغضاءً وعــدوانا

يا للطلاء الذي يكسو النفوس لكم

كسى النفـوس من التزييف ألـوانا

تلك الـطبيعـة لا شيء يغيــرهــا

ينام فيهـا خيـال الفتـك وسنــانـا

الحـرص يـوقـظه والمجـد يـوقـظه

والويل ان وثب الـوسنان يقـظانا.

❊ ❊ ❊

جوزيت عن لغة الفصحى وأمتهـا

عمـراً مديـداً وتكـريمـاً وإحسـانـا

أُغنية

أنتِ

أنتِ إن تؤمني بحبي كفاني
لا غرامي ولا جمالكِ فاني
أجدب الهجرُ خاطري وخيالي
وأجف النوى دمي ولساني
فتعاليْ روّي الظما في عيوني
أجنوني لقطرة من حناني
طال والله في تنائيك ذلي
ووقوفي على ديار الهوانِي
أي روح أحسه أي سر
في جناحيك كلما ظللاني
أي روح أحسه أي سحر
سكبت فيّ هاته العينان
لكأن الرميمَ ما تبعثان　　وكأن النشورَ ما تسكبانِ
وكأني محلقٌ في سماءٍ　　ومطلٌ منها على الأكوانِ
مستعز بما منحْت قويٌّ　　أجمع الكونَ كلَّه في عناني

الابراهيميات

«لصاحب المعالي دسوقي أباظه فضل على الأدب والأدباء، فهو أبو النهضة الأدبية الحاضرة ما في ذلك من منازع، هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان، الذي يجد أنه في الأبيات القليلة التالية لا يعبر إلا عن جزء ضئيل مما يعتلج في خاطره من الشكر والمحبة وعرفان الجميل».

- ١ -

في حفلة تكريمه في دار الأوبرا..

منىً نلتها كانت لأنفسنا منى
تلفت تجد مصرا بأجمعها هنا
وما بعجيب موطن البدر في العلى
وما بجديد أن يرى الأفق مسكنا
ولكنْ قلب الحرِّ تعروه نشوةٌ
فيثني على الآلاء وضاحة السنا
إذا أخذ البدرُ المنيرُ مكانه
تملك آفاق السما وتمكنا
إذا الملك المحبوب قدر سيداً
وعن رأيه في الفضل والنبل أعلنا
فعن ثقة ممن يحب ويحتبى
وإيمان قلب بات بالحق مؤمنا
سلاماً مليك النيل أنت ربيعه
وانك مغنيه وفي ذاتك الغنى
فذلك تكريم الربيع لروضة
جلاها الاباظيون وارفة الجنى
أجل! روضة صارت لكل عظيمة
وللفضل والآداب والعلم موطنا
وميدان سباقين للمجد والعلى
إذا اشتجرت أخرى الميادين بالقنا
من الأدب العالي اذا راح سيد
غدا آخر نحو اللواء فما ونى

* * *

عصي القوافي سار نحوك مسرعاً
ولبَّاك من أقصى الفؤاد وأذعنا

وأنت الـذي فـك القيـود جميعهـا
عن الشعـر تـأبى أن يهـان فيسجنـا
اذا المعدن الصافي دعـا الشعر مـرة
بـذلنا لـه من أجـود الشعـر معـدنـا

* * *

دسـوقي إذا أقللت فـاقبـل تحيتي
فمـا أنـا شـاديهم ولا خيـرهم أنـا
ولـكنـني صـوت الـمحبيـن كـلهـم
ومن روضـك الغالي وبستـانهم جنى
فـراشٌ على مصباح مجـدك حـائم
وأي فـراش من جـلالـك مـا دنـا
واني صدى الهمس الذي في قلوبهم
فـدعني أقم عمـا يكنّـون معلنـا

في جامعة أدباء العروبة

ـ ٢ ـ

يـا ربـيـعـاً جـمـل الله بـه
روضـة الـدنيـا ووقـاهـا الخـريفْ
وشـعـاعـاً مـده الله عـلى
هـذه الأمـة مـن مـدن وريـفْ
أيـهـا الـنـعـمـة لا حـدّ لـهـا
نحن من نعمـاك في ظـل وريفْ
يـا شـريف النفس والقلب لنـا
فيك صافي القول والشعر الشريفْ
يـا أبـا الـرقـة لا تـعـدلـهـا
رقـة الـوالـد ذي القلب العـطوفْ

رقـة تـنـزل مـن عـلـيـائـهـا
كشعـاع البـدرِ بـالضـوء اللطيفْ
يـتـمـنـى الـشـعـرُ فـيـه غـايـةً
وهـو عنهـا عـاجـزُ البـاع ضعيفْ
كـلـمـا حـاولـهـا أعـجـزه
قصـر الطرف عن الصـرح المنيفْ
أيهـا المصباح صـرنـا حـولـه
كفـراش حـام بـالنـور يـطوفْ
أيـهـا الأيـك غـدونـا حـولـه
نسماً في الأيك مـوصول الحفيفْ
أنـا من غنـاك عنهم فـاستمـع
من أغـاريدِ الـربى نجـوى الأليفْ

في ندوة الوزير
الأديب ابراهيم دسوقي أباظه

- ٣ -

وزير الطيب الحر الجليلا تقبّله هوى حراً نبيلا
يقيم على الحوادث لا يبالي ويأبى في العوادي أن يميلا
ولا يدري الزمانُ له اختلافا ولا يدري الرياء له سبيلا
على الأدب الرفيع وواورديه بسطت الخير والظل الظليلا
ومـا لـلقـائليـن عليـك فـضـل
فقـد جئنـا نـرد لـك الجميـلا
قطفت لك القـوافي طوق شعـري
فعـذراً ان قـطفت لـكِ القليـلا
وددت بـأن أطيـل لـك القـوافي
فـيمـنعـنـي حيـاؤك أن أطيـلا

وزيري الطيب الحر الجليلا وقفت عن الرفاق هنا رسولا
أعيد لك الذي يطوي فؤادي وفخراً أن أعيد وأن أقولا
أقول لجاهلٍ معنى المعالي إلامَ يظل جاهلكم جهولا
دسـوقـي لا الـوزارة قـربـتـنـا
ولا قـامـت عـلى صـلة دلـيـلا
عشقنـا فيـك أخـلاقـاً وفضـلاً
تـقـبـلـه هـوى حـرا نـبـيـلا

تعزية لمعاليه
في بعض السراة الأباظيين

- ٤ -

ان السـراة الأباظيين قـد عـظمـوا
عن طوق ندٍّ وعن تحليق اضـداد
تخـطف القدر الجـاري أحـاسنهم
بصيـر في المـنـايـا أو بنـقـاد
كم صحت والعين تذري الدمع في أسف
على الجواهر في كف الردى العادي
الا رقى لـلأبـاظيين تـحفـظهـم
على الحـوادث من أنظار حسـاد!

في منزل الشاعر
وقد تكرم الوزير بزيارته

- ٥ -

بأي لفظ يفيك شعري
شرفت قدري وزنت داري

أما كفى برُك المواسي
فزدتني روعة المزار

أقسمت بالشمس في ضحاها
أقسمت بالبدر بالدراري

بفضلك الماحق الدياجي
كأنه واضح النهارِ

فيك من البحر كل معنى
فمن سمو إلى وقارِ

وأنت صدرُ العباب رحباً
وبسمةُ الشط والمنارِ

كأن هذا الجميل يترى
من طيب غادٍ ولطف سارى

موج من البر ذو اتصال
بلا هدوء ولا قرارِ

غمرتني بالجميل حتى
لجت قوافيَّ في العثارِ

أنقذني البحر غير أنيَ
غريق فضل بلا قرارِ

كنت ندى في رياض عيشي
وكنت غيثاً على القفارِ

لقيت ضنكا من الليالي
فمن غمارِ إلى غمارِ

قــد طــال عتبي على الـليــالي
وطــال لــلراحــم انــتــظاري
صفحـتُ عن كـل مــا أسـاءتْ
حــق لـهــا الـلـيـلة اعــتــذاري

في حفلة الربيع
التي أقامتها جامعة أدباء العروبة

- ٦٠ -

أميــر الفضــل فضلك بيت شعــر
عُــلاك نسجنَّ معنــاه الــرفيعــا
إذا كــان الـضيــاءُ نـسيــجَ فـنٍّ
سنــاه يمــلأ الكـونَ الـوسيعــا
فحــولــك حيثمــا تمشي وتسعى
قصيــدٌ عــامــرٌ غمر الــربــوعــا
تـكلم حـيثمــا تمـضي مبينــاً
ومــا عــرف البيــانُ ولا البـديعــا
حـبيـت سنــاك اتبعــه بـشعــري
وفـخــراً أن أكــون لــه تـبـيعــا
مـدحتـك جهــد مقـدرة القــوافي
فضقـت بهــا مـقصِّـرة جـميعــا
أتـعـصــاني مغــردة بــنـفــسي
مـعــودة هنــالــك أن تــطـيعــا!
أقــول لهــا وقــد كلت قـصــورا
رويــدكِ، واهـدئي لن نستــطيعا
يـراك النـاس حيث تـرى عـظيمـاً
كــريمــاً في تــســامحــه وديعــا

وأنـــت الـنــهــر دفــاقــاً قـــويــاً
اذا مــا هَمَّ لم يـملكْ رجــوعــا
يفيضُ على الـربُوعِ جـلال نعمي
ويغشى من حــوائـلهــا المـنيعــا

مظلمة

- ٧ -

أنا لا أظل، وكل شيـ ـىءمستمـد من جلالـكْ
في قـــاتم مـحلولـك سدّت علي به المسالكْ
ان لم تضعني في سنا كحمدت حظي في ظلالكْ
ان لم تضعني في يميـ ـنك فالتفت لي في شمالكْ
الرأي رأيك ليس في ا لأوقاف شيء غير ذلك
يا أحكم الحكماء لا يفـ ـتى وفي الأوقاف مالكْ

شكر واعتذار

- ٨ -

أبــي ! أخي! كـعبــة آمــالــنــا
أكــرمــتـــنــي أكــرمـك الــلَّهُ
أعجب مــا في الشكــر أني أمــرؤ
بــيــانــه عــنــدك يــعــصــاهُ
يــا مــن يــرى الـقــلبَ وشكــواه
ويــعــلــم الــشــعــر ونــجــواهُ
كــم شــاعــر مــنــطقــه خــانــه
فــاغــرورقت بــالـشـعــر عيــنــاهُ

ما أكرم الخلق وأسماه
وأعذب الطبع وأصفاهُ
انك فردٌ دون ثانٍ ولن
يرى لهذا النبل أشباهُ
عفوك عن حال فتى متعب
بات على الأشواك جنباهُ
طال به الليل على حيرة
وامتد كالموجة يغشاهُ
يسائل الليل على طوله
عن ذلك الليل وعقباهُ
والنور أين النور؟ هل غاله
ماحٍ محا الفجرَ وأخفاهُ؟
قد كدت لولا ثقة لا تهي
وخشية الله وتقواهُ
أقول جف البر لا ديمة
تهمي ولا المزنة ترعاهُ
حتى رأيت الخير في طلعة
تحمل لي الخير وبشراهُ
في لمعة تومض في فرقد
في فلك أنت محياهُ
حمدت ربي وعرفت الرضى
يا رحمة الله ونعماهُ

بطل الأبطال

الشهيد عبد الحكيم الجراحي

بطل الأبطال من أرض الهرمْ
لبس الغار وجلّى وغنمْ
كيف تذرون عليه دمعكم
وهو وضاحُ المحيا يبتسمْ
كيف يبكي منكم الباكي على
عَلَمٍ لف شهيداً في عَلَمْ
يا شباب النيل فتيان الحمى
وحماة الدار أشبال الأجمْ
زعموكم أمة هازلة
كذبَ الزاعمُ فيما قد زعمْ
تتحداهم على طول المدى
ثورة نكراء شبت تلتهمْ
ومقال الدهر عنا في غد
وحديث المجد عن عبد الحكمْ
كم أغر في بواكير الصبا
ناضر يسحب أذيال النعمْ
طبعه الجود فلما هتفت
مصر تدعوه تناهى في الكرمْ
قدم الروحَ اليها ومشى
ثابت الخطوةِ جبارَ القدمْ
كلفتهُ اليقظةُ الكبرى بها
همة ترعى وعيناً لم تنمْ
جشمته خطة دامية
وعرة المسالك حفت بالألمْ

يجد الموتُ بها لذته
ويرى العار إذا المرء سَلِمْ

* * *

يا لهذي الجنة الفيحاء كم
فتحت قبراً لباغٍ قد ظلم
يصبح الصبحُ على هذي الربى
فإذا الورد ضحوك في الأكَمْ
فإذا أمسى المساء انقلبت
فوهة شعواء ترمي بالحمَمْ
لست تدري إذ تراها ظمئت
فروى الأحرار واديها بدمْ..
ذاك لون الورد أم لون الردى
الجاثم أم لون الحميم المضطرم!
يا شباب النيل فتيان الحمى
وحماة الدار أشبال الأجم
حطموا القيد الذي حطمكم
واجعلوا أمتكم فوق الأمم
وإذا استشهد منكم بطل
جاده الغيث وحيته الديم
ولقد أدى لمصر دينه
ذلك الفادي، ووفى بالقسم..

- ٢ -

أجلْ إن ذا يوم لمن يفتدي مصرا
فمصر هي المحرابُ والجنةُ الكبرى
حلفنا نولي وجهنا شطر حبِّها
وننفدُ فيه الصبرَ والجهدَ والعمرا
نبثُّ بها روحَ الحياةِ قويةً
ونقتل فيها الضنكَ والذل والفقرا
نحطم أغلالاً ونمحو حوائلا
ونخلق فيها الفكرَ والعمل الحرا
أجل إن ماءَ النيلِ قد مرَّ طعمُه
تناوشه الفتاكُ لم يدعو شبرا
فدالت به الدنيا وريعت حمائم
مغردةٌ تستقبل الخيرَ والبشرى
وحامت على الأفق الحزين كواسرٌ
إذا ظفرت لا ترحم الحسنَ والزهرا
تحط كما حط العقابُ من الذرى
وتلتهم الأفنانَ والزغبَ والوكرا
فهلا وقفتم دونها تمنحونها
أكفاً كماء المزنِ تمطرها خيرا
سلاماً شباب النيل في كل موقفٍ
على الدهر يجني المجدَ أو يجلبُ الفخرا
تعالوا نشيّدْ مصنعاً رب مصنعٍ
يدر على صُناعنا المغنمَ الوفرا
تعالوا نشيّدْ ملجأ، رب ملجأ
يضم حطامَ البؤسِ والأوجهَ الصفرا

تعالوا لنمحو الجهلَ والعللَ التي
أحاطتْ بنا كالسيل تغمرُنا غمرا
تعالوا فقد خانتْ أمورٌ عظيمةٌ
فلا كان منا غافلٌ يصم العصرا
تعالوا نقلْ للصعب أهلا فإننا
شبابٌ ألفنا الصعبَ والمطلبَ الوعرا
شبابٌ اذا نامت عيونٌ فإننا
بكرنا بكورَ الطير نستقبل الفجرا
شبابٌ نزلنا حومةَ المجدِ كلنا
ومن يغتدي للنصر ينتزعُ النصرا

حب على الصحراء

أحبكَ ما حييتُ وأنتَ حسبي
فجربْ أنت قلباً بعد قلبي
ويا أسفاً على صحراءِ عمر
جفاها بعدك المطرُ الملبي
نهاري في لوافحِها سرابٌ
وليلي من أباطيلٍ وكذبِ
وفي أذنيَّ من شفتيكَ عتبٌ
إذا أنا ساعةً اضجعتُ جنبي
وتلك قوافلُ الأيامِ تترى
تمر علي سرباً بعد سربِ
عوابسُ لا يطل سناك منها
ولم ألمحْ مطالعُه بركب
فإن غفلتْ عيونُ الحظِّ عنا
وصرت - ولم أكن أدري - بقربي
تبيِّني فتلك خيامُ حبي
واني موقدٌ لك نار قلبي

القافلة الصغيرة

قافلة صغيرة يقتادها زعيمها وقد أوشكت على الفناء بينما زعيمها يجيل النظر هنا وهناك باحثاً عن راحة أو ظلّ أو ماء.

تعالَ سلِ القبيلةَ والجمالا
لأيةِ غايةٍ شدوا الرحالا
وكيف تبدلوا أرضاً بأرضٍ
وكيف تغيروا حالا وحالا..
تطلعتِ العيونُ لعل ماءً
يتاحُ على الهواجرِ أو ظلالا
ومدّ الشيخُ في الصحراء لحظاً
كلحظ الصقر في الآفاق جالا
كأن بنيه سقما أو هزالا
خيال جر هيكلهُ خيالا
أقافلة الحياة أريتنيها
فلم ترَ مثلها عيني مثالا
أجل هي نحن في الدنيا حيارى
وما ندري لقافلةٍ مآلا
رأيتُ حياتَنا. كم من غريب
على جنبيه بالإعياء مالا
وكم من سائلٍ لم يلقَ ردا
وقد سأل الهواجرَ والرمالا
فإن تجب القفار عليه يوماً
تردّ له سوافيها السؤالا

* * *

أقافلة الحياة أريتنيها
خيالا أو ضلالا، أو محالا

عاصفة

صـــورةٌ للبحــــر أم صـــورةُ نفسِ
عنـــدمـا النفس من اليـــأس تثـورُ
قـد علا المـوجُ وقد عـز التأسي
لـم يعـــدْ إلا عـبـــابٌ وصـخـــورُ
زلــزل الــبـحـــرُ عــلى راكــبـه
مـثلمـا زلـــزل قـــلبٌ ضـجـــرُ
ســفـــر صـــار عـــلى طـــالــبـه
ركبُ ضنـــك، والمنـايـــا سفـرُ . .

* * *

غـــرَّب الحظُّ كمـا مـــال الشراعْ
هكـذا الأعمـار في الـدنيـا تميـلْ
وسـرتْ في الجـو أشبـاحُ الـوداع
وتنـــادى كـــل شيء بـــالـــرحيـــلْ

* * *

أإذا اشتـــد على الـقلب الـبـلاء
أإذا جـــار عـــبـــابٌ وتـــنـــاهـى
تعصف الأمـواجُ عصفـاً بـالـرجاء
كيف ننسى أن للكـــون إلهـا . . .

عينان

طوى السنين وشق الغيبَ والظلما
برقٌ تألق في عينيك وابتسما
يا ساري البرق من نجمين يومضُ لي
ماذا تخبىءُ لي الأقدارُ خلفهما
أجئتَ بي عتبات الخلدِ أم شركا
نصبتَ لي من خداع الوهم أم حلما؟
كأنني ناظرٌ بحراً وعاصفةً
وزورقاً بالغد المجهولِ مرتطما
حملتني لسماءٍ قد سريت لها
بالروحِ والفكر لم أنقل لها قدما
شفّت سديماً ورَقَّت في غلائلَها
فكدت أبصر فيها اللوحَ والقلما
رأيت قلبين خط الغيبُ حبهما
وكاتبا ببيان النورِ قد رسما
وسحر عينيكِ إني مقسم بهما
لا تسألي القلبَ عن إخلاصه قسما
واهاً لعينيكِ كالنبعِ الجميل صفا
وسال مؤتلقُ الأمواجِ منسجما
ما أنتما؟ أنتما كأسٌ وان عذُبت
فيها الحمامُ ولا عذر لمن سلما
لمَّا رمى الحبُّ، قلبينا إلى القدر
له المشيئةُ لم نسألْ لمن ولما
في لحظةٍ تجمعُ الآباد حاضرها
وما يجيء وما قد مر منصرما
ند أودعتْ في فؤاد اثنين كل هوىً
في الأرضِ سارتْ به أخبارُها قدما

كـلاهمـا نــاظـرٌ في عين صــاحبـهِ
مـوجا من الحب والأشـواقِ ملتـطمـا
وسـاحـة بتعــلّات الهـوى احتــربت
فيهــا صـراعٌ وفيهــا للعنــاق ظمــا
يـا للغـديـرين في عينيـك إذ لمعــا
بالشوق يومضُ خلفَ الماءِ مضـطرما
وللنقيضين في كــأسين قــد جمعــا
فـالـراويــان همـا والــظامئـان همــا
بــأي قــوسٍ وسهم صــائب ويــدٍ
هواك يا أيهـا الطاغي الجميـل رمى
يـرمـي البــريء في آن وأعجبـه
ان الـذي في يديـه البرءُ مـا علمـا
وكيف يبــرئني من لـست أسـألـه
بــرءاً وأوثـر فيــه السهدَ والسقمــا
لــو أن للمــوت أسبــابـا تقــربني
إلى رضـاك لهـان المـوتُ مقتحمـا
إن الليالي التي في العمر منك خلتْ
مــرت يبـابـا وكـانت كلهـا عقمـا
تلفتَ القلبُ مكــروبـا لهــا حسـرا
وعض من أسف ابـهـامَـه نــدمـا

ايمان

قــدرٌ أراد شـقــاءنــا
لا أنــت شئــت ولا أنــا
عــزَّ الــتـلاقــي والـحــظوظُ
الـســودُ حــالــت بـيـنــنــا
قــد كـدت أكـفـر بـالـهـوى
لــو لـم أكن بـكِ مؤمـنـا!!!.

اليها

أيـهـا المـاضـي الـذي أودعتـه
حفـرةً قـد خيم المـوتُ بـهـا
أيـهـا الـشـعـر الـذي كـفـنـتـهُ
مقسمـا لا قلتُ شعـرا بعـدهـا
أيـهـا القـلـب الـذي مـزقـتُـه
صـارخـا: عهـدك يـا قلب انتهى
قـسـمـا مـا مـات مـنكـم أحـد
انـهـا رقـدةُ يـأسٍ إنـهـا
آه لـو قـام رسـولٌ ضـارعُ
أو شفيـعٌ منكـمُ ويمضي لـهـا
آه مـن يـخـبـرهـا عـن طـائـر
نـسـي الأوكـارَ إلا وكـرهـا!

بعد الحب

أرى سمـائي انحـدرتْ وانـطوتْ
لا تحسبي النجـمَ هـوى وحـدهُ
فيـا نجـوم الـليـل لا نجـم لي
ولا أرى لـي أفـقـاً بـعـدهُ

أنوار المدينة

ضحكتْ لعينيَّ المصابيحُ التي
تعلو رؤوسَ الليلِ كالتيجان
ورأيتُ أنوارَ المدينةِ بعدما
طال المسيرُ وكلَّتِ القدمان
وحسبتُ ان طاب القرار لمتعب
في ظل تحنانٍ وركنِ أمانِ
فإذا المدينة كالضباب تبخرتْ
وتكشفتْ لي عن كذوبِ أماني
قدرٌ جرى لم يجر في الحسبانِ
لا أنتِ ظالمة ولا أنا جاني

خمر الرضا

يا حبيبي اسقني الأمانيَ واشربْ
بوركتْ خمرةُ الرضا وهي تسكبْ
بورك الكأسُ والحبابُ الذي ير
قصُ في الكأس والشعاعِ المذهبْ
نضبت رحمةُ الوجودِ جميعاً
وبكَ الرحمة التي ليس تنضبْ
وإذا ضاقت السماءُ بشجوي
فالسماءُ التي بعينيكَ أرحبْ
كم تمنيتُ والصدور تجافيـ
ـني وتزورُ والوجوه تقطبْ
كم تمنيت صدرك البر يرتا
حُ على خفقهِ الطريدِ المعذبْ
هات وسّدني الحنان عليه
جسدي متعب وروحي متعب

* * *

في حفلة تكريم
الدكتور ناجي صاحب الديوان

(سان جيمس ١٩٣٤)

يا صفوة الأحباب والخلانِ
عفواً إذا استعصى عليَّ بياني

الشعرُ ليس بمسعفٍ في ساعةٍ
هي فوق آي الحمدِ والشكرانِ

وأنا الذي قضّى الحياةَ معبراً
ومرجعاً لخوالج الوجدانِ

أقف العشية بالرفاق مقصراً
حيران قد عقد الجميل لساني

يا أيها الشعر الذي نطقت به
روحي وفاض كما يشاء جناني

يا سلوتي في الدهر يا قيثارتي
ما لي أراكِ حبيسةَ الألحانِ..

أين البيان وأين ما علمتني
أيام تنطلقين دون عنانِ

نجواك في الزمنِ العصيب مخدرٌ
نامت عليه يواقظُ الأشجانِ

والناسُ تسأل والهواجسُ جمةٌ
طبٌّ وشعرٌ كيف يتفقان؟

الشعرُ مرحمةُ النفوسِ وسرُّهُ
هبةُ السماءِ ومنحةُ الديانِ

والطبُّ مرحمةُ الجسومِ ونبعُه
من ذلك الفيض العلي الشانِ

ومن الغمامِ ومن معينٍ خلفَهُ
يجدان إلهاماً ويستقيانِ

يـا أيـهـا الحـب المـطـهـر لـلقلو
ب وغـاسـل الأرجـاس والأدران
مـا أعـظم النجـوى الـرفيعـة كلمـا
يـشـدو بهـا روحـان يـحـتـرقـان
أنفـا من الـدنيـا وفي جسـديهمـا
ذلُّ الـسـجيـن وقسـوةُ الـسـجـانِ
فـتـطلعـا نحـو الـسمـاءِ وحـلقـا
صـعـدا إلـى الآفـاق يـرتـقـيـان
وتعـانقـا خلف الغمـامِ واتـرعـا
كـأسيْهـمـا مـن نـشـوةٍ وحـنـانِ
أكتبْ لـوجـه الفن لا تعـدلْ بـهِ
عِـرضَ الحيـاة ولا الحـطام الفاني
واستلهمِ الأمَّ الـطبيعـةَ وحـدَهـا
كم في الـطبيعـة من سـري معـاني
الـشعـرُ مـملكـةٌ وأنـت أميـرُهـا
مـا حـاجـة الـشعـراء لـلتيـجـانِ
هـوميـر أمَّـره الـزمـان بنـفـسـه
وقـضت لـه الأجـيـال بـالـسلطانِ
اهبطْ على الأزهـار وامسـح جفنَهـا
واسكبْ نـداكَ لـظامىء صـديـانِ
في كـل أيـكٍ نفحـةٌ وبكـلِّ رو
ضٍ طـاقـةٌ من عـاطـر الـريحـانِ

غصن صغير

رأيتِ غصنــاً صغـيــراً ... مـنــوراً ونـضـيــرا
أرق مــا تشتهي النفـ ... ـسُ منــظراً وعبيــرا
جــذبتُه جــذب عنفٍ ... قد كاد يذوي الزهـورا
فـلم يثـنَّ لــجـذبي ... وكــان غصنــاً صبــورا
لـكـنـنـي لـم أدعْــهُ ... حتى عــلا مســرورا
وارتــد يضـربُ وجهي ... ضــربــاً عنيفــاً مثيــرا
وعــاد ينشــر في الأيـ ... ـك ذا الحديثَ الاخيرا
تضـاحك الأيـكُ جذلا ... نَ شــامتــاً مســرورا
ضحكُ الذي بعد صبر ... قــد فاز فــوزاً أخيــرا

دعابات

حفلة عرس
في منزل الوزير الأديب دسوقي أباظه

(الدعابة موجهة إلى صديقنا الشاعر

النابغ الأستاذ محمود غنيم).

دعــوتَ فــلبينــا ودارُك كـعــبـةٌ ... بهــا انعقد الإخـلاصُ والحبُّ طُوَّفــا
خـميـلتُنــا تـهفـو إلـيهــا قـلوبُنــا ... وأي فـؤادٍ لـلخـمـيـلةِ مــا هـفــا
بنــوك الألى تحنـو عليهم تعـطفــا ... وتــرعــاهــم بــراً بـهــم مـتـلطفــا
إذا خلعــوا بعض الــوقــاء فسعـهم ... فمثلك عن مثل الذي صنعـوا عفــا

هنا اطرح الأعباء مثقل كاهل
وخفف من وقريْه من تخففا
فما على الفضل الأباظي طامعاً
وأغرق في الجود الأباظي مسرفا
فيا ندوة السمار هل من مسجل
يدوّن إعجاز القرائح منصفا
ليشهد أن الشعر شيء مشى بنا
مع الطبع جل الطبع أن يتكلفا
وفي دمنا يجري به متواصلا
مع النفس الجاري وينساب مرهفا
فهل ناقل عني الغداة وناشر
مقالة صدق قد أبت أن تحرّفا
حديث غنيم والردنجوت والذي
جرى بيننا ما كنت بالحق مرجفا

* * *

بصرت به والصحن بالصحن يلتقي
فلم أر أبهى من غنيم وأظرفا
تراءى له لحم فلم يدر عنده
تديك من بعد الطوى أم تخرفا
وأومأ لي؛ باللحظ يسألني به
أتعرفه أومأت باللحظ مسعفا
وقدمته للديك وهو كأنما
يطير إليه واثبا متلهفا
غنيم! أخونا الديك! قدمت ذا لذا
فهذا لهذا بعد لأي تعرفا
وما هي إلا لحظة وتغازلا
وقد رفعا بعد السلام التكلفا
فمال على الورك الشهي ممزقا
ومال على الصدر النظيف منظفا

جــزى الله أسنــانــا هنــاك عتيقــة
ظللنَ على الصحن الأبــاظي عكفــا

* * *

تعيــر نــاجي بــالــردنجــوت جــاءه
معــاراً فغــامــرْ واستعــرْ أنت معـطفــا
وأقسم لــو أن الــردنّجــوت نلتــه
وجــاد بـه من جــاد كـرهــا وسلّفــا
لـقـلّبتــه ظـهــرا لـبــطن مـحيــرا
بــه تحسبن الـوجــه من عبط قفــا
رأيتــك والعــدس الأبــاظي قــادم
كمــا انتفض المحموم بشـر بـالشفــا
ونــاهيـك بــالعـدس الأبــاظي منـظر
عــظيم كمــا هيــأت للعين متحفــا
عـلى أنــه مــا جــاء حتى رأيتــه
توارى كطيف لاح في الحلم واختفى
فــلله مــن لـفظ بـبــطنــك راســب
قــريــر ومعنــاه بـرأســك قـد طفــا

* * *

قِفا نبك أو نضحك على أي حالـة
قفَـا صـاحبي اليــوم من عجب قفـا
كأن صحاف الدار في عين صاحبي
غــوان كستهن المحــاسن مــطرفــا
أشــار لاحــداهــن إذ بــرزتَ لــه
ونـاجتـه عن بعــد وأبـدت تعــطفا
«تســائلني من أنــت وهي عـليمــة»
وهـل بفتى مثلي علىِ حالـه خفـا؟
سـأخبـرهــا من أنت! انـك شــاعـر
قنـوع إذا مــا الخيــر جـاء تفلسفــا

ومن أنت حتى ترفض النعمة التي
اتيحت وتأبى مثلها متقشفا
فتى حاله غلبٌ وآخره الطوى
وخطته عريٌ ومشروعه الحفا

هجو

في من اسمه عبد الحميد

رجل أرى بالله أم حَشَرَهْ
سبحان من بعبيده حشَرَهْ
يا فخر داروين ومذهبه
وخلاصة النظرية القذرهْ
أرأيت قرداً في الحديقة قد
فلت أنثاه على شجرهْ؟
عبد الحميد اعلم فأنت كذا
ما قال داروين وما ذكرهْ
يا عبقرياً في شناعته
ولدتك أمك وهي معتذرهْ.

هجو شاعر

أيها الحي وما ضر
الورى لو كنت متا
أوَ شعر! ذاك لا بل
حجر ينحت نحتا
تلقم الناس وترميـ
ـهم به فوقا وتحتا
صحت من يأسي لما
بركيك الشعر صحتا
آه يا قاتل يا سفـ
ـاك ! حتى أنت حتى!

الخريف

يـا حبيبي غيمـة في خـاطـري
وجفـوني وعلى الأفق سـحـابـهْ
غفـر اللّهُ لـهـا مـا صنعت
كلمـا شـاكيتهـا تنـدى كـآبـهْ
صـرخ الـقفـرُ لهـا منتحِبـاً
وبكى مستعـطفاً ممـا أصـابـهْ
فـأصـمّ الـغـيـثُ عـنـهُ أذنَـهُ
مـا على الأيـام لـو كـان أجـابـهْ

❋ ❋ ❋

كثـر الهجـرُ على القلب فـهـل
مـن سـلو أو بـعـاد يـرتـضـيـهِ
أنـت فجـرٌ مـن جمـال وصبـا
كـل فجـر طـالـع ذكّـرنـيـهِ
كـيف جـانبتـك أبغـي سلوةً
ثـم نـاجيتـك في كـل شبيـهِ
أيـهـا الـسـاكـن عـيـني ودمـي
أين في الـدنيـا مكـان لست فيـهِ
عـنـدمـا أزمـعَ ركـب الـعـمـر
رحـلةً نـحـوَ الـمـغـانـي الأخـرِ
ظـهـرت تـجـلوك كـفُّ الـقـدر
صـورةً أروع مـا فـي الـصـورِ
تـتـراءى في الـشـبـاب الـعـطر
نـفـحـةً تـحـمـل طيبَ الـسحـرِ
وقـف الـعـمـرُ لـهـا مـعـتـذراً
وثـنـى الـركـبُ عـنـانَ الـسفـرِ

❋ ❋ ❋

عنـدمـا أقفـرتِ الـدنيـا جميعـاً
لحتَ لي تحمـل عمـراً وربيعـا
إن يكن حلمـاً تـولى مسـرعـاً
أجمل الأحلام ما ولى سـريعـا
إن يكنْ مـا كـان دَيْنـاً يقتضيْ
خلني أدفعـه عنـك دمـوعـا
قـد شـريـنـاه عـزيـزاً غـاليـاً
إن تكن بعتَ فـإني لن أبيعـا

* * *

يـا نـدامى الحب سُمـار الهوى
سكبوا لي السهدَ في ذاك الشراب
ارقـوني أجـرع السـقم وبـي
صفـرة الكأس وأوهـام الحباب
كـلمـا تـقـبـل أيـام المـنى
تنجلي النعماءُ عن ذاك السراب
وتـرى أيـاميَ الـحيـرى عـلى
عـرسها الضاحك أحزان الضباب

* * *

لـم أقيـدك بشيء في الـهـوى
أنت من حبي ومن وجـدي طليقْ
الـهـوى الخـالص قيـد وحـده
رب حـر وهـو في قيـد وثيقْ
مـزّقت كفيـك أشـواكُ الهـوى
وأنـا ضقت بـأحـجـار الـطريقْ
كـم ظـمـيٍ بـظمـيٍ يـرتـوي
وغـريـق مـسـتـعـين بـغـريـقْ

* * *

يا ليالي العمرِ ما سر الليالي
البطيئات المملات الطوالِ
مسرعات مبطئات ولها
خفة الموت وأثقال الجبالِ
كاسفات البال عرجاء المنى
عاثرات الحظ شوهاء الظلالِ
عجباً للعمر يمضي مسرعاً
للمنايا بسلحفاة الملال (؟!)

* * *

يا قماری الروض في أيك الهوى
جفّتِ الروضةُ من بعد النديمْ
حل بالأيك خريفٌ منكرٌ
وظلال قاتماتٌ وغيومْ
ماتت الروضةُ إلا طائفاً
من هوى حي على الذكرى يقومْ
فإذا أنكر ما حل بها
فر يبغي سربَه بين النجومْ
شاهت الدنيا وجوهاً ورؤىً
وتولاها سهومٌ ووجومْ
يا عذارى الحسن في ظل الصبا
كل حسن بعد ليلاي دميمْ
يا نعيم العيش في ظل الرضا
آه لو أعرف ما طعم النعيمْ
أنكر الجنةَ قلبٌ ضجرٌ
أبدي النار موصول الجحيمْ

* * *

طالما موهتُ بالضحك فما
غيَّر التمويهُ رأياً لك فيا

كلما تنظر في عيني ترى
سريَ الغافي ومعناي الخفيا
وترى في عمق روحي زهرة
قد سقاها الحزنُ دمعاً أبديا
ويراه الناسُ طلا وترى
أنت دمعاً غائماً في مقلتيا

* * *

يا فؤادي ما ترى هذا الغروبْ
ما ترى فيه انهيار العمرِ؟
ما ترى فيه غريقاً ذا شحوبْ
يتلاشى في خضم القدرِ؟
ما تراها اتأدتْ قبل المغيبْ
ورمتْ من عرشها المنحدرِ
لفتةَ الحسرةِ للشط القريبْ
قبل أن تسقط خلف النهرِ...

* * *

يا فؤادي قاتل اللّهُ الضجرْ
وعذابي بين حل وسفرْ
ما ترى قنطرةً من بعدها
راحة ترجى وبال يستقرْ
ذلك الجرح وما أفدحه
ما عليه لو إلى السلوى عبرْ
قد طواه اليوم في بردته
وأتى الليلُ عليه فانفجرْ

* * *

مرَّ يومي فارغاً منك ومن
أملِ اللقيا فما أتعسَ يومي
أنت يومي، وغدي أنت، وما
من زمان مرّ بي لم تكُ همي!

آهِ كم أغـدو صغيـراً، حـاجتي
لـكَ كـالـطفـل إلى رحمـةِ أمِّ
ولـكم أكبـر بـالـحب إلـى أن
أغتـدي مستشـرقـاً آفـاق نجمِ

* * *

أي سـرٍّ فيـك إني لـست أدري
كـل ما فيـك من الأسـرار يغـري
خـطرٌ ينسـابُ من مفتـر ثغـر
فتنـة تـعصف من لـفتـة نـحـرِ
قـدر ينسـج مـن خصـلة شعـر
زورق يسبـحُ في مـوجـةِ عـطرِ
في عبـاب غـامض التيـار يجـري
واصـلاً مـا بين عينيـك وعمـري

* * *

ذات لـيـلٍ والـدجى يـغمـرنـا
أتـرى تـذكـر إذ جزنـا المدينةْ؟
كـلمـا روعـت مـن نـار شـجٍ
حـر مـا يصلى تلمست جبينَـهْ
بيدٍ شفـافـة مثـل النـدى الـرطـ
ـب تعيـد النـار بـردا وسكينـه
أيـهـا الآسـي لـنـاريَ هـذه
مـا الذي تصنع بالنـار الـدفينـه؟

* * *

أخـيـالاً كـان هـذا كـلُّهُ
ذلـك الجسـر الـذي كنـا عليـه؟
والمصـابيـح التي في جـانـبيـه
ذلـك النيـل ومـا في شـاطئيـه؟

وشعاع طوفت في مائه
وظلالٌ رسبت في ضفتيه
وحبيب وادع في ساعدي
ووعود نلتها من شفتيه؟

* * *

رب لحن قص في خاطرنا
قصةَ الحادي الذي غنّى سهادَهْ
وكأن الصمت منه واحةٌ
هيأتْ من عشبِها الرطبِ وسادَهْ
ها أنا عدت إلى حيث التقينا
في مكان رفرفت فيه السعادَهْ
وبه تد رفرف الصمتُ علينا
إنَّ في صمت المحبين عبادَهْ

* * *

رفرف الصمتُ ولكن أقبلتْ
من أقاصي السهلِ أصداءً بعيدَهْ
تتهادى في عبابٍ ساحرٍ
مرسلٍ للشطِّ أمواجاً مديدَهْ
كم نداء خافت مبتعد
تشتهي أذنُ الهوى أن تستعيدَهْ
عاد منساباً إلى أعماقها
هامساً فيها بأصداءٍ جديدَهْ

* * *

رفرف الصمتُ ولكن ها هنا
كل ما فيك من الحسنى يغني
آه كم من وتر نام على
صدر عودٍ نومَ غاف مطمئنِ
وبه شتى لحون من أسى
وحنينٍ وأنينٍ وتمني

رقـدَ الـعـاصفُ فيـه وانـطوتْ
مهجةُ العودِ على صمتٍ مرنِ. . .

* * *

هـذه الـدنيـا هـجيـرٌ كـلُّهـا
أين في الرمضاء ظل من ظلالـكْ
ربـمـا تـزخـر بـالحسن ومـا
في الدمى مهما غلت سر جمالكْ
ربـمـا تـزخـر بـالـنـور وكـم
من ضياء وهو من غيـرك حالـكْ
لو جرت في خاطري أقصى المنى
لـتمنيـتُ خيـالاً من خيـالـك

* * *

أنـا إن ضـاقت بي الـدنيـا أفيءْ
لـثـوانٍ رحبَـةٍ قـد وسـعـتـنـا
إنـمـا الـدنيـا عبـابٌ ضمنـا
وشـطـوطٌ من حـظوظٍ فـرقتـنـا
ولـقـد أطـفـو عـليـه قـلقـاً
غـارقـاً في لحـظة قـد جمعتْنـا
كلمـا تتـرى المعـانـي أجتـلي
خلف معنـاهـا لأسـرارِك معنى

* * *

مـا الذي صبك صبـاً في الفؤادْ
مـا الـذي إن أقصِـه عنيَ عـادْ
طـاغيـاً يعصفُ عصفـاً بـالـرشـادْ
ظـامئـاً سـيـان قـربٌ وبـعـادْ
سـاهـر العينين مـوصـول السهـادْ
مـا الذي يجـري لهيباً في الـرمادْ

مـا الـذي يـخلقنـا مـن عـدم
ما الذي يجري حياةً في الجمادْ

* * *

كـم حبيـب بـعـدت صـهبـاؤه
وتبـقـت نـفـحـةٌ مـن حـببِـهْ
في نسيـجٍ خـالـدٍ رغم البلى
عبث الـدهـرُ ومـا يـعبث بِـهْ
مـا الـذي في خصلة من شعـره
مـا الـذي في خـطه أو كُتبِـهْ
مـا الـذي فـي اثـرِ خـلّفـه
مـن أفـانيـن الهـوى أو عـجبِـهْ

* * *

مـا الـذي في مجلس يـألفـه
عـقـد الـحبُّ عليـه مـوعـدَهْ
ربـمـا يـبـكي أسـى كـرسيُّـهُ
إن نـأى عنـه وتبكي الـمـائـدَهْ
ربـمـا نـحـسبـهـا هـشـتْ إذا
عـائـدٌ هش لـهـا أو عـائـدَهْ
ربـمـا نـحـسـبـهـا تـسـألـنـا
حيـن نـمضـي أفـراق لـعـدَهْ؟

* * *

كم أعـدت لك ستراً في الخفاء
وتـوارت عـن عـيـون الـرقبـاء
كـم أعـدت نفسهـا وانـتـظرت
واستـوت مـوحشـة تحت السمـاء؟
وهي لـو تملك كفـا صـافـحت
كفَّـك الحـلوةَ في كـل مسـاء

وهي لـو تملك خَـوداً بـذلت
كـل مـا تملك كفٌّ من سخـاء

* * *

رب كـرم مده الـليل لـنـا
فتـواثبـنـا لـه نبغي اقتـطافَـهْ
وعـلى خـيـمـتـه أسـوده
عـربي الجـود شـرقي الضيافَـهْ
وجـد الـعـرس على بـهـجـتـه
وسـنـاه دون ورد فـأضـافَـهْ
ثـم وارت يـدَه جـنـيـةٌ
وطـوتـه بـأسـاطيـر الخـرافَـهْ...

* * *

أرج يـعـبـق فـي أنـحـائـه
حملتـه نحـو عـرشينـا الـريـاحْ
كـل عـطر في ثنـايـاه سـرى
كـان سـرّاً مضمـراً فيـه فبـاحْ
يـا لهـا من حقبـة كـانت على
قِـصَـر فـيـهـا كـآمـاد فـسـاحْ
نـتـمـنى كـلـمـا طـابـتْ لـنـا
أن يـظل الليـل مجهـول الصبـاحْ

* * *

يـا فؤادي العمـر سفـرٌ وانـطوى
وتـبـقـتْ صفـحـة قـبـل الـنـوى
مـا الذي يغـريك بـالـدنيـا سـوى
ذلـك الـوجـه، وذيـاك الهـوى

* * *

العائد

أجـرْ غـربـتـي أيـهـا الـعـائـدُ
فـقـد ملّنـي الـداءُ والـعـائـدُ
أجـرْ غـربتي فبـلادي الهـمـوم
ولـيـلٌ بـطيء الـخـطى راكـدُ
تـقـاسمني في نـواك الـديـار
وأنـتَ لـي الـوطـن الـواحـدُ
مـحيـاك داري ومـنـك نـهـاري
إذا ضمـك الصـدرُ والسـاعـدُ

* * *

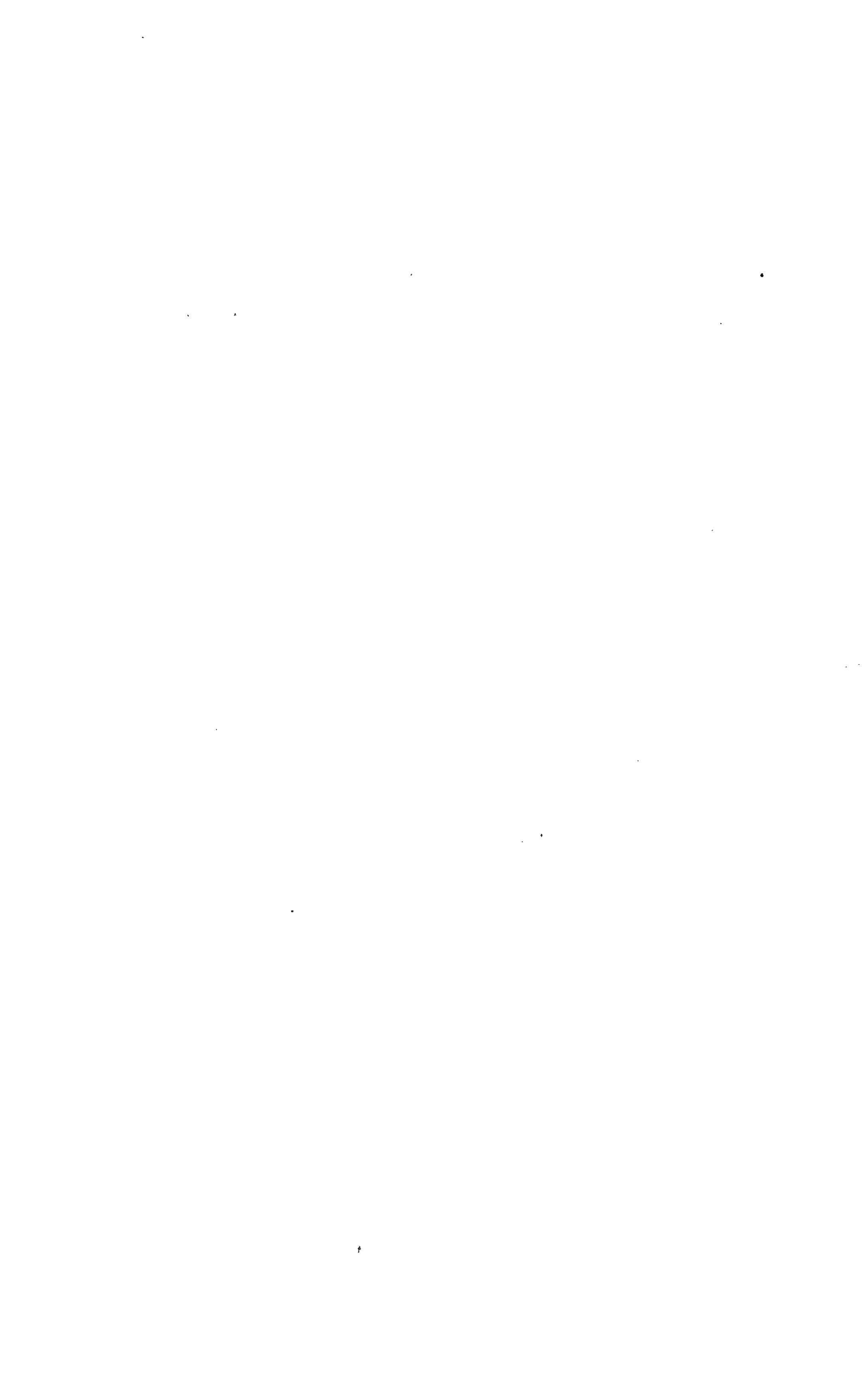
أجـرْ شفتي من عـذاب الـظمـا
أمـا أذن الـلّهُ أن تـرحـمـا!
أتمعن في الهجـر حتى تـرانـا
بـكـيـنـا دمـا واحـتـرقـنـا فمـا؟
ولـي رمقٌ صـنـتُـهُ كـي أراك
فـاشـفِـقْ عـلى رمقي ريـثـمـا
إذا طـلـب الـحـبُّ بـرهـانَـهُ
من المـوت لبَّيتُ كي تعلمـا..

* * *

لـيـاليّ مـرت هـبـاء عـقـيـمـا
فهـل تـتـوالى الـبـواقي سـدى؟
أسـائـل جـرحـيَ عمـن جـنـاهُ
وارنـو فـاسـتـخـبـر العوّدا
فمـا اطلعـوا الـيـوم بـالبشـريـات
ولا عـللوا بـالـتـلاقي غـدا...
فـلمـا تـنـكـرَ حـتى الـمـحـب
تـلـفـت أسـألُ عـنـك الـعـدا

* * *

سـلام على غـائب عن عيـوني
حـمـلت حـطامـي إلـى دارهِ
وقـلت لـقـلبي تـمـهـل بـنـا
وخـبـىء شـقـاءَك أو دارِهِ
تنـاسَ الأسى ها هنـا أو يقال
حـمـلتَ الـظلامَ لأنـوارهِ...
أتـغـدو إلى عـتبـات الـنعـيم
بلفحِ الجـحيم وإعصـارهِ!..



الطائر الجريح

زازا

أنا وحدي في البيدِ حيرانُ هائمْ
فمتى تذكرُ القفارُ الغمائمْ
رحمةً يا سماء إن فمي جفّ
وحلقي عن المواردِ صائمْ
غاض نبع المُنى ولم يبقَ حتى
ومضة الحلم في محاجر نائمْ
أيها الطاعم الكرى ملء جفنيـ
ـك وجفني من الكرى غيرُ طاعمْ
أبكني واستبِد بي واقضِ ما شا
ء لكَ الحسنُ فيَّ واظلِمْ وخاصمْ
غير هذا النوى فإن لياليـ
ـه ظلالٌ من المنايا حوائمْ
تضمحلُّ الحياةُ فيه وتنهدُّ
كأن النهارَ معْولُ هادمْ
لا تكلْني لذلك الأبد الأسـ
ـود في قاع مُزبدِ اللُّج قاتمْ
لا تكلني لِهُوَّة تعصف الأشـ
ـباحُ في جوفها وتعوي السمائمْ
لا تكلْني إلى جناحِ عُقابٍ
في ضلوعي محَلِّق الرعبِ جاثمْ
لا تكلْني لضائع في حنايا
ها غريب في مهمهٍ من طلاسمْ
يسأل الزهرُ والخمائلُ والأنْـ
ـوارُ عن تِربها الضحوك الباسمْ
ذاق ما ذاق في الصبابة إلا
ذبحة الروح وانفصال التوائمْ

إن تَعُـدْ محسنـاً إليّ فعُـد بـي
للعهـود المقـدسـات الكـرائمْ
وإذا مـا رأيتَ عـزمـيَ يـنـهـا
رُ فثبِّتْ بـالـذكـريات الـدائمْ
جئتني في الخريف والروضُ عـارٍ
فكسوتَ الربى عـذارى البراعمْ
وأجـال الـربيـع أخضـرَ كفّيـ
ـهِ ليمحـو اصفـرارَه المتـراكـمْ
رحـلة للنجـوم لـم تـك أوهـا
مـاً وبعضُ النعيمِ أوهـامُ حـالمْ
آه كـم لـيـلة أراجـع أيـا
مي أعُـدُّ العُلى وأُحصي العظائمْ
وحسبت الخسـران فيها فكـان الـ
ـغبنُ عنـدي زمـانيَ المتقـادمْ
قبـل أن نلتقي فـلمـا تـلاقيـ
ـنا عـرفت الغنى وذقت المغـانمْ
حيثمـا أغتـدي فـإن الـدراري
مـلءُ روحي وفي خيـالي بـواسمْ
إن أبـتْ جـائعـاً فـثمّـة زادي
أو أبـتْ معسـراً فثمَّ الـدراهـمْ
وعجيبٌ قد كنت لي حسد الحسا
د فيهـا وكـنت أنـت الـتمـائمْ
بـالـذي صنتُ عهـدَه لم أخنْـهُ
ومتى خـانتِ الأكفُّ المعـاصمْ؟
والـذي حكمـه كـأقـدار عينيـ
ـك فما منهما ولا منـه عـاصمْ
أيُّ صـوتٍ من الغيـوب ينـاديـ
ـني فـأطوي لـه الـدُّنى والمعـالمْ
قـدر مشعـلٌ عـلى شفـةٍ تـد
عو فأخـطو على اللظى غيرَ نـادمْ

وفـؤادي يحـرِمُ بـالـنـار لا يحـ
ـفـل أنـي على الـمنيَّـة حـائمْ
الهـوى مصـرعي وكم من حِمـامٍ
كـان بـابـاً إلى الخلود الـدائمْ
وطـريـقـاً مـن الأسـنّـةِ والـشـو
كِ روتْ أرضَـه الدمـوعُ السـواجمْ
شهـد اللّهُ مـا قضيـتُ الليـالـي
نـاعمَ الجنب فـوق مهدٍ نـاعمْ
أيُّ جَيشيـك مغـرقي ليلي الـطا
غي أم الشـوق وحدهُ وهـو عارم؟
آهِ مِن رُبـمـا ومـن أمـلٍ يُـمْـ
ـسـكُ نفسي رجـاء يـومٍ قـادم
قد تجيءُ الأنباءُ من شاطىء النيـ
ـل غـداً والمبشـراتُ النسـائمْ
وتكـونُ النجـاةُ في القمـر السـا
ري على زورقٍ من النـورِ حـالمْ

بقايا حلم

آهِ من وجْدك بالهاجر آه
تتمنى أن تراه؟ لن تراه!
خدعَتْنا مقلتاهُ خدعتْنا
وجنتاه خدعتنا شفتاهْ
والذي من صوته في مسمعي
وخيالي غادرٌ حتى صداهْ
حلم مرَّ كما مر سواه
وكذا الأحلام تمضي والحياهْ

* * *

أين يا ليلاي عهد الهرم
أين يا ليلاي حلو الكلِم؟
هامسات بين أذني وفمي
ساريات غرداتٍ في دمي
كلمات عذبة مُعسولة
ضيَّعت وارحمتا للقسمِ
ذهبت مثل ذهاب الحلم
إنني أعلم ما لم تعلمي

* * *

كيف صدَّقنا أضاليلَ الهوى
بنُهى طفل وإحساس صبي؟
حسبُنا منه سماء لمعتْ
فوق رأسينا وكوخ خشبي
حلم ولّى ووهم لم يدُم
ما تبقّى غير خيط ذهبي!

* * *

ذات يـوم فـي أصيـل فـاتـن
ذابـت الشـمسُ فسـالـت ذهـبـا
كـست النيـلَ نُضـاراً وانـثـنَتْ
تـغـمـر الـصحـراء نـخـلاً وربى
مـا على الجيـزة أن قـد أبصـرتْ
شـفقي معتنقـاً فجـر الـصبـا
قـد رأتـنـا مثـل طـيفَيْ حـلمٍ
مـا عـليـهـا أقبـلا أم ذهـبـا!

* * *

قلتُ هيـا! قلتِ نمشي سرْ فمـا
مـن طـريـق طـال لا نـذرعـهُ
قلتُ والعمـر بعيني كـالكـرى
وأنـا فـي حـلم أقـطعـهُ
جـمـع الـدهـرُ حبيـاً وامـقـاً
بـحـبـيـب وغـداً يـنـزعـهُ
أطـريـقـان: طـريـق دونـه
في حيـاتـي وطـريـق مـعـهُ؟

* * *

كـلـمـا خـلّى حـبـيـبـي يـده
لـحـظة قـلت وحـبّي أبـقِـهـا!
أبقهـا أنـفض بهـا خـوف غـدٍ
وأحسَّ الأمـن مـنـهـا وبـهـا
أبـقـهـا أشـددْ بـهـا أزري إذا
ضـعُـف الأزرُ أو الـعـزمُ وهـى
أبـقـهـا أُومـنْ إذا لامـسـتـهـا
أن حبي لـيس حـلمـاً وانـتـهـى

في ظلال الصمت

ها أنا عدت إلى حيث التقينا
في مكان رفرفت فيه السعادهْ
وبه قد رفرف الصمت علينا
إن في صمت الحبيبين عبادهْ
ربْ لحنٍ قص في خاطرنا
قصةَ الساري الذي غنى سهادهْ
وكأنَّ الصمتَ منه واحةٌ
هيَّأتْ من عشبها الرّطبِ وسادهْ

* * *

صمتَ السّهلُ ولكن أقبلتْ
من ثنايا السهل أصداءٌ بعيدهْ
كلُّ لحنٍ في هدوءٍ شاملٍ
تشتهي النفسُ به أن تستعيدَهْ
يتهادى في عُباب ساحرٍ
باعثٍ للشطِّ أمواجاً مديدهْ
فإذا ما ذهب الليلُ بها
تزخرُ النفسُ بأصداءٍ جديدهْ

* * *

هدأ الليلُ هنا لكنني
كنت في حسنك بالصمت أُغني
كلُّ لحنٍ لجبٍ يغشى دمى
لعب العازف بالعود المُرنّ
ناقلاً للنّهر والسهل معاً
قصةً يشرحُها عنك وعني
قصة الشاعر والحسن إذا اس
تبقا للخلد في حومة فنّ

* * *

مـا الـذي في خـصـلة راقـدة
مـا الـذي في خـطِّه أو كتبِـهْ؟
مـا الـذي فـي أثـرٍ خـلّفـه
مـن أفـانيـن الهـوى أو عـجبـه
مـا الـذي في مجلس يـألفـه
عـقـد الـحب عـليـه مـوعـده
ربـمـا يـبـكي أسـىً كـرسيُّـه
إن نـأى عنـه وتبكي الـمـائـده
ولـقـد نـحـسـبـهـا هشَّـت إذا
عـائـد هشَّ لـهـا أو عـائـده
ولـقـد نـحـسـبـهـا تـسـألـنـا
حـيـن نـمـضـي أفـراق لـعِـدَه؟

* * *

كـم أعـدَّت نفسهـا وانـتـظرت
واستـوت مـوحشـة تحت السمـاء
وهي لـو تملِك كفّـاً صـافـحت
كفَّـكِ الغضّـة في كـل مسـاء
رُبَّ كـرم مـدَّه الـليـل لـنـا
فتـواثبنـا لـه نبغي اقـتـطافـهْ
وعــلى خــيــمــتــه حـارسـه
عــربي الجـود شـرقي الضيافـهْ
وجَـد الـعـرس على بـهـجـتـه
وسـنـاه دونَ وَرْدٍ فـأضـافـهْ
ثـم وارتـه غـيـابـاتُ الـدّجـى
كخيـالٍ من أسـاطيـرِ الخُـرافـهْ

* * *

أرجٌ يـعبـقُ في جُـنـحِ الـدّجى
حملتـه نحـو عَـرْشَيْنـا الـريـاحْ

كــلُّ عــطرٍ فـي ثـنـايـاه سـرى
كـان سِـرّاً مُضمـراً، فيـه فبـاحْ
يـا لهـا من حقبـة كـانت على
قِـصَـرٍ فـيـهـا كـآمـاد فـسـاحْ
نـتـمـنى كـلمـا امـتـدت بـنـا
أن يـظل الليـل مجهـول الصبـاحْ

* * *

أنـا إن ضـاقت بيَ الـدنيا أفيءْ
لـثـوانٍ رحـبـةٍ قـد وسِـعـتـنـا
إنـمـا الـدنيـا عُـبـابٌ ضمَّـنـا
وشـطـوطٌ مـن حـظوظ فـرّقتـنـا
ولـقـد أطـفـو عـلـيـه قـلِقـاً
غـارقـاً في لحـظةٍ قـد جمعتنـا
ومـعـاني الحـسـن تـتـرى وأنـا
نـاظـرٌ فيهـا لمعنىً خلف معنى
هـذه الـدنـيـا هـجيـرٌ كـلُّهـا
أين في الرمضاء ظلٌّ من ظلالـكْ
ربـمـا تـزخـر بـالحـسـن ومـا
في الدُّمى مهما غلت سحر جمالكْ
ولـقـد تـزخـر بـالـنـور وكـم
من ضيـاء وهو من غيـرك حالـكْ
لو جرت في خاطري أقصى المنى
لـتمـنيت خيـالاً مـن خيـالـكْ!

* * *

قـلت لـلّيـل الـذي جـلّلنـا
والـذي كـان على الســرِّ أمينـا
أين يـا قلبـيَ مَنْ قـلبي اجتبى
لهـواه واصـطفـاه لي خـدينـا؟

لم أكن أطمع أن ترحمني
بعد أن قضّيت في الوجد السنينا
لم أكن أطمع أن تُضمِر لي
آسياً يُبرىءُ لي الجرح الدفينا
لم أكن أعلم يا ليل الأسى
أن في جنحك لي فجراً جنينا

* * *

أيها اللائذ بالصمت كفى
وأدِر وجهَكَ لي وانظرْ طويلا
لا تمِل واسخرْ من الدنيا إذا
شاءت الأيام يوماً أن تميلا

* * *

ما الذي مكّن في القلب الودادْ
ما الذي صبّك صبّاً في الفؤادْ؟
ما الذي ملّك عينيك القيادْ
ما الذي يعصف عصفاً بالرشادْ؟
ما الذي إن أُقصهِ عنيَ عادْ
طاغياً سِيّان قربٌ أو بعادْ؟
ما الذي يخلقنا من عدم
ما الذي يُجري حياة في الجمادْ؟

* * *

كم حبيب بَعُدت صهباؤه
وتبقت نفحة من حبَبهْ
في نسيج خالدٍ رغم البلى
عبث الدّهرُ وما يعبث به

* * *

أين سلطاني ومجدي والذي
حبُّه مجدٌ وسلطانٌ وعزّه؟

أين إلهامي ونوري والذي
أيقظَ القلبَ إلى البَعْثِ وهَزَّه؟

* * *

نأى عني

قد نأى عني الذي يرحمني
والذي يفهم آلامي وروحي
والذي أعبد منه غُرَّةً
كندى الأزهار في الوجه الصبيحِ
والذي أشتَمُّ منه غادياً
عبقَ الأنداءِ في الوادي الصدوحِ
آه يا هند جراحي كثُرَت
فتعاليْ ضمدي أنتِ جروحي!

قصة حب

مرت حياتي دون أمنيةٍ
وتقلّبت مَللا على مللِ
حتى لقيتكِ ذات أمسية
فعرفت فيكِ مطالع الأمل

* * *

طافت بي الأيامُ واحدة
لم تلقني فرحاً ولا جزعا
وتمرّ فارغة وحاشدة
وقد استوت ضِيْقا ومتسعا

* * *

والعمرُ سارَ كأنه العدمُ
سقمي به عندي كعافيتي
فأذقني ما لم يذقه فمُ
من أي كأس كنت ساقيتي؟

* * *

ما هذه الدنيا التي اقتربتْ
فيها المنى والظلُّ والثمرُ؟
تجتاز وامضة فمذ وثَبَتْ
وثَبَ الهوى وتمهَّلَ القدرُ!

* * *

قدماك ما انتقلا على درج
حاشاك بل خطرا على ثبجِ
كسفينة خفّت على اللجج
نَشوى بما حملت من الفرَجِ!

* * *

في مظلم متعرج كابٍ
والليل تغزوني جحافلهُ
دقّت يدُ النعمى على بابي
والعيش خابي النجم آفلهُ

* * *

يا للمقادير الجسام ولي
من ظلمها صرخات مجنون
باكي الفؤاد مشرّد الأمل
وقف الزمان وبابه دوني

* * *

مزّقتِ ظلمة كل ديجورِ
وألنت ما قد كان منه عصَى

وفتحتِ مصراعيه للنور
ما كنتِ إلّا ساحراً وعصا

* * *

ماءٌ ضربتُ الصخر فانبجسا
وجرى الغداةَ زلالُهُ العذبُ
أيقول دهري إن ما يبسا
هيهات يرجع عودهُ الرطبُ

* * *

صيّرت دعواه لتفنيدِ
وحطّمته وهزمت حجّتهُ
وأعدتِ ما قد جفّ من عودي
مخضوضراً وأقمت صعدتَهُ!

* * *

يا من رأت طللاً كتمثالِ
يستعرض العمرَ الذي مرَّا
وكأنه في رسمِهِ البالي
ندم الأسيف ودمعة حرَّى

* * *

ورد ذوى أو طائر صمتا
العمر مثل الظلّ منتقل
الناس لا يدرون من ومتى
والناس إن علموا فقد جهلوا
ما خطبهم في روضة حالت
أو صوّحت أفنانها الخضُل

* * *

نزل الربيع بها فنضّرها
وأحالها بشبابه لحنا

ومشى الشتاءُ لها فغبّرها
وأحالها لفظاً بِلا معنى

* * *

هذا حديثٌ يشبه السِّحرا
هيهات أفرغ من روايتهِ
شفق المغيب جعلته فجرا
وبدأت عمري من نهايتهِ

* * *

إني لطيرٌ حائر باكِ
قد كانتْ الأحزانُ فلسفتي
ذابت حناناً يوم لقياكِ
وجرت أغاريداً على شفتي

* * *

يا من طويت عليه جارحتي
وسألت عنه الأنجمَ الزّهرا
وضربت في الصحراء أجنحتي
أستلهم الكثبانَ والقفرا

* * *

والماء أنهَل حيثما كانا
والبرق أتبع حيثما لمعا
فأرى صفاءَ الوردِ غيمانا
والمطلقُ المجهولُ ممتنِعا!

* * *

بقية القصة

كـلاّ ولا لـغـة لـه إلا الـذي
قـد جال في عينيـك أو عينيّـا
أو لفظة جمدت على شفتيكِ من
فـزَع كمـا مـاتت على شفـتيّـا
أو حسـرة مني إليـك وحسـرة
مـرتـدة مـن نـاظـريـك إليّـا

* * *

لا أنـت نـائـيـةٌ ولا أنـا نـاء
إنـي لـديـك مقيَّـدٌ بـوفـائي
بعض الهـوى يُسدى كمنَّة منعمٍ
وجـمـيـلةُ دَيـنٌ رهـيـن قـضـاءِ
ويقـلُّ عمرُ الـدهـرِ تـوفيَةً لمـا
أسـدَيتِـهِ بجـمـالـكِ الـوضَّاءِ
عُمـر الزمـانِ فِدىً لسـاعـة ملتقى
سمحت بهـا الأقـدارُ ذات مسـاءِ

* * *

أنتِ التي علمتِني معـنى الـحيـا
ة حـبيـبـةً ونـجـيَّـةً وصـديـقـا
أنكـرتُ معنـاهـا بغيـركِ واستـوت
وتشـابهـت سعـة علـيَّ وضيـقـا
وودِدت لـو غـالَ الخـلائقَ غـائـلٌ
مفنٍ أو اشتعـل الصبـاحُ حـريقـا
وسلمتِ أنتِ فـأنتِ أدنـاهـم إلى
روحي وأبعـدهـم علـيَّ طـريقـا!

* * *

لا تسألِيني عن غدٍ لا تسألي
فغداً أعود كما بدأتُ غريبا
هتك الستار مقنَّع حسناته
يخفين خلف ريائهن الذِّيبا
كان التلاقي بيننا كفَّارة
للدهر عن آثامه ليتوبا
فلتذهب الحسناتُ غير كريمة
سأعُدُّهُنَّ على المتاب ذنوبا!

* * *

أرنو وحيداً للمكان الخالي
كأسي وكأسك فارغان حِيالي
مرَّ المساء مخيَّبا فتساءلا
وتلفَّتا لكِ في المساء التالي
حتى إذا ملَّا ترقُّب عائد
يُحيي ويبعث ميّت الآمال
بَكياكِ بالحبَب الحزين وربما
بكت الكؤوسُ على النديم السالي!

* * *

أرنو إلى الصهباء غام شعاعُها
وامتد نحو النفس ظل جنابها
وكأنما روحي هناك حبيسةٌ
تطفو وترسب في خطوط حَبابها
وكأن راهبة هناك سجينةٌ
مغمورة بدموعها وعذابها
ظلّت تقيم على الشموع صلاتها
حتى تلاشى النور في محرابها

* * *

كم ذكـريـات في الحيـاة عـزيـزة
مــرَّت علـيَّ فكـنـتِ أغــلاهـــنَّ
حتى إذا عفتِ الصبــابـةُ وانقضى
مــا بـيـنـنــا أقـبـلت أســألـهـــنَّ
وسـألت عنك العمـر ماضيه وحـا
ضــره فكــان العـمـــر أنتِ وهــنَّ
والله مــا غــدَر الــزمــانُ وإنمــا
هـانت عليـكِ الـذكـريـاتُ وهُنَّـا!

* * *

يـا زهـرة عــذراء تنشـرُ عــطرَهـا
وتذيعُ في جفن الضُّحى أحـلامها
لاقيتُهـا والـريــحُ تجمـعُ شملَهــا
والسُّحْبُ تجمـع بـرقَهـا وغمـامَهـا
عــانقتهـا ظمــآن أشـربُ راحهــا
واستقــطرتْ قلبي لتمـلأ جــامَهـا
فـإذا الريـاح نـزعنهـا عن خـافقي
ضمَّت على أنفــاســه أكمــامَهــا

* * *

حلم كمـا لمـع الشهــابُ تـوارى
سـدلت عليـه يـد الـزمـان ستـارا
وحبيس شجــوٍ في دمي أطلقـتــه
مـتـدفـقــاً ودعَــوتُـه أشــعــارا
ووديعــة رجعت فمـا خــطبي إذا
رُدَّ الـذي كـان الـزمـانُ أعــارا؟!
قد كان قلباً فاستحال على المدى
لـحنـاً تـنــاقله الــرواةُ فســارا!

* * *

يا حِصنيَ الغالي فقدتُكِ وانطوى
ركني وأقفر موئلي وملاذي
نعطي أخذ في الحديث ومقلتي
مسحورةٌ بجمالك الأخّاذِ
والدهر يغريني فأُعرض لاهياً
فيظل يفتنُني بتلك وهذي
والدهر يَهزل والغرام يجدُّ بي
ما كنتِ ساخرة ولا أنا هاذي

* * *

هل كان عهدَكِ قبل تشتيت النوى
إلا مخالسة الخيال الطارقِ؟
إشراقة وطغى عليها مَغرب
غيران يخطفها كخطف السارقِ
أو لمعةٌ لم تتئدْ ذهبتْ بها
دكناء مدَّتْ كفها من حالقِ
وكأن ثغرَك والنوى تعدو بنا
شفقٌ يلوحُ على نضيد زنابقِ

* * *

شفتاكِ في لجِّ الخواطر لاحَتا
كالشَاطئين وراءَ لُجٍّ ثائر
لهما إذا التقتا على أغرُودةٍ
خرساء في ظلِّ الجمالِ الساحرِ
إسعادُ ملهوفٍ ونجدةُ غارقٍ
وعناقُ أحبابٍ وعَودُ مسافرِ
وبراءةُ الملكِ المتوجِ حُسنه
بجمالِ رحمنٍ وطيبةِ غافرِ

* * *

صحب الحياة فآده استصحابُها
ركبٌ على طرقِ الحياةِ كليلُ
خدعت ضلالاتُ الحياةِ تبيعَها
والدربُ وعرٌ والطريقُ طويل
فتلفَّتَ الساري لعل لعينه
يبدو صباحٌ أو يلوحُ دليل
فبدا له نورٌ وأشرق منزلٌ
أَلِقٌ ورفت جنةٌ وخميل

* * *

لكِ في خيالي روضةٌ فينانةٌ
غنّى على أغصانِها شاديها
يحمي مغارسَها ويرعى نبتها
راعٍ يجنِّبُها البلى ويقيها
فإذا النوى طالت عليَّ وشفَّنِي
جرحي وعاد لمهجتي يدميها
نسق الخيالُ زهورَها وورودَها
فقطفتُها وشممتُ عطرَكِ فيها!

* * *

بعض الهوى فيه الدمارُ وإنما
بعض النفوس على الدمار حراصُ
فيكون فيه القيد وهو تحرّرَ
ويكون فيه الموت وهو خلاصُ
آمنت بالحب القوي وحتمه
ما من هوايَ ولا هواكِ مناص
إن كان داءً فالسقامُ دواؤه
أو كان ذنباً فالمآب قصاص!

* * *

أصبحتُ والدنيا وداع أحبَّةٍ
ودموع خلّان وحزن رفاقِ
فسخرْتُ من صرخاتِهم وبكائهم
لا دمع إلا الدمع في أحداقي
لا صوت إلا صوت حبك في دمي
أُصغي له وأراه في أطواقي
متدفقاً مثل العُباب ومزبداً
متفجراً كالسيل في أعماقي!

* * *

ساهراتُ أحلامَ الظلامِ وكلها
أشباحَ هجر أو طيوف وداعِ
مرّت مواكبُه عليَّ بطيئةً
وإلى الفناء مشينَ جِدَّ سِراعِ
حتى إذا سَفكَ الصباحُ دماءَهُ
وهوى قتيلُ الليلِ بعد صِراعِ
أبصرتُ في المرآة آخرَ قصتي
ونَعى بها نفسي إليَّ الناعي!

* * *

يا ربِّ أرسلتَ الأشعَّةَ ها هنا
وهناك تشرقُ في الحمى والدُّورِ
ومن الشموسِ دفينةٌ في خاطري
مخبوءةُ الأضواء طيَّ شعوري
وأُحِسُّ في نفسي نقاءَ سمائِها
أَصفى برونقِها من البَلُّورِ
يا ربِّ أودعتَ الضحى في مهجتي
وأنا الذي أُشقى بهذا النورِ!

* * *

خاطرة

نـارٌ مـن الـشـوقِ إثـرَ نـارْ
فـلا هـدوءٌ ولا قـرارْ
إنـك لـي مـبـدأ وَعَـوْدٌ
مـنـك إلـى صـدرك الـفِـرارْ
يـا مـرفـأ الـروحِ لا تـدعْني
بـلا دلـيـلٍ ولا مـنـارْ
مـوجٌ وريـحٌ وزحـفُ لـيـلٍ
فـمـن دمـارٍ إلـى دمـارْ
إن أنـت أخلفـت وعـد حـبـي
لـم تـؤونـي فـي الـديـارِ دارْ
وليسَ لي في الهـوى اصـطبـار
ولـيـس لـي دونـك اخـتـيـارْ

ظلام

لا تقـلْ لي ذاك نجمٌ قد خبـا
يـا فـؤادي كـلُّ شـيءٍ ذهـبـا
ذلـك الكـوكبُ قـد كـان لعيني
الـسـمـاواتِ وكـان الـشُّـهـبـا
هـذه الأنـوارُ مـا أضـيـعـهـا
صِـرْن في جنبي جـراحـاً وظبى
كلمـا أهـدت شعـاعـاً خلّفت
بـعـده سجـنـاً ومـدَّت قُضُـبـا

* * *

قـلت أسلوكِ وكـم من طـعـنـةٍ
بـالـمُـداراة وبـالـوقـتِ تـهـونْ

فـإذا حـبُّـكِ يـطغـى مُـزبـداً
كـدفـوق السيـل طُغيـان الجنـونْ
وكـذا تـمضـي حيـاتـي كـلهـا
بـيـن يـأس ورجـاء وظـنـونْ
مـا عـلى الـهجـر معيـنٌ أبـداً
وعـلى النسيـان لا شـيء يُعيـنْ

* * *

ذلـك الـحب الـذي فُـزت بـهِ
لا أُبـالي فيـه ألـوان المـلامَـهْ
ذلـك الـشطُّ الـذي ذُقتُ بـه
بـعـد لُـجٍّ أمـنـاً وسـلامَـهْ
إنـه مـزَّق قـلبـي قـسـوةً
وسقـاني المرَّ من كـاس النـدامَـهْ
صـار نـاراً ودمـاراً فـي دمـي
وصـراعـاً بـيـن قـلبٍ وكـرامَـهْ

* * *

ذلك الحب الذي علمني
أن أحبّ الناس والدنيا جميعا
ذلـك الحب الـذي صـوَّر مـن
مُجـدِب القـفـرِ لعـينـيَّ ربيـعـا
إنـه بـصّـرنـي كـيـف الـورى
هدموا من قـدسه الحصن المنيعـا
وجـلا لي الكـونَ في أعمـاقـه
أعيُنـاً تـبكي دمـاءً لا دمـوعـا

* * *

لم تُعنِيني عـلى صـرف الـنـوى
آه لـو كنتِ على الـدهـرِ أعنتِ!

قــدرٌ نــكّس مــنــي هــامــتــي
آذن الــدهــر بــبَــيــنٍ وأذِنــتِ
وعــجــيــبٌ أمــرُ حــبٍّ لــم يَــهُــنْ
هــو لــو هــان على نفسي لهُنتِ
لــهفَ قــلبي لــهفــة لا تــنقـضـي
كنت دنيــاي جميعــاً كيف كنتِ؟

* * *

كنتِ في بــرجٍ من الــنــور على
قمــة شــاهقــة تغــزو السحــابــا
وأنــا مــنــك فَــراشٌ ذائــبٌ
في لُجَين من رقيقِ الضــوءِ ذابا
فَــرِحٌ بــالــنــورِ والــنــارِ مــعــاً
طِــار لــلقمّــةِ مــحــمــومــاً وآبــا
آب مــن رحــلتِــهِ مــحــتــرقــاً
وهــو لا يــألــوكَ حبّاً وعتــابــا!

* * *

بَــرِئَتْ نفسي مــن الحــقــدِ ولم
أُخف ضِعنــاً لــكِ بين العَبــرات
إن يــومــاً واحــداً أســعــدنــي
جمــعَ الأفــراحَ طُــرّاً من شتــات
وهــو عمــرٌ كــامــلٌ عشتُ بــه
كــلَّ أعمــارِ الــورى مجتمعــات
لــستُ أنســاكِ وقــد علمْتِني
كيف يحيــا رجلٌ فــوق الحيــاة

* * *

افرحي ما شئتِ يــا روحي افرحي
أنشــدي مــا نقلتــه الــطيــرُ عني!

واغنمي نفـح الـصّبـا وانـتقـلي
في الصِّبا الممراحِ من غصنٍ لغصن
وعـلى أيْكِـكِ نـاغـي كـل مـن
مـرَّ بـالأيـكِ ونـادي كـلَّ خِـدْنِ
لن يُحـبّـوكِ كحبي! لـن تـرَيْ
ضاحكاً مثلي ولا حـزناً كحزني!

* * *

يـا كـتـاب الحُسنِ جَلّت آيـةٌ
مـن جمـالٍ وكـمـالٍ وشـبـاب
زعـمـوا أنـيَ قـد خـلّدْتُـهـا
بـأغـانيَّ وألـحـاني الـعِـذاب
مـا أنـا شـادٍ ولـكـن قـارئٌ
سوَراً من ذلك الحسنِ العُجاب
لـم أزل أقـرأُ حـتـى سجـدوا
وجعلتُ الخُلدَ عـنـوانَ الكـتـاب

* * *

يـا ابنة الأصـدافِ والبحرُ أبي
قبـل أن يُلقي بي المـوج هنـا
سـائلي الأعمـاق عن غـوّاصهـا
أنـا صـيّـادُ لآلـيـهـا أنـا!
إنْ هجَـرْنـا القـاعَ والليـلَ إلى
قـممٍ شُـمٍّ وعشـنـا في السَّنـا
فـبنـا الأمـواجُ والـصخـرُ ومـا
بـرِحَ العـاصف في أعمـاقنـا!

* * *

عـاصـفٌ عـاتٍ تـمـنـيـت لـه
هـدأةً أيـن لـه مـا تـطلبـينْ

اسـألي عـن مـقـلـة مـخـلـصـة
خبّأت رسمـكِ في جفـن أمينْ
سهـرتْ تـرعـاك مهـمـا لقيتْ
في سبيـل العهـد والـودِّ المكينْ
أقـسـمـتْ لا تـسـأل الـنـومَ ولا
تـطلبُ الرحمـةَ منـه بعض حينْ!

* * *

بـعـدمـا غـوَّر نجـمي ودليـلي
مـا مسيـري دون تـربٍ وخليـلِ؟
في طـريق الشـوكِ والصخـر وفي
شُعَب الإرهـاقِ والكدِّ الـوبيـلِ
الـغـريـبـان عليـهـا الـتـقـيـا
يستعينـان على الـدربِ الـطويـلِ
مـا انتفـاعي بحيـاتي بـعـدمـا
سـاقـكِ التَّيّـارُ في غيـرِ سبيلي؟

* * *

يـا لـجهـل اثـنيـن أقـدارهـمـا
آه يـا ليتـهـمـا قـد عَـرَفـا!
مـا الـذي نصنـعُ بـالـعيش إذا
ما صحـا القلبُ غـريبـاً وغفـا؟
مـا الـذي نصنـع بـالـعيش إذا
مـا السبيـلان عليـه اختلفـا؟
مـا الـذي نصنـع بـالـعيش إذا
صـار تـذكـاراً فـأمسى أسفـا؟

* * *

عـنـدمـا تُقـفِـرُ دارٌ مـن رفـاقِ
وتحسُّ السـمَّ في كـاسٍ وسـاقِ

عنـدمـا يكشِف بـؤسٌ وجهـهُ
سـافِـرَ اللعنـةِ مفقـودَ الخـلاقِ
عنـدمـا تُمسي بـظلٍّ عـالـقـاً
وبخيط الـوهمِ مشـدودَ الـوثـاقِ
يـا فـؤادي انـظرْ وفـكـرْ وأفـقْ
أيُّ قيـدٍ لـكَ بـالأحبابِ بـاقِ؟

* * *

كـلُّ جِـدٍّ عَبَثٌ والـدهـرُ سـاخـرْ
وخبيءُ الـسـر للعـينين ظـاهـرْ
أدَّعـي أنـي مـقـيـم وغـداً
ركبي المضنى إلى الصحراء سائرْ
عندما صـافحتُ خـانتني يـدي
ووشى خـافٍ من الأشجان سـافـرْ
كـذَبَـتْ كـفٌ عـلى أطـرافـهـا
رِعشـةُ البعدِ وإحسـاسُ المسافـرْ!

* * *

يـا ديـاراً يـومهـا من سُـحُـبْ
وغـيـوم وضَـبـاب أُفـق غـدْ
كـل نبت عـبـقـريٍّ أطْـلعتْ
جـعلت مـنـه طعـامـاً لـلحسَـدْ
أَخْلَفَ الميثـاقُ من كـان بهـا
كـل آمـالـي فـلم يـبـقَ أحـدْ
ضـاع عـمـرٌ وحـصـاد وغـدا
من هشيم كـل مـا كنت أعِـدْ!

* * *

قُم بنـا والكون جهم كـالـدجى
نـتلمَّسْ مـن جحيـمٍ مـخـرجـا

وانــجُ مــنــه بــبــقــايــا رمَــقٍ
أو حــطام وقــلــيــلٌ مَــنْ نــجــا

لا تُــدِرْ رأيــاً بــه أضْــيَــع مَــن
فــي لــظاهُ مستعينٌ بــالــحِــجــا

واســأل الــرحمنَ أن يُصْلحَ عهــ
ـداً كسيحــاً وزمــانــاً أعــرجــا

* * *

عــشتُ وامــتــدَّتْ حــيــاتي لأرى
في الثرى من كان قبلاً في القممْ

انــهــيــارُ الــمــثُــلِ الــعــلــيــا وإنــ
ـكــارُ آلاءٍ وكُــفــرٌ بــالــقِــيَــمْ

مَــن يكــنْ عَضَّ بــنــانــاً نــادمــاً
فــأنــا قــطَّعتُ إبــهــامَ الــنــدَم

وإذا انــحطَّ زمــانٌ لــم تــجــدْ
عــالــيــاً ذا رفــعــةٍ إلا الألــمْ!

* * *

ضِــحــكــةٌ ســاخــرةٌ هــازلــةٌ
وخــيــالٌ تــافــهٌ هــذي الحــيــاهْ

هــذه الأكــذوبــةُ الكبــرى التي
خُــدِعَ النــاسُ بهــا وا أسـفــاه!

ذلَّ فــيهــا الــمــالُ والجــاهُ إلــى
أن غــدا أحقــرهــا مــال وجــاه

نــحمــدُ اللَّهَ على أنَّــا بــهــا
لــم نصُــنْ من ذِلــةٍ إلا الــجــبــاه

* * *

عــبَثــاً أهــرُب مــن نفسي ومــن
ذلــك الســاكنِ روحي والبــدنْ

من لقلبٍ مستطار اللُّبّ مَن
كلما عاوده التذكارُ جُنّ
أينما أمضي فحوْلي ذِكَرٌ
وحبيبٌ ومكانٌ وزمنْ
وربيعٌ دائمُ الخضرةِ في
روضةِ النفسِ وطيرٌ وفننْ

* * *

قصةٌ خالدةٌ لا تنتهي
وهي ما كان لها يومُ ابتداءِ
أنا لا أدري متى كان ولا
أين عند اللّهِ أسرارُ اللقاءِ
حينما لاحَ شِهابٌ في سمائي
أسمرُ النورِ رفيعُ الخُيَلاءِ
عبقريٌّ مُوحشٌ منفردٌ
متعالٍ قَلِقُ الأضواءِ ناءِ

* * *

هو في الأفقِ بعيدٌ وهو دانِ
هو لي نفسي وروحي وكياني
مخطىءٌ من ظَنَّ أنّا مُهجتانِ
مخطىءٌ من ظَنَّ أنّا توأمانِ
هو شطْرُ النّفسِ لا توأمُها
هو منها هو فيها كل آنِ
نحنُ نبضٌ واحدٌ! نحن دمٌ
واحدٌ حتى الردى متحدان!

وحيد

إني على كـأسي اعيـد الـسنين
وأبعثُ الماضي البعيـدَ الـدفينْ
وحـدي وقـد أقسمتُ لن تعـرفي
ومـا الذي يجـديك لـو تعـرفينْ؟
ومـا الـذي يُجـدي طعينَ الهـوى
لَمْسُكِ يـا هندُ جراحَ الـطعينْ
أصبحتُ لا أدري شـربتُ الـطلى
عنـد بكـائي أم شـربتُ الأنينْ

* * *

كم أزرع السّلوانَ في خـاطـري
وكيف ينمـو في مَحيـلٍ جـديبْ؟
بـالخمـر أسقيـه وفي مسـمعي
إرنـانُ بـاكٍ وتـشـاكي حـبيـبْ
الـجـامُ يـبـكي لـوعـةً ام أنـا
جـامي غـريبٌ وفـؤادي غـريبْ
وا حيـرتي تُـرى أصُبُّ الـطِّلى
أم أنـني فيـه أصبّ الـنحيـبْ؟

* * *

يـا إلفَ نفسي لم يكن هـاهنـا
هـمٌّ لإلـف وسـلوٌّ هـنـاكْ
لم يَجْرِ همسٌ لـك في خـاطرٍ
إلا جـرى عندي كـأني صداكْ
ولـم أكن أَعـرفُ لـي مـدمعـاً
إلا الـذي تـذرفُـه مـقـلتـاكْ
أصـونُ حـزني لـك حتى اللقـا
وأحـبسُ الـفـرحَـةَ حـتـى أراكْ

* * *

إن كنتُ غنّيتُ فإني الذي
وقفتُ ألحاني على سَرْحَتِكْ
حَبَستُ هذا الصوتَ لم ينطلقْ
إلا على حزنكِ أو فرحتِكْ
خمائلُ الروض بأعطارها
لم تَشْجني إلّا على نفحتِكْ
أنكرتُها طُرّاً ولم أعترفْ
إلّا بطيبٍ جاء من جنّتك!

* * *

وَافرَحِي اليومَ بحريَّتي
بأيِّ ليل مدلهمٍّ أطير
رُدِّي على قلبي قيودَ الأسير
وذلك الصبحَ الوضيءَ المنيرْ
كم شُعَبٍ لاحتْ فلم تختلفْ
لأيِّها نغدو وأنّى نسيرْ
بعد سِني الأنوار خلّفتِ لي
جهم المساعي وخفِيَّ المصيرْ

* * *

علمتِ حالي؟ لا وحقِّ الذي
صيَّرني أشفق أن تعلمي
هيهات تدرين انطلاقَ الهوى
كجمرةٍ نضّاحةٍ بالدمِ
هيهات تدرين وإن خِلتِه
وثبَ الهوى الضاري وفتكَ الظمي
وصارخاً كبحتُه في فمي
وطاغياً كبّلتُه في دمي

* * *

لا أنت تـدرين ومـا مـن أحـدْ
بـواصف حسنَكِ مهمـا اجتهـدْ
أو بـالغٍ سـرَّ الـذكـاءِ الـذي
يـكـادُ في لـحـظِكِ أن يـتّـقِـدْ
أو مـدرك عمق الـمعـاني التـي
في لمـحـةٍ عـابـرةٍ تـحـتشـدْ
أو فـاهـم فن الـصنـاع الـذي
أبـدع الاثنين : الحِجا والجسـدْ

أطلال

يا من بِواديهِ حَطَطْتُ الرحالْ
ورحَّبتْ بي وارفاتُ الظلالْ
بذلتَ أقصى ما يكون القِرى
وما تمنّى طامع من منالْ
بسطتَ كالآباد عمر المنى
لطامع في لحظاتٍ قِلالْ
بنيتُ محرابيَ لم أتخذْ
ديناً سوى حبّك في كل حالْ
أمهلْ فؤادي ساعة ريثما
أخلعُ عن عيني قِناعَ الخيالْ
أمهلْ فؤادي ساعةً ريثما
أخلعُ عن قلبي سرابَ الضلالْ
فهذه الصحراءُ عريانةٌ
ممتدَّةٌ خانقةٌ كالملالْ
خليعةُ الطبعِ على كُثبِها
عربدةُ الريحِ وكفرُ الرمالْ
هيهات للقلب صلاة بها
ولا عليها معبد وابتهالْ
خلعتُ إيماني على شكِّها
وبدَّدتْه الساريات الثِّقالْ
نادتنيَ الصحراءُ وهْي التي
آدَتْ جحيمي في السنين الطوالْ
تُريد سرِّي إن سرِّي هنا
في مُغلقٍ أسرارُه لا تنالْ
قالت بهذا الصمت ما لم يُقلْ
وقلت بالزفْرات ما لا يُقالْ

ذنبي

أيكون ذنبي أن رفعـ
ـتُك وارتفعت إلى السماءْ؟
وعلى جناحك أو جنا
حي قد رقيتُ إلى الصفاءْ
إن كان حقّاً أو خيالاً
فهو وَثْبٌ للضياءْ
وتحرُّرٌ مما جناه
طينُ آدم في الدماءْ
أيكون ذنبي أن جعلـ
ـتُكِ فوق عرش من سناءْ
وجثوت في محراب قُدْ
سكِ عابداً هذا الرُّواءْ
أيكون ذنبي أنني
بك أحتمي من كل داءْ
وأراك عافيتي فأضْ
ـرعُ طالباً منكِ الشفاءْ
أيكون ذنبي أن أرا
ك لخاطري قَبَساً أضاءْ
وأحسُّ وحيَكِ من علٍ
لي دون أهل الأرض جاءْ
أيكون ذنبي أن يُنا
ط بك التعلُّل والرجاءْ
وإليك شكوى القلب نجـ
ـوى الروحِ أجمع والنداء
أيكون ذنبي أن أحـ
ـبّكِ لي من الدنيا وِقاءْ
فإذا رضيتِ فإن نعمـ
ـتَها ونقمتَها سواءْ؟

أيكون ذنبي.. أي ذنـ
ـب صار لي إلا الوفاءْ
إني عشقتكِ ما طلبـ
ـتُ على محبّتيَ الجزاءْ
مَن همُّه هَمّي سيحـ
ـمل من حبيبٍ ما يشاءْ
ولقد يُساءُ فما يرى
من حُبِّه أحداً أساءْ
قد كان عندي عزّه
بصبابتي ولي احتماءْ
إن لانَ عودي للخطو
ب شددتِ أزري باللقاءْ
أنسيتِ كيف نسيتِ يا
دنيا على الدنيا العفاءْ!
يا للهوى لا صَبح لي
إلا هواكِ ولا مساءْ
أشوامخُ الأحلامِ والـ
ـمثلُ الرفيعةُ كالهباءْ؟

الطائر الجريح

أيُّ جـوادٍ قـد كـبـا وأيُّ سيفٍ قـد نـبـا
تـعـجـبـتْ زازا وقـد حقَّ لهـا أن تـعـجـبـا
لمـا رأتْ فيَّ شـحـو ب الشمس مالت مغربا
وهي التي زانت مشيـ ـبي بـأكـاليـل الصِّبا
وهي التي قـد علّمتْـ ـني حين ألقى النُّوبا
كيف أُداري النـابَ إن عضَّ وأخفي المخلبـا
لاقيتُهـا أرقصُ بشـ ـراً وأُغـنـي طـربـا
وهي التي تهتـك سِتْـ ـرَ القلب مهمـا انتقبا
لا مغـلـقـاً تـجـهـلـه يـومـاً ولا مُـغَـيّـبـا
في فـطنةٍ تـومضُ حتّـ ـى تستشفَّ مـا خبـا
رأتْ وراء الصدر طيراً قـلِقـاً مـضـطربـا
في قفصٍ يحلمُ بالأفـ ـق فيلقى القُـضُـبـا
إنَّ زمـانـاً قـد عفـا وإنَّ عـمـراً ذهـبـا
وصيّرتْهُ طـارقـا تُ السقم وَقـراً متعبا
ورنَّـقـتْ مـوردَهُ أنّى لـه أن يَعـذُبـا؟
إني امـرؤٌ عشت زمـا ني حـائـراً معـذَّبـا
عشت زمـاني لا أرى لـخـافـقـي مـنـقـلبـا
مسـافـراً لا قـوم لي مـبـتـعـداً مـغـتـربـا
مشـاهـداً عَـلَيَّ في مـسـرحِـهِ أن ارقبـا
روايـة مُـلَّت كـمـا مُـلَّ الـزمـانُ ملعبـا
وظـامئـاً مهمـا تُتَـحْ مـواردُ أن أشـربـا
وجـائـعـاً لا زادَ في دنيـاي يشفي السغبـا
فـراشـة حـائـمـة على الجمـال والصبا
تعـرَّضت فـاحـتـرقت أُغنيـة عـلى الـربـى
تـنـاثـرت وبـعـثـرت رمـادهـا ريـح الصّبا
أمشي بمصبـاحي وحيـ ـداً في الـريـاح متعبـا
أمـشـي بـه وزيـتُـه كـاد بـه أن ينضبـا

وشد ما طال الصرا ع بيننا واحربا
ريحُ المنايا تقتضيـ ـني نسماتي الخُلّبا
وليس بالأحداث فيـ ـما قيل أو ما كتبا
كالعمر والسقم إذا تحالفا واصطحبا
لولاكِ ما قلت لشي ء في الوجود مرحبا
ولم أجد ركناً غنيّـ ـاً بالحنانِ طيّبا
أنتِ التي أقمت مر فوعَ البناءِ من هَبا
وإنني الصخرُ الذي أردتِ أن لا يُغلبا
ويضرب البحرُ عليـ ـه موجَه منتحبا
علمتِ يأسي وجنو ني وجهلتِ السببا
يا أملي إنك يأ سُ القلب مهما اقتربا
يا كوكباً مهما أكن من بُرجه مقرّبا
فإنه يظل في السَّـ ـمْتِ البعيدِ كوكبا
وأين مني فلك قد عزّني مطّلبا
ليس إلى خياله إلا السهاد مركبا
أستبطئُ الريحَ له وأستحثُّ الكتبا
ولو طريق حبّه على القتاد والظُّبا
وقيل للقلب هنا المـ ـوتُ فعُدْ تسلم أبى
إني امرؤٌ عشتُ زما ني حائراً معذّبا
لا أحسِب الأيام فيـ ـه أو أعُدُّ الحِقبا
ضقتُ بها كيف بمن ضاق بها أن يَحسبا
تغيّرتْ واختلفتْ وسائلاً ومطلبا
وارتفعتْ وانخفضتْ طرائقاً ومأربا
سلوت على الحالين حُمْـ ـلانها بها وأذؤُبا
وشاكلتْ لناظري سهولَها والهُضُبا
دخلتها غِرّاً وعد ت فانياً مجرِّبا
لا أسأل الأيام عن أعمالها معقِّبا
إن كان هذا الدهر فيـ ـما جرَّه قد أذنبا
فإنه تاب وأدّ ى وعدَهُ المرتقبا

لقاكِ ماحٍ للذنو ب كيف لي أن أعتبا
ضممتُ عطْفيْكِ غدا ة الروع أبغي مهربا
كم خفتُ من أن تذهبي وخفتِ من أن أذهبا
كأن طفلاً خائفاً في أضتلعي حلَّ الحُبى
يضرب ما اسْتطاع على جدرانها أن يضربا
يكافحُ الأمواجَ أو يصرعُ جيشاً لَجبا
إن بَعُد الشطُّ فقد آن له أن يقرُبا
أنتِ الحياةُ والنجا ةُ والأمانُ المجتبى

القمة

يا أيُّها العالي الغفورُ الصفوحْ
هل ترحم القمَّةُ ضعْف السُّفوحْ
تاجُك في النور غريقٌ وفي
عرشك غبَّى كل نجمٍ صَدُوحْ
وأين هامات الربى نُكِّسَتْ
من هامةٍ فوق مُنيفِ الصُّروحْ؟
وأين أوراقٌ خريفيّةٌ
أرْجَحَها الشكُّ فما تستريحْ
من باسقٍ راسٍ به خضْرَةٌ
ثابتةُ الرأي على كل ريحْ
بَرئْتَ من هذي الوهادِ التي
نَغْدُو على أنّاتِها أو نروحْ
وأين في مبتسمات الذرى
برق الأماني من وميض الجروحْ؟
أصغِ لهذي الأرضِ واسمعْ لما
تشكو، لمن غيرك يوماً تبوحْ؟

تـطفـو عـلى طـوفـان آلامـهـا
وأيـن فـي آلامـهـا فُلْكُ نـوح
أروع شيء صـامتٍ في العُـلى
أفصـح مفْض بـالبيـانِ الصريـحْ
يـعـيِّـر الأرضَ إذا أظْـلمـتْ
بمـا على مفـرِقِـه من وضـوح
هـل تسخرُ الحكمـةُ ممـا بنـا
مـن نـزواتٍ وعنـانٍ جَـمـوحْ
حمْقى، قُصـارى كـل غـايـاتنـا
عـزمٌ مَـهيضٌ وجنـاحٌ كسيـحْ
أُعيـذ عـدل الحقِّ من ظـلمنـا
فكم على القِيعـان نسْر جـريـحْ
ونـازح مـن قِـمـم فـي عـلٍ
أوطـانـه كـل سـمـوق طـروحْ
أنت لـه كـل الحِمى المـرتجى
وكـلُّ مبغـاه إلـيـك النـزوحْ
مـا النسـر إلا راهبٌ في العُلى
محـرابُـه وجـهُ السمـاءِ الصبيـحْ
وقـلبـهـا الـسَّـمْـح فـمـا حـطَّه
على الثرى الجهم الدميمِ الشحيحْ
عـلى الثـرى حيث تـسـابيحُـه
نـوح الحـزانى ونـداء القـروحْ
مـبـتـهـلٌ بـاك بـدمـع الأسى
عـلى الليـالـي وسقيم طـريـحْ
مـا أتـعس الأرضَ بعُـبَّـادهـا
تبْهـجُ من أخـلاطِهم مـا تُبيـحْ
قـد أنـكـرَ الـهـيـكـلُ زوّارَه
وأصبح الـديـرُ غريبَ المُسـوحْ
لم يعـرف الجسمُ خـلاصـاً بـه
من كـدرةِ الـطين ولم تنـجُ روحْ

يـا سيِّـد القـمّـةِ أنصِتْ لـنـا
لا يعـرفُ الأشفـاقَ قلبٌ مُشيـحْ
وانــظرْ إلى السِّكين في سـاحـةٍ
قـد زمجـرتْ فيهـا دمـاء الـذَّبيـحْ
واسكبْ نَـدَى الحبِّ بأفـواهِنـا
كـم من بَـكِـيٍّ وظَـمِـيٍّ طـليـحْ
فــربـمــا يُشــرقُ بـعــد الضّـنـى
وجــهٌ مــليــح وزمــانٌ مــليــحْ!

أيها الغائب

أيهــا الغــائبُ العــزيــزُ النــائي
فَـسَــدَتْ ليلتي وضــاع هـنــائي
قَمَــري أنت ليس لي منك بــدٌّ
في اعتكــار السحــائبِ السّــوداءِ
هــذه الشُّــرْفــةُ التي جمعتـنـا
يــا حبيبي بــوجـهِـك الــوضّــاءِ
ســألتْ عنــك فــالتفتُّ إليـهــا
وبـنـفـسـي كــوامــنُ البُــرَحَــاءِ
قــائلاً صَــهْ! بـاللّهِ لا تسـأليني
فكــلانــا من دونِهــا في عـنــاءِ
أين ذاك الوجهُ الـذي يُرسلُ النو
رَ ويُــوحِي إشـراقُـه بــالصّفــاءِ؟

أين غد

يــا قــاسيَ البعــدِ كيف تبتعــدُ
إنـي غــريـبُ الـفـؤادِ مــنـفــردُ
إن خــانني اليوم فيك قلت غـداً
وأيــن مـنـي ومـن لــقــاكَ غــدُ؟
إن غــداً هــوّةٌ لــنــاظــرهــا
تكــاد فيـهــا الــظنــونُ تــرتعــدُ
أُطــلُّ فـي عــمقـهــا أُســائلهــا
أفيــك أخفى خيــالــه الأبــدُ؟
يا لامسِ الجرحِ ما الذي صنعتْ
بــه شــفــاهُ رحــيــمــةٌ ويــدُ؟
مــلء ضلوعي لــظىً وأعـجبـه
أنــي بـهــذا الــلهـيــبِ أبــتــردُ
يــا تــاركي حيث كــان مجلُسنــا
وحـيـث غــنّــاك قـلبـيَ الـغــردُ
أرنــو إلى النـاسِ في جمــوعهمُ
أشقتهمُ الـحــادثــاتُ أم سعِــدوا
تفــرقــوا أم همُ بهــا احتشــدوا
وغـوَّروا في الـوهـادِ أم صعـدوا؟
إنـي غــريبٌ تـعــال يــا سكـني
فليس لي فــي زحــامهـم أحــدُ!

شك

تَشُكِّين في حبِّي؟ لـك الحقُّ إنني
جديرٌ بهذا الظُّلم والـريبِ والشّكِّ
خليقٌ بـأن تَنْسي هـوايَ فتنـطوي
سعـادةُ أيـامْي التي ذُقْتُهـا منـكِ
إذا أنـا لم أذْكـرْكِ في كـل لحظةٍ
وقصّرتُ لم أسألْ ثـوانِيَهَا عنـكِ
إذا أنـا لم أبْـذُلْ شجـايَ وعبْـرَتي
على كل وقتٍ ضائعٍ كنتُ لا أبكي
فـلا حبَّ عنـدي أستلذُّ بـه الجـوى
بما فيه من سقمٍ وما فيهِ من ضنكِ
أليـلايَ حُبِّي فيـك حُبُّ مُـوَحِّـد
تَنـزَّهَ عن ريبٍ وجلَّ عن الشِّـركِ
تـبقـى بقـاء القلب ينبضُ دائـمـاً
ولـيس لـسلوانٍ وليس إلـى تـركِ

ليلة

وليلة بـات من أهـوى ينـادمني
مـا كـان أجمله عنـدي وأجملها
بتنـا على آيـة من حسنـه عجَبٍ
كتـابـه من خفـايـا الخلدِ أنـزلهـا
إذا تسـاءلتَ عمّا خلَف أسطرهـا
رنـا إلـيَّ بـعـينـيـه فـأوَّلـهـا
مصـوِّبـاً سهمـه مُستشـرقاً كبـدي
مستهـدفاً مـا يشاء الفتـك مقلتهـا

يـا للشهيـدة لم تعلم بمصــرعهـا
مــا كــان أظلم عينيــه وأجهلهــا
حتى إذا لم يدَعْ منها سوى رمق
عـدا على الرمق الباقي فجندلهـا
وصـدَّ عنهـا وخـلّاهـا وقـد دمِيَتْ
في قبضـةِ الموتِ غشّـاها وظللهـا
وحـان من ليلة التـوديعِ آخـرهـا
وكـان ذاك التـلاقي الحلو أوَّلهـا
ضممْتهـا لجـراحـاتي التي سلفتْ
إلى قديمِ خطايا قد غفـرتُ لها!

في الباخرة

أحـبُّ أجـلْ أحبُّ كـأن نـبـعـاً
سـمــاويّــاً تفـجّـر في دمـائي
لقـد طـاب الـوجـودُ بحـالتيـه
شقـائي فيـك أجمـل من هنـائي
وليلي فيـك أحسن من نـهـاري
وصبحي فيك أجمـل من مسائي
فـمـفـتـرقـان فـيـه إلى لـقـاء
ومـلـتقـيـان حتـى في الـتـنـائي
أميـمــةُ إن عـمـرَ الحبِّ حقـاً
لأعـجـب آيـة تـحـت الـسـمـاءِ
فــمــا أدري لأيـهــمــا ثـنـائـي
ثـوانـيــه الـسِّـراع أم الـبـطاءِ
أهـذا الحلم يمضي شبـه لمـحٍ
أم الأبـدُ المـديـدُ بلا انتهـاءِ؟

أتفكيري هناك أم انتظاري
لأروعِ هالةٍ حولَ البهاءِ
وأزهى من تثنَّى في حُلِيٍّ
وأبهج من تهادى في رداءِ
وأسنى من تخطَّر في دلالٍ
وأطهر من تعثرَ في حياءِ
سيذكر ملتقانا النيلُ يوماً
غداة تُعَدُّ أيامَ الصفاءِ
وحيدٌ غير أني في زحامٍ
من الآمالِ تترى والرجاءِ
إلى أن لاح عرشُ النورِ مني
قريباً والهلالُ إلى اعتلاءِ
فمؤتلقٌ على أفقٍ بعيدٍ
ومنعكس على فضِّيٍّ ماءِ
كذلك أنت في فكري وروحي
سناك مع الهلال على سواءِ
وطيفٌ عبقر في خيالي
وحيد الذات مختلف الرُّواءِ!

سر بي

أحبك فوق ما عشقتْ قلوبٌ
ولا أدري الذي من بعدِ حبي
وأعلم أن كُلِّي فيك فانٍ
وعيني فيك ذائبةٌ وقلبي
وأعلم أن عندك من يُنادي
خفيّاً هاتفاً وأنا الملبي

وأعلم أن حبي ليس يشفى
وبعدي ليس يُجديني وقربي
ولما لم أجدْ للحبِّ حلاّ
هتفتُ به كما يرضيك سِر بي!
وخذني حيث هند لا تسلني
لأية غايةٍ ولأيِّ دربِ!

الفراق

يا ساعة الحسراتِ والعبراتِ
أعَصَفتِ أم عصف الهوى بحياتي؟
ما مهربي ملأ الجحيم مسالكي
وطغى على سُبُلي وسدّ جهاتي
من أي حصنٍ قد نزعت كوامناً
من أدمعي استعصمن خلف ثباتي
حطَّمتُ من جبروتهن فقلن لي
أزِفَ الفراقُ فقلت ويحكِ هاتي!

* * *

أأموت ظمآناً وثغركِ جدولي
وأبيتُ أشربُ لهفتي وولوعي
جفَّت على شفتي الحياةُ وحلمها
وخيالها من ذلك الينبوعِ
قد هدّني جزعي عليك وادّعي
أني غداة البَين غير جَزوعِ
وأريد أُشبعُ ناظريَّ فأنثني
كي أستبينَك من خلالِ دموعي!

* * *

هـان الـردى لـو أن قلبـك دارِ
أأمـوتُ مغتـربـاً وصـدرك داري؟
يـا من رفعتِ بناءَ نفسي شـاهقـاً
متـهـلّلَ الـجـنبـاتِ بـالأنـوارِ
اليـوم لي روحٌ كـظلٍّ شـاحـبٍ
في هيـكـلٍ متـخـاذلِ الأسـوارِ
لو في الضلوع أجلتِ عينكِ أبصرتْ
مُـنهـارة تـبـكـي عـلى منـهـارِ!

* * *

لا تسـألي عن ليل أمسِ وخـطبِهِ
وخـذي جـوابَـكِ من شقيٍّ واجمِ
طـالت مسـافتُـه عليّ كـأنـهـا
أبـدٌ غليظ القلب ليس بـراحـمِ
وكـأنني طفـلٌ بهـا وخـواطـري
أرجـوحـة في لجّهـا المتـلاطمِ
عـانيتُهـا والليـل لعنـةُ كـافـرٍ
وطـويتُهـا والصبـحُ دمعـةُ نـادمِ

ليلة العيد

اليوم منك عــرفت سر وجــودي
وعــرفت من معنــاك معنى العيــدِ
ما مُتُّ بـالفـاني وسـرُّك حــافظي
وبـمقـلتيــكِ ضمِنْتُ كـل خلودي
الآن أعــرفُ مــا الحيــاة وطيبُــهــا
وأقــول لــلأيّــامِ طبتِ فـعــودي!
عـاد الـربيـعُ على يـديـكِ وأشـرقتْ
روحي وأورقَ في ربيعِــك عــودي!

كذب السراب

الـبــحــر أســألُــهُ ويــســألــنــي
مــا فــيــه من ريٍّ لــظامئــهِ
مــتــمــرِّدٌ عــاتٍ يــضــلــلــنــي
كـذِبُ السَّراب على شــواطئِـهِ

* * *

كم جــال في وهــمي فــأرّقني
أربٌ وأيــن الــفــوز بــالأربِ؟
وســرى بــأحــلامي فعــلّقــهــا
فــوق السُّهى بلوامــعِ الشهــبِ

* * *

فــي يــقــظةٍ مــني وفــي وســنٍ
صَــرْحٌ بَــذروتِــهــنَّ مــتّــحــدِ
الفجــرُ والسحــرُ المخضّبُ من
لَــبِــنــاتِــهِ والـقـمــةُ الأبــدِ

* * *

واهـاً لـضـافي الـظلِّ وارفِـهِ
قضّيتُ عمـري في تـوهّمِـهِ
لـمـا طلعتُ على مشـارِفِـهِ
أيـقـنـتُ انـي فـوق سُـلَّمِـهِ

* * *

ومن العجائب في الهوى اثنـان
لـم يضـربـا لـلحبِّ ميـعـادا
ومـحـيِّـرُ الأفـهـامِ لـحـظان
قَـرآ كـتـابَـهـمـا ومـا كـادا

* * *

سـارا فمـذ وقف الهـوى وقفـا
يـتبـادلان الـشـوقَ والشـغـفـا
عـرف الهـوى أمـراً ومـا عـرفـا
مَن ذلـك الـداعي الـذي هتفـا

* * *

قَـدَرٌ عـلى قـدرٍ تـلاقِيـنـا
كـلُّ الـذي أدري وتـدريـنـا
أنّـا أطـعـنـاهُ مُـلَبِّـيـنـا
من أنت؟ من أنـا؟ من يُنَبِّينا؟!

أنت

إن كـنـتِ عـارفـةً وواثـقـةً
وبـعمـق هـذا الـحـبِّ آمنـتِ
فـثـقـي بـأنـكِ قِبْلتي أبـداً
وصـلاةُ روحـي حيثمـا كـنتِ

إن كان لي في الدهر أمنيةٌ
مَنشودةٌ أمنيَّتي أنتِ

قيثارة الألم

إن حان لحنُ الختامْ
صار النشيدُ دعاءْ
مرّ الهوى في سلامْ
فلنفترق أصدقاءْ
سرٌّ وراء الظنونْ
أظلّني وأضاءْ
لم أدرِ ماذا يكونْ
ولم أسَلْ كيف جاءْ

* * *

ما بين ضحكِ الرياحْ
وقهقهات الغيوبْ
ولّى خُيالٌ وراحْ
وحلَّ ظلٌّ غريبْ

* * *

يا ذنبُ فات المتابُ
لما تحطَّمَ صرحي
ما لي عليها عتابُ
إني أعاتبُ جرحي

* * *

وهذه قيثارتي
ذاتُ الشجى والأنينْ

وهـــذه أوتـــاري
أصـــرتِ لا تـــطربـــيـــنْ؟

* * *

يـــا كـــم شـــدوتُ بـــلحـــنـــي
مـــا بـــيـــن حـــزنـــي ودمـــعـــي
مـــا بـــالـــه طـــيٌّ أذنـــي
لـــكـنْ غـــريـــبـــاً لـــســمـــعـــي

حلم الغرام

لا حـبَّ إلا حـيـث حـلَّ ولا أرى
لي غيـر ذلـك مـوطنـاً ومقـامـا
وطـني عـلى طـول الـليـالـي دارهُ
مهمـا نـأى وهـواي حيث أقـامـا
والأرضُ حين تـضمُّـنـا مـأهـولـةٌ
لـحـظاتُـهـا مـعـمـورةٌ أيّـامـا
لا فـرق بين شَمـالِهـا وجنـوبِهـا
فـهمـا لـقلبي يحـمـلان سـلامـا
وهمـا لعـهـدي حـافـظان وقلّمـا
حفظ الـزمـانُ لمهجـتيـن ذمـامـا
وإذا بكيـتُ فقـد بـكيـتُ مخـافـةً
من أن يكـون غـرامُـنـا أحـلامـا
ولـربـمـا خـطرَ النّـوى فـبكـيتُـهُ
من قبـل أن يـأتي البعـادُ سجـامـا

ثلاث سنين

ثــلاث سنيــن أم ثــلاث لـيــالِ
هي البـرق أم مرَّتْ كلمحِ خيالِ ؟
ومـا كان هـذا العمـرُ إلا صحـائفاً
تـلاشتْ ظـلالاً رُحْن إِثْـر ظـلالِ
ومــا كــان إلا أمس لـقيــاك إنــه
لأثبتُ مــا خطّ الــزمهانُ ببــالـي
ومـا العمـر إلا أنت والحب والمنى
ومـا كان بـاقي العمر غيـرَ ضـلالِ !

عدنا وعدت

عُـدنا وعـدتِ وعـادتْ
إن الــحـظوظَ أرادتْ
وبــالعجــائب جــاءتْ
ومــا بـذاك غــريـبَـهْ

* * *

إن الغــريبَ التنـائي
فــإن فيــه شقــائي
وإن أردت دوائــي
داويِ الهــوى ولهيبــه

* * *

أنت المنى والـعبــادهْ
ولـيس عنـدي زيــادَهْ
يـا هند هـذي شهـادَهْ
لـو أنــهـا مـطلوبَـهْ

* * *

وأنـت مني كـنفـسي
هــواك يــومي وأمسـي
وأنتِ جهـري وهمسي
صـديقـةً وحـبـيـبَـهْ

المقعد الخالي

همٌّ أناخ فما انجلى
وخلا مكانُك - لا خلا!
ليل الحياة وكان ليـ
ـلي في الهواجسِ أطولا
كم لحظةٍ في الصدر نا
شبةٍ كجزّازِ الكلا
كالرَّمْسِ فارغةٍ وإن
حفلت بإيجاشِ البلى
في إثر أخرى لم تكن
إلا كجرداءِ الفلا
بَرَّحْنَ بي من وحشةٍ
وقتلتهُن تململا
وجُننّ من قلقي عليـ
ـك وكيف لي أن أعقلا؟
قد رِشْنَ لي سهماً يحا
ول من يقيني مقتلا
فتعرّض الماضي الجميـ
ـلُ بوجهِهِ متهللا
فلوى عناني فالتفـ
ـتُّ فلم أجد لي مَوئلا
إلا دروع اليأسِ إنّ
اليأسَ أيسرَ محمِلا
يقتادني فأردُّهُ
عن خاطري وأقول لا!
يا هندَ إن يكُ قلبُك الـ
ـوافي تغيّرَ أو سلا
وحصدتُ آمالي فإنّ
الموتَ أرحمُ منجلا

رحلة

نقلتُ حيــاتي والحيـاة بنـا تجـري
من الحلمِ المعسـولِ للواقعِ المـرِّ
فيــا منتهى فنّي إلى منتهى الهـوى
على ذروةٍ بيضـاءَ في النور والـطهرِ
عـرفتك عـرفـان السمــاء ولم تكنْ
سوى همسات النجم ما جال في صدري
وغامت خطوطُ السفـحِ حتى نسيتها
وحتى توارى السفح من عالم الذكر
وفي القممِ الشّمّـاءِ حلّقتُ حـائمـاً
وأنبتَ في أعلى شــواهقهـا وكــري
ولـم يبـقَ إلا أنت والـجنَّــةُ الـتـي
زرعنــا وكلّلنــا بيــانعــة الـزهـرِ
ولم يبـقَ إلا أنت والـنسمــةُ التي
تهبُّ من الفـردوسِ مسكيَّةَ النشـرِ
ولم يبـقَ إلا أنت والـزورقُ الـذي
تـرنَّـحَ منسـابـاً على صفحــة النهـرِ
فيـا منتهى مجدي إلى منتهى الغنى
غنىَ الروحِ بعد الضّنكِ والذلِّ والفقرِ
أعيـذك أن أغـدو على صخـرة لَقىً
وكنتِ مِجَنّي في مقــارعـةِ الصخــرِ
أعيـذك بعد التـاجِ والعرشِ والـذي
تــألَّقَ من مـاسٍ وشعشــع من تبـرِ
أعيــذك من ردّي إلى سَفـهِ الثــرى
وحِــطَّتِـه بين الأكــاذيـبِ والغــدرِ
أعيـذكِ أن تنسي ومن بـات نـاسيـاً
هـواه فـأحـرى بـالنهى عقم الفكــرِ
فيــا لــك من حلمٍ عجيبٍ ورحـلةٍ
تعدَّتْ نطاقُ الحلمِ لـلأنجمِ الزُّهـرِ

ويـا لـك من يـوم غـريب وليلةٍ
عَفَتْ وغفتْ عن ظلمِ روحين في أسر
ويـا لـك من ركنٍ خَفيٍّ وعـالـمٍ
خَفِيٍّ غـنيٍّ بـالـمفـاتـنِ والسحـرِ
ويـا لـك من أفقٍ مـديد ومـولـد
جـديـد لقلبينا ويا لـك من فجـرِ
عـرفتك عـرفان الحيـاة أحسّهـا
وأبصـرَها من كـان يخطو إلى القبـرِ
عـرفتـك عـرفـان النـهـار لمـقلةٍ
مخضّبـةِ الأحـلام حـالكـةِ الـذعـرِ
رأت بـك روحَ الفجـرِ حين تبيّنتْ
بيـاضَ الأمـاني في أشعّتِـهِ الحُمـرِ
بيَ الجرحُ جرحُ الكونِ من قبل آدمٍ
تغلغلَ في الأرواحِ يَدْمي ويستشري
تـولّتهُ بـالإحسـانِ كفٌّ كـريمـةٌ
مقـدّسـةُ الحسنى مبـاركـةُ السـرِّ
فـإن عدتُ وحـدي بعد رحلتِنـا معاً
شريداً على الدنيا ذليلاً على الدهـرِ
رجعت بجـرحي فـاغـرَ الفمِ دامياً
أداريـه في صمتٍ وما أحـد يـدري
هـو العيشُ فيه الصبـرُ كاليـأس تارةً
إذا انهـارتِ الآمالُ واليـأسُ كالصبـرِ
عـرفتكِ كـالمحـراب قـدسـاً وروعـةً
وكنتِ صلاةَ القلب في السرِّ والجهرِ
وقـد كان قيـدي قيـدَ حبِّكِ وحـدَهُ
أنـا المرءُ لم أخضـعْ لنهيٍ ولا أمرِ
وأعجبُ شيء في الهوى قيدُكِ الذي
رضيتُ بـه صِنْواً لإيمـاني الحـرِّ
بَـرِمْتُ بأوضـاعِ الورى كـل أمـرهمْ
وسيلةُ مـحتـاجٍ ومسعـاةُ مـضـطرِّ

بـرمتُ بـأوضـاعِ الـورى ليس بينهمْ
وشـائج لم تـوصَـلْ لغـايٍ ولا أمـرِ
إذا كان ما استنُّوا وما شـرعوا القِلى
فذلك شـرُع الطينِ والحمَإِ المَزرى
تمـرّدتُ لا أُلـوي على مـا تعوّدوا
ونفسي بهـذا الشرعِ عـارمـةُ الكفـرِ
وهبْ ملَكي الغالي الكريمَ وحارسي
تخلى فما عذرُ الـوفاءِ ومـا عذري؟
عـشقـتُـكِ لا أدري لحبيَ مـبـدءاً
ولا منتهى حسْبي بحبِّـكِ أن أدري
إذا شئتِ هجراناً فمـا أتعس المدى
من النـورِ للّيـل المخيِّمِ للحشـرِ!

شعرة

وشـعـرةٍ خـطفـتُـهـا كـأنـني قـطفـتُهـا
ملكتُ ملكَ الدهر وحـ ـدي حينمـا ملكـتُهـا
إذا الـريـاحُ نـاَزعتـ ـني أمـرَهـا ضممتُهـا
بـقـبـضـتـيَّ خـائـفـاً إذا اعـتـدتْ رددتُـهـا
وفي مكـانٍ لـيس في بـالٍ جَرى خَبَـأتُهـا
خبـأتُـهـا حيـث إذا جُـنَّ الهـوى رأيـتُـهـا
حبستُهـا قـرب عيـو ني إن أشَـأْ نظرتُهـا
كـأنمـا في بصـري ومـقـلتي أخـفـيتُـهـا
هـذي لـديَّ صـورةٌ من حـالنـا جلوتُهـا
أنت كهذي الشعرة السـ ـمـراء مذ عـرفتُهـا
أقسم بـالحب وهـا تيـك السنين عشتُهـا
كـأنني في جنّـة الـ ـفـردوسِ قد قضيتها

يوم الجمعة

أصبحتُ يوم الجمعه … ذا غربة ما أضيعهْ!
منفرداً لا خلُّ لي … وأينَ مَنْ قلبي معهْ؟
ضاقت بي الأرضُ فما … في فُسحة الكون سَعَهْ
أقطع يومي مُبْطئاً … كأنني لن أقطعَهْ
إني امرؤٌ يُفضي إلى … أزمانه المرقَّعَهْ
يَلُمُّ من شَتاتها … بجهده منا وَسِعَهْ
فلا يصيبُ غير ما … روَّعَهُ وفزَّعَهْ
ولا يُصيبُ غير ما … أمَلّهُ وصدَّعهْ
يا هند من يُعيد لي … آماليَ المزعزَعهْ؟
وإنّ يوماً واحداً … حِبالُه مُقطّعهْ
فكيف لو مرّ بنا … ثلاثةٌ أو أربعهْ؟
قلبي خلا من نسمةٍ … مشرقةٍ مُرَصّعهْ
طالَعَهُ اليوم بها … كأنه قد ودَّعهْ
إن عاشه دونك يا … هند تمنّى مصرعهْ

تعلة

هكذا كلُّ جميلهْ … ليس لي في الغدر حيلهْ
أنْجُ منها وامضِ عنها … أخذتْ قلبَك غيلهْ
بعد هاتيك الليا … لي المطمئنّات الظليلهْ
بخلت ليلاك حتى … بالتعلّات القليلهْ
لم تدَعْ للقلب من طو … ل التباريح وسيلهْ
لم تدع للقلب ما يشـ … ـفي من الوجد غليلهْ
لم تدع إلا رفيفاً … من نسيمٍ في خميلهْ
وخيالاتٍ يُداوي … طيفُها نفسي العليلهْ
والرسالاتِ اللواتي … والأكاذيبَ النّبيلهْ

من لي؟

أناشدك الهوى هل أنتِ مثلي
نهاري فيكِ أشجانٌ وليلي
زمانٌ لا يفارقني عذابي
ولازمني الشقاءُ به كظلّي
كأن الليلَ أصبح لي مداداً
أُسَطِّر منه آلامي ويُملي
حياتي فيه قفرٌ بعد قفرٍ
وعمري فيه كالأبدِ المُمِلِّ
أبعد جوار هندٍ والأماني
أُكابد جيرةَ النجمِ المُطِلِّ
أحبكِ لا أُمَلُّ لقاكِ يوماً
ومن لي بالذي يُدنيكِ من لي؟
أحبكِ لست أدري سرَّ حبي
وعلمي فيه أشقاني كجهلي
أقول لعلّ هذا الدهرَ يصفو
ويا أسفاه لو تُغْني لعلِّي
أحاول سلوةً وأرى الليالي
بغيرِ هواكِ لي هيهات تُسلي

في لبنان

قلبٌ تقسّم بين الوجدِ والألمِ
هل عند لبنانَ نجوى النيلِ والهرمِ؟
أشكو جوايَ إلى الروحِ التي احتضنتْ
ناري وضَمَّتْ إلى أسقامِها سقمي
وقاسمتني الهوى حتى إذا رحلتْ
ألقت فؤاديْ بضنكٍ غير مقتسمِ

ميثـاقُنـا أسـطرٌ من مـدمـعٍ ودمٍ
يا طاهر النفحة اذكـرْ طاهـرَ القَسمِ
يـا من أعـاتب دهـري إذ أودِّعُـهُ
ومـا عتـابي على الأقـدارِ والقسمِ
إنّ النـوى غـرَّبتـهُ وهي عـالمـةٌ
أني رجعتُ أُداري النـارَ بـالضـرمِ
ورنّحتْ بعـده خـطوي ومـا عـرفت
من عثرة الحظِّ أم من عثرةِ القـدمِ
خَلَتْ وران عليهـا الصمتُ وانقلبتْ
كـأنمـا لَفّهـا ثـوبٌ من الـعـدمِ
بـالله أيـامَنـا هـل فيـكِ منتَفـعٌ
ونحن من سَأمٍ نمشي إلى سَأمِ؟
ومـا أُرقِّع ثـوباً فيـك منخـرقـاً
لكن أرقِّـعُ جُـرحـاً غيـرَ ملتئمِ

في شم النسيم

أنت يـا من جعلت روض حيـاتي
مـهـدَ وردٍ إلـيـكِ وردكِ رُدّا
آيـةُ الـورد أنـه نـفـحـةٌ مـنـ
ـكِ ومن عـطركِ العبيـرَ استمـدّا
هـذه بـاقـةٌ من الـورد تجـثـو
مَلكٌ في الريـاض أصبـح عبدا
يـا جمال الجمال من خلّد الحسـ
ـن جميعاً في نظرةٍ منـك تَندى؟
يا صباح الصباح من يَمْلكُ الأضـ
ـواء وصفـاً أو الفـرائـد عَـدّا؟
ليس بـدعاً يا وردة العمر أن كـا
نت لمغنـاك وردة الـروض تُهدى

لا تـظنـي ورداً يـكـافـىء ورداً
أنـت أغلى حـسـنـاً وأكـرم وردا
غيـر أني وإن عجـزت عن التقـ
ـدير حـاولت مـا تمكّنتُ جهـدا
بـاعـثـاً لـلوفـاء ورداً ولـلقـلـ
ـب إلـى أعـمـق الـسـرائـر ودّا
وإلـى العـيـد أنـت عـيـدٌ لأيّـا
مي جميعـاً أنت الحبيبُ المُفَـدّى

في العيد

أفْـديْ نـهـاراً طلعـتِ فيـه
نـجمَ جـمـالٍ ونـجـمَ سـعـدِ
إنـي لـهـذي الـعـيـونِ عـبـدٌ
والـدهـرُ إمـا رضيتِ عبـدي
إن كـان عـيـدٌ بـه وورد
فـأنـت عـيـدي وأنـت وردي
يـا خير من مـرَّ في وجـودي
إنـك كـلُّ الـوجـودِ عـنـدي
عـنـدي خَـفِـيٌّ مـن الأمـانـي
أضـعـافَ مـا جئتُ فيـه أُبـدي
مـعـذرةً في الـقـلـيـل إنـي
والله أعـيـا الكـثـيـر جُـهـدي
يـا فـتـنتي والـهـوى ديـونٌ
حـسـبـيَ أنـي لـه أؤدِّي
ما أنت من أنت هل مجيبٌ
على سؤالٍ بغير ردّي
لـم يـخلق الله مـن جـمـالٍ
يـلـفُّـه فـي سَـنِـيٍّ بُـردِ

حسنُ قُصاراهُ من شفاهٍ
عطرُ ثناءٍ وطيْبُ حمد
ويخلق الله معجزاتٍ
يجمعها كلّها بفردِ
بسحر عينيكِ كيد باغٍ
وسحر عينيك للتحدّي...

رثاء كلب صغير

قالت «لميكي» سِرْ بنا نمشي لحاجتنا الهُوَيْنى
فأطاع مسروراً كعا دته ولم يسأل لأيْنا

* * *

فيم السؤال وكل شيءٍ طيِّبٌ من أجلها
وبنفسه حبٌّ قُصاراه الحياةُ بظلها

* * *

ماذا تغيّر عزّة أو ذلّة في حبها
سارت وكلُّ متاعِهِ في أن يسير بقربها

* * *

يستاف نعلَيْها ويأ بى في الوجودِ مُنافسا
فإذا تخيّل دانياً من تربِها أو لامسا
يختال مِلْءَ نُباحِهِ زَهْوَاً ويخطرُ حارسا!

* * *

عجباً له ولزهوه ما يصنع الواهي الصغيرْ؟
ما يصنع النابُ الضعيـ ـفُ وما يُخيفُ ولا يُجيرْ؟

* * *

لكنّ «ميكي» لا يبا لي أن يموت فداءها
في وثبه هيهات يسـ ـأل ما يكون وراءها

* * *

الأمـرُ كـلُّ الأمـر أن يـغـدو يـدافـعْ دونهـا
والنفس تُنكـر في الضحـ ـيَّـة عقلهـا وجنـونهـا

* * *

من ذلـك الظلُّ المـلا زم في الحياة وفي الطريقْ؟
الـمـخلصُ الـوافي إذا عَـزَّ المنـادمُ والـرفيقْ

* * *

مـن قـلبُـه صـافٍ وديـ ـدنُـه الـولاءُ المـطلقُ
فـكـأنـمـا فـيـه الـولا ء سـجـيَّـةٌ تـتـدفـقُ

* * *

وإذا أُسِـيءَ فـإن أسـ ـمى الحبّ أن يُبدي رضاءَهْ
والصفـح عند ذوي القلو بِ البيضِ من قبل الإساءَهْ

* * *

مهمـا نـظرت لـه نظر ت إلى مَعِينٍ من حنان
يُفضي إليـك بسـره الـ ـذَنَبُ الصغيـر ومقلتـان!

* * *

لا بـأس إنْ هند جفت وقست أليسـت ربَّتَـه؟
أقْـصَـتْـهُ ثـم تـلفَّـت تـرجـو إلَـيهـا أوْبـتـه

* * *

زَجَـرتْـه أو نهـرتـه أو كفَّتْ عـلى جُـرْمٍ يـده
فـهي الـتي نـم تَـنْـسَـهُ والأكـل ملءُ المـائـده

* * *

وهـو الـذي في بعـدهـا لم يـألُهـا طـولَ ارتقـاب
يقـظان ينـتـظر المـآب وَثَوى يُرَاقبَ خَلْفَ بَـاب

* * *

هند التي اتَّخذتـه من دون الخلائق إلْفَهـا
بحثت عن الإلْف الصغـ ـير فلم تجدْه خلفهـا

* * *

ميكي! وما ميكي ومصر عُـه على الدنيا جديـد
نفسٌ يـذوب وصـرخـةٌ تـدوي هنالـك من بعيـد

* * *

وتلفَّتَت هنـدٌ لـمـو ضعـه تغالب وَجْـدَهـا
لا شيءَ. قد سارت برفـ ـقته وتـرجـعُ وحـدهـا

* * *

خـرجت به جـذلانَ يضـ ـحك مثلما ضحك الصباح
فكـأنمـا خـرجـت بـه ليُـلاقيَ القَـدَر المُتـاح

* * *

سـارتْ بـه صبحـاً وعـا دت بـالمواجـع والدمـوع
يغدو الحزينُ على الأسى وأشقُّ شَطْرَيْه الـرجـوع

* * *

خطاب

قَـبَّـلْتُ خـطَّك ألْـفـا
ولـم أَدَعْ مـنـه حـرفـا
قـد كـنـتِ تـوأم قـلبـي
وكـنـتِ فـي الـغـيـبِ إلـفـا
يـا هـنـد مـا الـحسن إنـي
أُجِـلُّ حـسـنَـكِ وصـفـا
رأيـتُـه بـخـيـال
عـلى جـمـالـك رَفَّـا
وكـيـف أخـفي اشـتـيـاقـي
مـا بـيـنـنـا لـيس يَـخْـفَـى!

آه

آهِ مــن مَـيَّــة آهٍ ثــم آه
وحـبيـبٍ سـحـرتـنـي مـقـلتـاه
لــو تمنّيتُ قُبَيْــل المــوت مــاذا
أتـمـنـى؟ قـلـت تـقـبيــل ثــراه!
أتـمـنـى الـمــوت مــن مـقـلتِـهِ
مـا الـذي يمنـع أن أشتـاق فــاه
آهِ مــن مَـيَّــة آهٍ ثــم آه
وحـبيـبٍ عــزّني الـيــوم لـقــاه!

في ليلة غارة

يـا ميَّةَ الحسنـاء هل يغـزو الهوى
قلبيْـن مـا كــانـا على ميعــادِ؟
لا شيءَ إلا أن ذُكـرتِ فهــزّني
طـربٌ وبـات على الحنين فؤادي
وظـللتُ أحلم والـتفـتُّ لسـاعـةٍ
تــدنــو إلـيَّ بـطيفِـكِ الـميَّــادِ
يــا مَيَّ إني قــد مُنيت بـظلمـةٍ
والليـلُ يجثم فـوق صـدر الـوادي
فـأنـرتِ لي قلبي وصـرتُ كـأنمـا
هــذا السـوادُ الجَهْمُ غيــرُ سوادِ

سمراء المحفل

مَلَكي ومِحرابي وقد سَ فؤاديَ المتبتِّلِ
لمن الجمال الفخمُ يرفُلُ في الغلائل والحُلِي؟!
متألباً في خاطري متألقاً في المحفلِ
إقبلْ بما ولّت به الدنيا وهاتِ وعللِ
وابسط جناحكَ فوق قلبينا الغداة وظلّلِ
طِرْ حيث شئتَ فإن دنوتَ لناظري فتمهلِ
واهاً لهذي الطلعةِ السمراءِ عند المجتلي
بغلائل الأضواءِ وشّتْها رقاقُ الأنملِ
وشّت بشاشتُها نضارةُ وجهك المتهلّلِ
فكأن طفلَ الفجرِ نامَ على وسادةِ جدولِ!

روض الحسن

في أيِّ روضٍ من رياضكِ أمرحُ
وبأيِّ آلاءٍ لَديكِ أُسَبِّحُ؟
ثمرٌ على ثمرٍ وإن المُجْتنى
ليحار من عذب الجنى ما يطرحُ
بالشعر أم بالمقلتين معلَّقٌ
من ناظريْ وخواطري لا يبرحُ
تلك المحاسن في نُهايَ جميعُها
رفّافةٌ ومغرَّداتٌ صُدَّحُ
فإذا غفوتُ فإنني أُمسي بها
وعلى مغانيها الفواتنِ أُصبحُ

قلبي الثاني

أحببتُ ميَّة حبّاً لا يُعادلهُ
حبٌّ وأفنيتُ فيها العمرَ أجمعَهُ
أُحبُّ عمري الذي في قربِ ميَّ وما
قد مرَّ من دونها ما كان أضيعُهُ
يا ميَّ يا قلبِيَ الثاني أعيش بهِ
وإن يكنْ فوق ظنِّي أنّني معهُ
يا بضعة من كيان الصبِّ نابضةً
بكل حُبٍّ به الرحمن أودعهُ

ما أضيع الصبر

ما أضيع الصبر في جُرحٍ أداريهِ
أريد أَنْسَى الذي لا شيء ينسيهِ
وما مجانبتي من عاش في بصري
فأينما التفتتْ عيني تلاقيهِ!

ما حيلتي

ما حيلتي يا هند وجهك لاح لي
بأنوثةٍ جبَّارةِ الطغيانِ
يا هندُ أين رجولتي وعزيمتي
في قرب وجهٍ ساحرٍ فتَّانِ؟
وأنا حزينٌ ظامىءٌ قد جدَّ لي
وِردٌ وراء مَعِينِهِ شفتانِ!

يا نسيم البحر

يــا نسيم البـحــر ريــانَ بــطيب
ما الذي تحمِل من عطر الحبيبِ؟
صــافحتـني مـن نــواحيــك يــدٌ
تمسـحُ الدمعـةَ عن جفن الغريبِ
وتــلقّــاني رشــاشٌ كــالــبـكــا
وهــديـرٌ مثــلُ مـوصــول النحيبِ

ذات ليلة

بـيـن ســهــدٍ وعــذابٍ وضـنــى
مــرّ ليـلي، ذاك حــالــي وأنــا
أســألُ الأنجمَ عن حــالِ المنى
يــا حبيبي كيف صــارت بـيـنـنــا
كيف أمسى يــا حبيبي عـهـدُنــا
بعــدمــا طــاب هــوانــا، ودنــا
كــلٌّ مــا كــان عـبـيــداً، ورنــا
كــلُّ نجمٍ من سمــاوات السنــا!
آه لــو يــنــظر حــالــي الآنَ آه
حينمــا ضــاقت بــآلامي الحيــاه
نــدم النجــمُ على غــالــي سنــاه
ورأى كــيـف انــطويــنــا فــطواه

الى هند

غـرامـكِ لـي مـعـبـدٌ طـاهـرٌ
دعـائـمُـهُ شُيِّـدتْ مـن ولـوعي
تـعهـدتُ مـحـرابَـه بـالـوفـاء
وأوقـدتُ فيه الهـوى من شمـوعي
جـوانبُـه من دمـوعـيَ قـامـتْ
وأضـلعُـه بُنِـيـتْ مـن ضـلوعـي
ومن ذا رأى هيكـلاً في الـوجـودِ
يُـقـام على عـمـدٍ من دمـوعِ؟

يا دار هند

إنـي لأقـنـع مـن ظـلالِ أحبّـتي
بـحـنـان أختٍ أو بـكـفّ مـسلّمِ
وبـجلسـةٍ طـابـت لـديّ بغـرفـة
حملت عبيـرَ الغـائب الـمتـوسّمِ
يـا أخت هنـدٍ خبّـريـهـا أنـني
صـبٌ يعيش بمـهجـة الـمتـألـمِ
صبٌ سئمتُ من الحيـاةِ بـدونِـهـا
أنـا لا أحـبُّ إذا أنـا لـم أسـأمِ
ومـضى الـنهـارُ ولا نـهـارَ لأنـهُ
يمتـدُّ عندي كـالفـراغ المـظلمِ
يـا دار هـنـدٍ إن أذنـتِ تـكـلَّمي
يـا دارهـا عيشي لهـنـدٍ وأسلمي
فـدمي الفـداءُ لحبّ هنـدٍ وحـدهـا
وأنـا المقصِّـرُ إن بـذلت لهـا دمي
ولقـد حلفت لهـا ودمعي شـاهـدٌ
أني فنيتُ عـلمتِ أم لـم تعلمي!

شفاعة

لا تمْـحُ رَوْعَتَهـا بـذكـر فعـالهـا
دعْهـا تمـرُّ كمـا بـدت بجـلالهـا
لا تنكـرنَّ الشمسَ عند غـروبهـا
أَوَ مـا نعمتَ بِدِفْئِهـا وظـلالهـا؟
إن كان فاتك مجدها رَأْدَ الضُّحى(؟!)
فـاحمدْ لهـا مـا كـان من آصـالهـا

قسوة

قَسَتِ الـحيـاةُ عـلى الـطريـ
ـدِ فـقـمْ بـنـا نَنْـعَى الـحيـاهْ
وقسـا الحبيـبُ عـلى الـغـريـ
ـبِ فـلا الـدمـوع ولا الصَّـلاهْ
فـرغ الـحـديـثُ ومـن رواه
طُـوِيَ الـكتـابُ فـمـن طـواهْ؟
عـجبـاً لـهـذا الـحـب مـن
بـدء الـزمـانِ لـمـنـتـهـاهْ
وقـضـائـهِ بـيـن الـذي
حـفظ الـوفـاءُ ومـن سـلاهْ
قـتـلى الـهـوى لا يُـذكـرو
ن ولا حـسـاب عـلى الـجنـاهْ

محنة

هي محنةٌ وزمان ضِيقْ
وتكشَّفَتْ عن لا صديقْ
جرَّبتُ أشواكَ الأذى
وبلوتُ أحجارَ الطريقْ
وكأنَّ أيّامي التي
من مصرعٍ ليست تفيقْ
وكأنَّ موصولَ الضنى
يَمْتاحُ من جُرْحٍ عميقْ
زرعٌ على طُلَلٍ فذا
أبداً لصاحبه رفيقْ
هذا الذي سَقَت الدمو
عُ وذاك ما أبقى الحريقْ

الحب والربيع

جدّدي الحبَّ واذكري لي الربيعا
إنني عشت للجمال تبيعا
أشتهي أن يلفَّني ورق الأيـ
ـكِ وأثْوي خلف الزهورِ صريعا
آه دُرْ بي على الرِّفاق جميعاً
واجعل الشمل في الربيع جميعا
لا تقل لي أشتر المسرَّة والجا
ه فإنِّي حُسنَ الربى لن أبيعا
فلغيري الدنيا وما في حماها
إنني أعشقُ الجمالَ الرفيعا
أنا من أجله عصيتُ وعُذِّبْـ
ـتُ وأقسمتُ غيرَه لن أطيعا

وبـطيبِ الـربيـع أقتـاتَ زهـراً
وعـبـيـراً ولا أُكـابـد جـوعـا
فَهـو حسبي زاداً إذا عَفَت الـدُّنـيـ
ـيـا وأقْـوَتْ مـنـازلاً وربـوعـا

الى ابنتي ضوحيه

يـا من طلبتِ الشعرَ هـاك تحيّتي
وهـواي يـا روحي ويـا ضـوحيّتي
أيُـرادُ تفصيـلٌ لمـا عـنـدي وكم
قـلبٍ ومـوجـز أمـره في لـفـظة
لـكـن فـنَّ الـشـعـر وردُ أحبـة
يُهـدى فهاك قصيـدتي بـل وردتي
والـشـعـر روضٌ يـانـعٌ وعـبـيـرهُ
سـارٍ إلينـا من عـبـيـر الـجـنّـةِ
وأراكِ روضـة رقـةٍ ومـحـاسـنٍ
هـل روضةٌ تهـدي البيان لـروضـةِ؟
فـإليـك يـا أغلى عـزيـز يا ابنتي
وأحـبَّ من تـصبـو إليـه مهجتي
تـذكـار والـدك الـمحـبِّ وديعـةً
فـإذا ذكـرت فـهـذه أمـنـيّـتـي
والحظُّ مثـل الـرسم إن يـومـاً نـأى
رسـمي فـللأثـرِ الـعـزيـز تـلفّتي

غيوم

أملٌ ضائعٌ ولبٌّ مشرَّدْ
بين حبٍّ طغى وجُرح تمرّدْ
وضلالٌ مشت إليه الليالي
هاتكاتٍ قناعه فتجرّدْ
وبدا شاحباً كيوم قتيلٍ
لم يكد يلثم الصباحَ المورّدْ
غفر الله وهمها من ليالٍ
صوّرت لي الربيعَ والروض أجردْ
قاسمتني الورقاءُ أحزانَ قلبي
وشجاه وغَرَّدَتْ حين غرّدْ
ثم ولَّتْ والقلبُ كالوتر الدا
مي يتيمُ الدموعِ واللحنُ مفردْ
ما بقائي أرى اطِّراد فنائي
وانتهائي في صورةٍ تتجدّدْ
ورثائي وما يفيد رثائي
لأمانٍ شقيةٍ تتبدّد
عبثاً أجمع الذي ضاع منها
والمنايا منِّي ومنها بمرصدْ
وبقائي أبكي على أملٍ با
لٍ وأحنو على جريحٍ موسَّدْ
واحتيالي على الكرى وبجفنيَّ
قتادٌ ولي من الشوك مرقدْ
وشكاتي إلى الدجى وهو مثلي
ضائعٌ صبحهُ ضليلٌ مسهَّدْ
وشخوصي إلى السماء بطرفي
وندائي بها إلى كل فرقدْ

فجعتني الأيامُ فيه فلم يَبْـ
ـقَ على الأرض ما يسرُّ ويُحمدْ

ذهبت بالجميل والرائع الفخـ
ـم وطاحت بكل قدسٍ ممجّدْ

مالَ ركنٌ من السماءِ وأمسى
هلهلَ النسج كلُّ صَرحٍ مُمرَّد

ربِّ عفواً لحيرتي وارتيابي
وسؤالٍ في جانحي يتردّدْ

هو همس الشقاء ما هو شك
لا ولا ثورةٌ فعدلك أخلدْ

أين يا رب أين من قبل حيْني
ألتقي مرةً بحلمي الموحّدْ؟

بخليلٍ ما ردَّه كيدُ نمّا
مٍ ولم يَثْنِه وشاةٌ وحُسَّدْ

وحبيبٍ إذا تدفَّق إحسا
سي جزاني بزاخرٍ ليس ينفدْ

وعناقٍ أُحِسُّه في ضلوعي
دافقاً في الدماءِ كاليمِّ أزبدْ

ذهب العمر

قضيتَ العمر تذكر لي وأذكر في الهوى جرحكْ
فقم نسخرْ من الأمَلِ ومن أعماقنا نضحكْ!

* * *

وقم نسخرْ من الدنيا وقم نَلهُ مع اللاّهي
طويتُ صحيفة الأمسِ فَدَعْها في يد اللّهِ

* * *

هي الـدنيـا كمـا كـانت ومـاذا يـنـفـع الـوعظُ
ومـا عتبـت ولا خـانت ولـكـن خـانـك الـحظُّ

* * *

أردنـا الجـاهَ والـذهبـا فـلم يـتـلطّفِ الـمـولى
وهـذا العمرُ قـد ذهبـا وأحـسـن مـا بـه ولّـى

* * *

رباعيات

صيّرَكَ الحسن أميرَ الوجودِ والشعر من درّاته كلّلكْ
مستلهماً منك معاني الخلود فكل تاجٍ في العلى منك لكْ

* * *

فَنَاهِبٌ برقَ الثنايا العذابْ وسارِقٌ ياقوتةً من فمكْ
وكل تغريد الهوى والشبابْ أغْنيةٌ حامت على مبسمكْ

* * *

وذلك الماس الرفيع السنا والجوهر الغالي الذي صدْتُهُ
أرفع من فكر الورى مَعْدِنا وكل فضلي أنني صُغْتُهُ!

* * *

لا فكر لي ، عشتُ على فكرتكْ أقبس ما أقبس من غُرَّتكْ
ودمعتي تقتات من عبرتكْ فانظر بمرآتي إلى صورتكْ

* * *

أشقاني الحبُّ وقلبي سعيدْ يَعُدُّ هذا الدمع من أنعمكْ
أجزل ما كافأ هذا الشهيدْ بلوغُه المجد على سُلَّمكْ

* * *

لا شيء من يوم النّوى منقذي إني امرؤٌ عنك وشيك المسيرْ
وأنت باقٍ والجمال الذي غنّى به شعري ليومي الأخيرْ

* * *

انظر إلى آيات هذا الجمالْ ترتدُّ عنها عاديات البلى
عاجزةَ الباع ويأبى الزوالْ لوردةٍ من عَدْن أن تذبلا

* * *

للأنفس الظمأى إليك التفاتْ ولهفةٌ ملءَ اللّحاظ الجياعْ
ولي التفاتٌ لسريّ الصّفاتْ واللؤلؤِ اللمّاح خلف القناعْ

* * *

قلبي مع الناس وفكري شَرودْ في عالَمٍ رَحْبٍ بعيد الشِّعابْ
عيني على سرٍّ وراء الوجود وبغيتي عرشٌ وراء السحابْ!

* * *

كم طرت بي واجتزت سور الضبابْ والضوء ملءُ القلب ملءُ الرحابْ
وعدت بي للأرض أرض السَّرابْ والليلُ جهمٌ كجناح الغرابْ

* * *

أريْتَني الغيبَ الذي لا يُرى كشفتَ لي ما لا يراه البصرْ
ثم انحدرنا نستشفُّ الثرى علّ وراءَ التُّرب سرَّ السفرْ

* * *

صدري وسادٌ زاخرٌ بالحنانْ تصوُّري أعجب ما في الزمانْ
موج على لُجّته خافقان قَرَّا على أرجوحةٍ من أمانْ

* * *

كمركب في البحر يومَ اغترابْ ما أبعد المحنة بعد اقترابْ
هيهات يُنْجي من شطوط العذابْ إلّا عبابٌ دافقٌ في عبابْ

* * *

ملأتُ كأسي وانتظرتُ النديم فما لساقي الرُّوح لا يُقبلُ
شوقي جحيمٌ وانتظاري جحيم أقلُّ ما في لفْحِهِ يقتلُ

* * *

أنت كريمُ الودِّ حُلوُ الوفاءْ فما الذي عَاقَكَ هذا المساءْ؟
وما الذي أخَّر هذا اللقاءْ وحرَّم النبع وصدَّ الظِماءْ؟

* * *

أذمّ هذا الوقت في بُطْئِهِ آخرهُ يعثرُ في بَدْئِهِ
لله ما أحمل من عِبْئِهِ وما يُعاني القلبُ من رُزْئِهِ

* * *

تدقُّ فيه ساعةٌ لا تدورْ وإن تَدُرْ فهو صراعُ اللغوبْ
رنينها يقلق صمَّ الصدورْ وطَرْقُها يقرع بابَ القلوبْ

* * *

يا ذاهباً لم يشْف مني الغليلْ ما أسرع العقربَ عند الرحيلْ
هتفتُ قف لم يبق إلّا القليلْ وكلُّ حيٍّ سائرٌ في سبيلْ!

* * *

يومٌ تولّى أو ظلامٌ سجا كلاهما بالقرب منك انتصارْ
أأحمد اليوم تلاه الدُّجى أم أحمد الليل تلاه النهارْ؟

* * *

إنْ نَوَّر النجمُ به مرَّةً فإن إشراقَكَ لي مرّتانْ
وكيف يُبقي الشكُّ لي حيرةً ولي على برج المنى نجمتانْ؟

* * *

فهذه تلمع في خاطري مِلءُ دمي إشراقُها والبهاءْ
وهذه تُومِىءُ للساهرِ والليل صافٍ وأديم السماءْ

* * *

وهذه تجلو كثيف الغيومْ وهذه تَدْرَأُ عني الهمومْ
وتَمحق الحزنَ وتَأسو الكلومْ فما الذي أَجْرى دموعَ النجومْ؟

* * *

هيهات أنسى نُزَّة الأنجمِ إليَّ من آفاقها ترتمي
وفي جريحٍ أعزلٍ تحتمي من أي هولٍ؟ هي لم تعلمِ!

* * *

إنَّ ضلوعاً تحتمي في ضلوعْ مقادرٌ ليس بها من رجوعْ
أخلدُ أصفاد الجوى والنزوعْ هوى الحزانى وعناق الدموعْ

* * *

رضيت بالدهر على ما جَنَى وأُبْتُ بالحكمة بعد الجنونْ
ومرَّ يومي هادئاً ساكنا وأيُّ شيءٍ خادع كالسكونْ

* * *

أرنو إلى الصحراءِ حيث الرمالْ نامت كأنَّ اللفحَ فيها ظلالْ
يا ليت لي والدهر حالٌ وحالْ من وقدةِ الإحساسِ بعض الكلالْ

* * *

فأقبل الدنيا على حالها مسلِّماً بالغدر في آلها
وراضياً عنها بأغلالها محتملاً وطأة أثقالها

* * *

الرُّعْبُ سيّان بها والأمانْ والحسنُ زادٌ سائغٌ للزمانْ
والوهمُ في حالاتها كالعِيان والحبُّ والكرهُ بها توأمانْ

* * *

وَدِدْتُ لو قلبي كهذي القفارْ أصمُّ لا يسمع ما في الديارْ
أعمى عن الليل بها والنهارْ وددتُ لو قلبي كهذي القفارْ

* * *

وددتُ لو عنديَ جهلُ الثرى تَعْمُر أو تقفر هذي البيوتْ
غفلان لا يعنيه أمرٌ جرى أيُولَدَ الحيُّ بها أم يموتْ

* * *

وليلةٍ تمضي وأخرى وما جئتَ فهل ألهاك عني أحدْ؟
ما ضاء من ليلاتنا أظلما والسبت خَدَّاعٌ بها كالأحدْ

* * *

يمتلىءُ السطحُ على ضيقهِ والوقتُ عندي كانفساحِ الأبدْ
حسدتُهُ والقلبُ في ضيقهِ أنا الذي لم أدرِ طعمَ الحسدْ

* * *

وذلك (الجاز) وهذا النغمْ منتقلاً بين الرضا والألمْ
يحمل لي طيفَ خيالٍ قَدِمِ تراه عيني في ثنايا حُلُمْ

* * *

في واحةٍ يرسو عليها الغريبْ فكلُّ ما فيها لديه غريبْ
وهكذا الدنيا خداعٌ عجيبْ إذا خلت أيامُها من حبيبْ

* * *

وهكذا يومٌ ويومٌ سواه ينكرها القلبُ الصَّبورُ الحمولْ
وهكذا يذهب طِيبُ الحياهْ بين التمني واعتذار الرسولْ

* * *

هنا مِهادُ الحبِّ هل تذكرينْ وها هنا بالأمس طاب السمرْ
وتلك أحلامُ الهوى والسنينْ يحملها التيَّارُ فوق النهرْ

* * *

والقمرُ الفضيُّ بين الغيومْ يخفق كالمنديل عند الوداعْ
يا حسرتا! هل صوّرتهُ الهمومْ كالزورقِ الغارقِ إلّا شراعْ

* * *

قد جللته غيمةٌ عابرهْ تسحبُ أذيالَ الأسى والندمْ
وأغرقتهُ موجةٌ غامرهْ فأطبقَ الصمتُ وَرَانَ العدمْ

* * *

ضممت أضلاعي على نعشِهِ فلم يزلْ فيها لهاوٍ شعاعْ
لأيِّ غورٍ زالَ عن عرشِهِ وغاص في اللجِّ إلى أيِّ قاعْ

* * *

أرثي لحظِّ الأفق وهو الذي يرمقُني بالنظرة الساخرهْ
وتهرب الأنجمُ هذي وَذي ويجثم الليلُ على القاهرهْ

* * *

ويزحف الكونُ على خاطري كأنه في مقلة الساهرِ
سَدٌّ من الرُّعبِ بلا آخرِ يعبُّ عَبَّ الأبدِ الزاخرِ

* * *

وفي ظلالِ الموت موتِ الوجودْ وخلفَ أطلال البلى والهموم

وبين أنفاس الرّدى والخمودْ وتحت سُحْبٍ عابساتٍ وسودْ

* * *

تدفعني عاصفةٌ عاتيهْ تقصف من خلفي وقُدّامِيَهْ
قد مزّقت روحي وآماليَهْ وقرّبتْ لي طرَفَ الهاويهْ!

* * *

تلمع في الظلمة أحداقُها قد رحّبَتْ باليأس أعماقُها
شافية النفس وترياقُها مشتاقةٌ أقبل مشتاقُها

* * *

قد كان لي عندك عزُّ الذليلْ وكان للآمال ومضٌ ضئيلْ
يلمع في ظَنّيٍ قبل الرحيلْ فانطفأ النورُ ومات القليلْ

* * *

فداك يا جاهلةً ما بِيَهْ قلبي وأنفاسِي الظمّاء الحِرارْ
وكيف أنسى ليلتي الداميَهْ ولهفتي أَلْهَثُ خلف القطارْ؟

* * *

وعودتي أجرع كأسَ الحياه مُعاقِراً سُمَّ الفناءِ البطيءْ
أُنْكِرُ أو أفزعُ ممن أراه سيان من يذهب أو من يجيءْ

* * *

وليلةٍ فاضت بوسواسها تعجبُ من إِلْفَين بين البَشَرْ
ذلك يعدو خلف أنفاسها وهذه تتبع سير القمرْ

* * *

تتبعه بين الرُّبى والشِّعابْ تتبعه يسري خلال السحابْ
كم هَلّلَتْ وهو يضيء الرِّحابْ والتفتَتْ محسورةً حين غابْ

* * *

وذلك الطفل اللهيف الغيورْ في فَلَكٍ من ضوء ليلى يدورْ
يقفو خطاها وهي بين الطيورْ لها جناحان مراحٌ ونورْ

* * *

كزورق يعبرُ بحرَ الوجودْ   له شراعان ولحظٌ شَرُودْ
كم شرّقا أو غرّبا في صعودْ   وارتفعا حتى كأن لن يعودْ

*   *   *

ليلى ارجعي إني شقيٌّ كئيبْ   أهتف مفقودَ الهُدى والقرارْ
يا هاته الأوطان إني غريبْ   وعالمي ليس هنا يا ديارْ!

*   *   *

تركتني وحدي وخلفتني   أرزح تحت المبْكيات الثقالْ
أنكرتِ ميثاقي وأنكرتني   أكُلُّ ماضينا وليد الخيالْ؟

*   *   *

فرغت من أحلامه وانطوى   بمُرّهِ وارتحتُ من عذبهِ
الأمرُ ما شئتِ فذنب الهوى   على الذي يكفر يوماً بهِ

*   *   *

كان إلى الله سبيلي وما   كان إلى الإيمان دَرْبٌ سواهْ
وكان في جُرح الهوى بلسما   وكان عندي منحة من إلٰهْ

*   *   *

مهما تكن ناري فإنّ الجحيم   أرأفُ بي من ظلم هذا البعادْ
وربّ همّ مُقْعِدٍ أو مقيمْ   قد لطّفَتْهُ نسماتُ الودادْ

*   *   *

فخفّتِ النارُ وقرّ الهشيمْ   وعاودتني الذِّكَرُ الغابرهْ
والنيلُ يجري هادئاً والنَّسيمْ   معربدٌ في الخُصَل الثائرهْ

*   *   *

كم تهتف الأيامُ : خانت فَخُنْ   ويح حياتي إنْ تَخُنْ أمسها
إن هنتُ هذا عهدُها لم يَهُنْ   ولا لياليها وإن تنسها

*   *   *

تُهيب بي الفرصةُ قبل الفواتْ   ويَعرض الصَّيدُ فلا أقنصُ
إني امرؤ زادي على الذكرياتْ   وما غلا عنديَ لا يرخصُ

*   *   *

ومطلب في العمر ولّى وفات — وكان همّي أنه لا [illegible]

كأن فجراً ضاحكاً فيّ ماتْ — وملءُ نفسي مغربٌ لا [illegible]

* * *

في السّأم الحيِّ الذي لا يَبيدْ — والأملِ الطاغي بأن ترجعي

أجدِّدُ العيشَ وما من جديدْ — وأدّعي السلْوان ما أدّعي!

* * *

كم خانني الحظُّ ولا اثني — أقضي زماني كلَّهُ في لعلْ

وتقسم المرآة لي أنني — رَقَعْتُ بالآمالِ ثوبَ الأجلْ

* * *

قد فاتني الصيفُ وخان الربيعْ — وكان همّي كلُّه في الخريفْ

وما شَكاتي حين شملي جميعْ — وانت لي أيكٌ وظلٌّ وريفْ

* * *

والآن قد مزّق عندي القناعْ — موتُ الأباطيل وزحف الشتاءْ

وبدَّد الوهمَ وفضَّ الخداعْ — بَرْدُ المنايا وشحوبُ الفناءْ

* * *

وأَسِفَ القلبُ لكنزي الذي — غَصّتْ به أفئدة الحُسَّدِ

صحوت من وهمي ولا كنز لي — قد صَفِرَتْ منها ومنه يدي

* * *

أين زمانٌ مُكتسٍ يومُهُ — بالحبِّ مَوْشِي بحُلْم الغدِ؟

من هاته الأيام محرومةً — عريانةَ الآمال والموعدِ

* * *

قد قتل الدهرُ هنائي كما — ماتت بثغري ضحكات السعيدْ!

وربما رقَّ زمانٌ قسا — فانعطف الجافي ولان الحديدْ

* * *

محقق الآمال أو واعدٌ — بفرحةٍ يوم لقاء وعيدْ

فإن يَعِدْني ثار شكّي به — كأنما وعدُ الليالي وعيدْ!

* * *

وا آسفا هذا سجلٌّ كُتِبْ خَطَّتْهُ كفُّ القدَرِ المحتجبْ
ففيم عَوْدِي لقديم الحِقَبْ وفيم تَسْآلِيَ عمّا ذهبْ؟

* * *

ضاقت بنا مصرُ وضقنا بها وكلُّ سهلٍ فوقها اليوم ضاقْ
وضاقتِ الدنيا على رحبِها أين نداماي وأين الرفاقْ؟

* * *

كفٌّ تَلُمُّ العمرَ والعُمرُ راحْ وقبضةٌ تجمع شملَ الرياحْ
لا حَبَبٌ باقٍ ولا ظل راحْ ليلٌ تولَّى وتولَّى صباحْ

* * *

هذا نهارٌ مات يا للنَّهارْ كل مساءٍ مصرعٌ وانهيارْ
مال جدارُ النورِ بعد انحدارْ وغابتِ الشمسُ وراءَ الجدارْ

* * *

وذا مساءٌ صبغتْهُ الهمومْ بلونها القاني وهذي غيومْ
تحوم والظلمةُ فيها تحومْ تبسط مهداً ليّناً للنجومْ

* * *

كأن ثوباً في السماء احترقْ فلم يزل حتى استحال الأفقْ
ظلَّ دخانٍ أو بقايا رمقْ ولمَ يعُد إلَّا ذيولُ الشفقْ

* * *

وتزحف الظلماءُ زحفَ المُغيرْ حاجبةً ما دونها كالسِّتارْ
وكل حيٍّ وادعٌ أو قريرْ ما اختلف الشأن ولا الحظّ دارْ

* * *

العيشُ أمرٌ تافهٌ والمنونْ والحكمةُ الكبرى بها كالجنونْ
وهكذا نمضي وتمضي السنونْ وهكذا دارتْ رحاها الطحونْ

* * *

في شَجِّها حيناً وفي طَعْنِها سينقضي العمرُ وأين الفرار؟
وثورةُ الشاكين من طحنِها نوحُ الشظايا وعتابُ الغُبارْ!

* * *



فيِ معبَــد اللّيل



الى اميرتنا

في عيد ميلادها الرابع عشر
١٠/ ٤ / ٤٦

إقبلي يــا «امـيــرة» اللطف حـبي
واقبلي من أبيـك هـذا الكتــابـا
إجعليــه ذكــرى لــه، وإجـمعـي
الآراء فيـه واستكتبي الأصحـابـا
جـعــل الـلّهُ كل عـمــركِ عـيــداً
وربَـيـعــاً مـنـضّـراً وشـبــابـا

الى ابنتي

يا ابنتي أني لأشعر أنَي ... ملأتِ مهجتي شموس منيرة
أشرقت فرحتان عندي فهذي ... لعماد وهذه لأميرهْ
انتما فرقدان، وهو جدير ... بالذي ناله وأنت جديرهْ
اغنما كل ما يطيب وفوزا ... بالمسرات والأماني الوفيرهْ
وافرحا بالذي يطيبُ ويرجى ... عيشةٌ نضرة وعين قريرهْ

ابد الخلود*

ما كان أقصر هذه من زورة ... ما أشبعتْنا من بشاشة نازكِ
كلا ولا رَوى النهى من زهرةٍ ... بالطهر تفصح عن سمات ملائكِ
انا حمدنا لليالي انها ... قد قرَّبتنا من سنيّ سمائكِ..
أن كان اسعدنا الزمانُ بساعةٍ ... فكأنها أبد الخلودِ حيالكِ

تكريم

قصيدة الدكتور ناجي في الحفلة التي
أقامها فريق من أنصار التجديد وأعلام
المدرسة الحديثة تكريماً لصاحب مجلة
الحديث الحلبية الأديب الراحل
سامي الكيالي سنة ١٩٣٢.

نفدي النزيلَ ونكرمن ان لم نكرمْه فمن؟
يا ضيف مصر أقم مقا م الأهل وانزلْ في وطنْ
أنا اشتركنا في الاما لي والتقينا في المحنْ
فمن الشآم الى العرا ق الى الحجاز الى اليمنْ
والصرخة الكبرى كمو ج البحر تدوي في الأذنْ
تتباين الأصوات فيـ ـها لا يبالي بالثمنْ

* * *

نبغي الحياة وما الحيا ة سوى مماشاة الزمنْ
الدهر دفاق فكيـ ـف نعبّ من ماءٍ اسنْ
العصر عصر السابقيـ ـن الى الشواهق والفتنْ
لا عصر مفتتنين بالا حلام غرقى في الوثنْ
ومقيّدين الى الثرى بين التخاذل والوهن
يا أيها الشرق الذي يدعو: رويدك واطمئنْ
انا اليك وللشبا ب رسالة لا تمتهنْ
قمنا لها! كل بنا حية رسول مؤتمنْ؟
ما في طلائعنا الضعيـ ـف ولا الذليل المستكنْ
ما في طبائعنا الخصا م ولا الحفيظة والضغنْ
انا جنود النور من علم ومن أدب وفنْ
القاتلون الجهل مثـ ـل البوم عشش في الدمنْ
انا لاعداء الجمو د وواضعوه في الكفنْ

* * *

يـا أيهـا الضيف العـزيـ ـز نعمت بالعيش الحُسنْ
يـا مؤنس المصـري في حلب ومـا ننسى المننْ
صـدر الشـآم حنـا عليـ ـك ومصر لو تدري أحنّ
بـردى لنـا، وصبـاه والـ ـجنات والـطيـر المـرنْ
والأرز والـطود الـمـعـ ـصّب بالجلال المـطمئنْ
والـنيـل نـهـركـم ومـا زان الخميلةَ والفـنْ
والـقـوم أهـل والقـرى وطـن عـطوف والمـدنْ

الى امينة[1]

أربّاه أنقذني فأنت رميتني بقلبٍ على الأشواكِ والدم مشاءِ
«أمينة» هذا ما أتاني كتبته وعندك أخباري وعندك أنبائي

تحت الباب[1]

أقـبلتُ أطـرق مـنـزل الأحبـاب
ودسست هـذا الشّعرَ تحت البـابِ
أتـرى أكـون بثثت شـوقي كـلّه
وشـرحت حالي يـا أولي الألبـاب
يا جارة «الـوادي» إذ الوادي أخي
وكريم «إحسان»[1] ولطف صحابِ
قسمـاً بمـوصـول المـودة بيننـا
هـذي الـزيـارة لم تكن بحسـابي
قـد يجمـع الله الشتيت ويلتقـي
نـاءٍ بـنـاءٍ بعـد طـول غيـابِ

تكريم[1]

يـا صفـوة الأحبـاب والـخـلّانِ
عفـواً إذا استعصى عليّ بيـاني
الشعـرُ ليس بمسعفٍ في سـاعـةٍ
هي فـوق آي الحمـد والشكـرانِ
وأنـا الـذي قضّى الحيـاةَ معبراً
ومـرجعـاً لخـوالـج الـوجـدانِ
أقفُ العشيـةَ بـالـرِّفاقِ مقصـراً
حيـران قد عقـد الجميـلُ لسـاني
يـا أيها الشعـر الـذي نـطقتْ بـه
روحي وفـاض كمـا يشـاء جنـاني
يـا سلوتي في الدهـر يـا قيثـارتي
مـا لي أراكِ حبيسـة الألحـان؟
أيـن البيـان وأين مـا عـلمتـني
أيـام تـنـطلقيـن دون عـنـانِ؟
نجواك في الزمن العصيب مخـدَّرٌ
نـامت عليـه يـواقظ الأشـجـانِ
والنـاسُ تسـأل والهـواجسُ جمـةٌ
طـبٌّ وشـعـرٌ كيـف يـتـفـقـان؟
الشعـرُ مـرحمـة النفـوس وسِـرُّه
هِبـةُ السمـاءِ ومِنحـةُ الـدَّيـانِ
والـطبُّ مـرمحـه الجسـوم ونبعُـهُ
من ذلـك الفيضِ العليِّ الشـانِ
ومن الغمـام ومن معيـنِ خلفَـهُ
يـجـدان إلـهـامـاً ويستـقيـان
يـا أيهـا الحبُّ المـطهـرُ للقلو
ب وغـاسـل الأرجـاس والأدران

ما أعظم النجوى الرفيعة كلما
يشدو بها روحان يحترقان
أنفا من الدنيا وفي جسديهما
ذُلُّ السجين وقسوة السجانِ
فتطلعا نحو السماءِ وحلّقا
صُعُداً إلى الآفاق يرتقيان
وتعانقا خلفَ الغمامِ وأترعا
كأسيهما من نشوةٍ وحنانِ
اكتبْ لوجه الفَنِّ لا تعدلْ بهِ
عَرَض الحياةِ ولا الحطامِ الفاني
واستلهم الأمَّ الطبيعةَ وحدَها
كم في الطبيعةِ من سَرِي مَعانِ
الشعرُ مملكةٌ وأنتَ أميرُها
ما حاجة الشعراءِ للتيجانِ
«هومير» أمّرهُ الزمانُ لنفسه
وقضت له الأجيالُ بالسلطان
اهبطْ على الأزهار وأمسح جفنَها
واسكب نداك لظامىءٍ صَدْيانِ
في كلِّ أيكٍ نفحةٌ وبكل رو
ضٍ طاقةٌ من عاطر الريحانِ

عجبا!

يا هاجري، يا من هجرتَ بلا سببْ
أترى العقاب بغير إثم قد وجب؟
عجباً لقرص الشمس في البيت احتجب
عجباً.. لأعجب ما يكون من العجب

بعد اعتزال الأدب

صديقي «سعفانُ» ألف سلامْ ولا زلتَ صاحبيَ المرتقبْ
ستعجب من صورتي هذه ألم تر أني اعتزلت الأدب؟

امير الكمان

«تحية لأمير القيثارة سامي الشوا»

آه من لحنٍ سما وي عجيب النغماتِ
أيها الساحر لم تضـ ـرب بقوس، بل عصاة
يا أبا الفن المصفى هات ألحانك هات
في شطوط النيل، مهد الـ ـفن، مهد المعجزات
«الصّبا» في ريح «لبنا ن» رقيق النفحات
«وحجاز راقص او مات من «شط الفرات»
نحن أبناء المعالي نحن أبناء الغزاة
غننا لحن أبينا الـ ـشرق، واهتف بالحُماة
هاتِ لحنَ الشرق.. ما أجـ ـدره بالعبرات
هو أرض المجد، أرض الـ ـخلد من بدء الحياة
هات لحن الشرق هات.. هاتِ لحن الشرق هاتِ
رُب لحن قدسيٍّ من جنان الخلد آتِ
جعل الأرواح في هيـ ـكله مزدحمات
حشدَ العالم كالعُبَّـ ـاد قاموا للصلاة
جَمَعَ الناسَ على الـ ـحبِّ وأدنى من شتات

شفاء ... وشفاء[1]

إن يكن «مظهر» يا زيـ ـنب، ربّ المعجزات
مِبْضعٌ يأسو ويشفي في الأكف الشافيات
وفتى كالملَكِ السا حر حلوُ الكلمات
وله مجد المجدّ ين وأقدار الثقات
فوق أخلاق كريما ت رقاق محسنات
إنه يَشفِي... وتَشفِي زينبٌ بالبسمات
أبداً دأبكما الخا لد بعثٌ للحياة
ومسير الرحمة الكبـ ـرى كما في النسمات
فاهنا... إنكما حـ ـقّاً سواء في السمات

تحية لضوحية

إليكِ يا ضوحيتي ابعث بالتحيةِ
تحيةً من قلمي ومثلَها من مهجتي
إنك كالزهرة في جمالها والرِّقة
تقبّلي من روضة الأ شعار خيرَ زهرةِ
عبيرُها خواطري وملؤُها محبتي

حبان[1]

كرقة طبعك، كالنسمة
ومن شاطىء البحر، ضَوْحِيَّتي
أزف إليك جميلَ البيان
وأُوجزُ حبيَ في لفظةِ
أحبكِ حُبَّين... حب ابنتي
وحبيَ لما فيك من رقة

في معبد[1]

دنا الموعدُ والغرفـ ـةِ وكر للمواعيدِ
وجاءت ربّة الحسن كمزمور لداوودِ

* * *

فرفّ البشرُ في الصمت الـ ـذي خيم في الغرفهْ
وثارت حيرتي الهوجا ء بين الفجر والعفهْ

* * *

وثارت... آه من ثور ة هذي اللهفة الحيرَى
هنا الحسن الذي يدعو ك في بسماته السكرى

* * *

وهذا الجسم يا ظمآ ن في دارك كم يغري
أطهراً تدعي اليوم؟ فماذا نلت من طهرِ؟

* * *

هنا الحلم الذي أبصر تَ في غفوة حرمانكْ
هنا الكأسُ التي تزري بما جمّعت في حانكْ

* * *

هنا اللهبُ الذي جُسّـ ـد في نهدٍ وفي ساقِ
على مذبحه المعبو دِ قدم طهركَ الباقي

* * *

نداءٌ بين عينيك كهذا الليل مجهولُ
يجاوبه حنينٌ ثا ر في قلبيَ مخبولُ

* * *

فقلت الليل يا من كنـ ـت عند الليل قربانا
لنغرقْ في دخان الجسـ ـمِ أشجاناً وحرمانا

* * *

فنام الضوء خجلانا على مصباح نشوانِ
قريرا لا تنبهه سوى أنات تحنان

* * *

وكان الليل مرتميا على النافذة الوسنَى
تلصّصَ خلسةً يرنو إلى معبدنا الأسنى

* * *

فشاع السرُّ بين الليـ ـل والأنجم والزهرِ
وإذ بالفجر بساما إلى إلفين في خدرِ

* * *

لمن الصمت؟[1]

لمن الصمتُ والفؤاد المشرّد اين من اسكر الربى حين غرّدْ؟
طائر. أم رأت عيون الأماني حُلُماً مثل غيره قد تبددْ
أم قناع قد مزقته الليالي عن هوى دون طائل فتجردْ
وبدا شاحباً كيوم قتيلٍ لم يكد يلثم الصباحُ الموردْ
ليتشعري،إلام إطراق رأسي وانحنائي على جريح موسدْ؟

القرية[1]

حبذا الريف والخلائق فيه ضاحكات الوجوه تفترّ سحرا
من يراه وقد تبيّن فيه زمراً في الزّحام تحشر حشرا
يحسب الضيق آخذاً في حماه بخناق، ويحسب القوم أسرى
وهم النور والمحبة والقلـ ـب طليقاً مع النسائم حُرا
منظر تلمح البساطة فيه وترى طيبةً وبشراً وطهرا
منظرٌ تلمح السعادة فيه لا تقل لي أرى شقاء وفقرا

انظر الجرة التي خلفوها وانظر النيل ضاحكاً مفترا
عبدوا النيل مذ قديم وألقوا كل عام له عروساً بكرا
مصر سحر ورقة وصفاء لِمَ لا يعبد المحبون مصرا؟

عازفة البيانو[1]

ليس البيـانو الـذي راحت تحركـه
يـداك، أطوعَ من قلبي وأفكـاري
لمستِهِ فتمشّى السحر بي، فكمـا
تـهـتـز أوتـاره تـهـتـز أوتـاري

سرب من الحور[1]

سـرب من الحـور الفـوا تن كـالـزهـور نـواضـر
ألـهـمـنني وأحـطن بي فجـرى بشعريَ الخـاطر
ألـهـمـنني وشككن بي ونـسـين أنـي شـاعـر
فـإذا اعـتـرفن فـإنـني لـلـفـضـل دومـاً ذاكـر
وأنـا لـ «فـلّة» عـارفٌ وإلـى «أمينـة» شـاكـر

سباق

فـجـرٌ أطـلّ علـيّ بـالإشـراقِ
والقلب يحفـزني لـيـوم تـلاقـي
فطردتُ ثقل السهد لا ثقل الكرى
قـلبي بـوثبتـه يـسـابق سـاقـي
عينـاي أم قلبي أم القـدم التـي
حثّت خـطاهـا في مجـال سباق
هـذا قليـل قـد شـرحت دفينـه
وعلى ذكـائـك أنت فهم البـاقي

* * *

فجر جديد

فجرٌ جديدٌ حالم خفاقْ لما يزلْ في عالم الآفاقْ
توهان في غمم الدجى قلقُ
بحنينه.. بالحب... بالأشواقْ
ويود لو ضاق الظلام به فيهب مندفعاً من الأعماقْ
متحرراً من قيد ظلمته يرنو بعمق الروح. بالأحداقْ
فيحس لا شيء ينازعُهُ ويحول عنه السكون إذ ينساق
لا شيء ملتفا يعانقه غير السنا في ضوئه البراق
فيغيب في أحضانه ثملاً ويعب من فيض الهوى الدفاق
بانت له الدنيا على قلق «مشتاقة تهفو الى مشتاق»

نحو المجد[1]

يا أم مَن تستصرخين؟ من الذي
قدح اللظى الموّار في عينيكِ؟
يا أم هل تمشين نحو النار، أم
فُتح الوغى ومشى الجحيم إليك؟
ما حلَّ بالحرية الحمراء؟ هل
سال الدم القاني على قدميكِ؟
يا ويلها من صرخةٍ مجنونةٍ
ضجتْ لها الآفاقُ من شفتيكِ
لا تجزعي يوم الفداءِ فكلنا
مهج تحلق كالنسور عليك
فتلفتي تجدي عرينَكِ عامراً
وتسمّعي، كم قائل لبيكِ
وقف الشباب فداء محراب الحمى
وتجمّع الأشبال بين يديكِ

والصقر تاجك، تاج فرعون الـذي
جعـل الشموسَ الـزهرَ في كفيـكِ
والمجدُ تاجُكِ والسهى لك موطنٌ
والشهـبُ والأقمـارُ فـي نعـليـكِ
يـا مصر أنت الكـونُ والدنيـا معاً
وعــظائمُ الأجيـالِ فـي تــاجيـكِ

قدر[1]

لا تُدمني نظراً إليّ ،فوالذي جعل الهوى قدراً على كفيك
ما تلتقي عيني بعينك لحظةً إلا رأيت صباي في عينيكِ

اعتذار[1]

أبــعــث الآن اعــتــذاري وأنــا
حــاضـرٌ بــالقلب والـروحِ معــكْ
لــك ظـلٌّ مقتفٍ في خــاطـري
حيثمــا ســرتَ مضى فــاتبعــكْ
أنــا لا أومــن بــالــبــعــد ولا
أحسب المقـدور مني نـزعــك
أنـت لا تـبــرح عــيـنــي، فـلذا
لا تــراني اليــوم فـيمـن ودّعــك

فرحتان[1]

قد زُرتُ أيكك بعد أن طال النـوى
وإلـيــه كنـتُ مـحـلقـاً بـخيــالي
يا من جروا في البال، ما برحوا به
أتــرى جـرينــا عنـدكم في البــال؟
عهــد مضى بين الهــواجس والمنى
والـنـفس بـيـن تـعـجـب وسـؤال

حتى رجعت كـأنـما رجـع الصبـا
لي بـالازاهـر والـربيـع الـحـالي
فـإذا بـقـلبـي فـرحـتـان، فـهـذه
بلقـاك أنت، وفـرحـة بـ «جـلال»

مداعبة[1]

يا قرّة العينين يا «تملي» يا واسع التدبير والحيل
يا خالع الضرسين في سنة ومعقم الآلات في «الحلل»

في رثاء مطران

يـا نفس إن راح الخليـلُ وعنـده
ورد الخليـلِ فعجّلي بـرحيلي
حملوا على الأعـواد فنّاً خـالـداً
وارحـمتـاه لـكـوكبٍ محـمـولِ
هـو مصـرعٌ للعبقـريـةِ روّعتْ
في عـرشِها والتـاجِ والإكليـلِ

يا بحر[1]

يوم أبحرتُ فوق متنكِ تهوي بيَ امواجك الغضاب وتعلو
راعني حولُك الرهيب فخارت عزماتي ولم يعد ليَ حول
وترنحتُ بين جنبيك تلهو بي فتطغى آناً وتهدأ آنا
كانت القطرة الضئيلة من لُـ ـجك أمضى مني وأخطر شانا
وأنا اليوم أجتليك من الشاطىء جي الأمواج مثل الجبال
فإذا بي أثور مثلك يا بحـ ـر وتنزو الأمواج في أوصالي
هو روحي الذي يحاكيك في البأ س ولكن يؤوده عبء جسمي

فإذا ما اجتلاك والجسم غفلا ـن توخّاك في مضاء وعزم
هو روحي الذي يحاكيك يا بحـ ـرُ ويخشى قلبي الجزوع أذاكا
ضعضع الجسم عزم روحي المُعَنَّى يا اخا الروح بُث فيه قواكا

الربيع (1)

مـرحى ومـرحى يـا ربيـع العـامِ
أشـرق فـدْتـك مشـارقُ الأيـامِ
بعـد الشتاء وبعـد طـولِ عبـوسه
أرنـا بشـاشـةَ ثغـركَ البسّـامِ
وابعث لنـا أرجَ النسيـمِ معـطراً
متـخـطراً كـخـواطـر الأحـلامِ

تحية (1)

(للأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه)

متى نلتَهـا كـانت لأنفسنـا منَى
تلفتْ تجـد مصـراً بـأجمعهـا هنـا
وما بعجيب موطن البدر في العلى
وما بجديـد أن يرى الأفقَ مسكنـا
ولكنَّ قلب الحـر تعـروه نشـوةٌ
فيثني على الآلاء وضاحـة السنـا
إذا أخـذ البـدرُ المنيـر مكـانـه
ومُـلِّكَ آفـاقَ السـمـا وتـمـكـنـا
فـذلـك تكـريم الـربيـع لـروضِـهِ
جـلاهـا الأبـاظيـون وارفـة الجنى

أجلْ روضة صارت لكل عظيمة
وللفضل والآداب والعلم موطنا
وميدان سباقين للمجدِ والعلى
إذا اشتجرت أخرى الميادين بالقنا
من الأدب العالي إذا راح سيد
غدا آخر نحو اللواءِ فما ونى
عصيُّ القوافي سار نحوك مسرعاً
ولبّاك من أقصى الفؤاد وأذعنا
وأنت الذي فك القيودَ جميعَها
عن الشعر تأبى أن يهان فيسجنا
إذا المعدن الصافي دعا الشعرَ مرةً
بذلنا له من أجود الشعرِ معدنا
دسوقي إذا أقللتُ فأقبل تحيتي
فما أنا شاديهم ولا خيرهم أنا
ولكنني صوت المحبين كلهم
ومن روضك الغالي وبستانهم جَنَى
فراش على مصباح مجدِكَ حائم
وأي فراش من جلالك ما دنا
وإني صدى الهمس الذي في قلوبهم
فدعني أقم عما يكنون معلنا

البندر(*)

أنظر وجوهَ القومِ غرّ تهـا بزينتهـا المدينهْ
مسكينه بلهاء لا تدري الزمان ولا فنونهْ
يا من يغرِّبها إذا أرست لصاحبها السفينهْ
الأفق مضطرب الحوا شي والسماء بها حزينهْ
لا تحسن الدنيا إذا ما المرء جن بها جنونهْ

وطغتْ منـافعـهُ عـليـ ـه وضـرن دنيـاه ردينـهْ
العيش حيث الحب، حيـ ـث العطف صاف والسكينهْ

دعابة[1]

قد هنأوك بمجد الاسباني فمتى تكون مصارع الثيرانِ؟
أمنحت أوسمة، ومجدك أول ماذا يهمك من وسام ثان؟
إني أهنيك الغداة لأنني أهواك من قلبي ومن وجداني
إن المقطم والزمان كليهما الخالدان، وكل شيء فان

عيد «سونيا»

يا أبا الأشواق غنِّ وانقل الألحان عني
إن «سـونيـا» ذات حسن ضـارب فـي كـل فـن
إيه «سونيا» هجتِ شوقي وشـجـوني والـتـمـنـي
إن تـغـنـيـنـي فـإنـي طـائـر في كـل غصن
إنـني بـالـحـسـن أدعـى وأغـنـي كـل حـسـن
إيـه «سـونيـا» ذاك يـومي فـاسكبي لي، لا تضني
أفـرغي سحر الهـوى في خـاطـري من كـل دنِ
إنـمـا عـيـدك عـيـنـدي وهـو يـوم فـوق ظـني
لا أهـنـيـك.. ولـكـن كـل مـخـلوق أهـنـي

كيف أنساك؟

إيـه «سونيـا» أنت الرضـا والحنانْ
كيف ضاعت بك الليـالي الحسانْ
وغـداِ الـدهـر لحظة من سـلام
وإذا كـل مـا عـليـه أمـانْ
لا أرانـا فيـه خُـدعنـا إذا مـا
بـك عـز الهـوى وفـات الهـوانْ
كيف أنسـاك إذ نسيتُ شقـائي
وعـذابي، ولـيس بـي أشجـانْ
وإذا بـي أرى لـعينيـك دنيـا
خيـر مـا فكـرتْ بـه عينـانْ

خشوع

جمالك الهادىء الرزين   وسحرك الواضح المبينْ
ابدع ما مرّ في خيالٍ   وخير ما أبصرت عيونْ
وسرّه أنتِ تجهلينْ   وكيف لو كنت تعلمينْ
وكيف أضنى القلوب منا   وكيف جئناه طائعين
وكيف نلقاك في سرور   وكيف نلقاه خاشعين

دنيا

إيه «سونيا»... إيهِ سونيا   أنت دنيا... أنت دنيا
أنت دنيا الحسن لكـ   ـنَّ سماواتك عُليا

بك يلقى القلب ريّاً وبك الأنفاس تحيا
قد نسينا وطوينا كل ما قبلك طيّا
كل من يلقاك لا يذ كر في الأيام شيّا
غير «سونيا» . . إن «سونيا» هي دنيا، أي دنيا!

تذييل

الدكتور ابراهيم ناجي
١٨٩٩ - ١٩٥٣

بقلم سامي الكيالي

- ١ -

حين واجه أدبنا المعاصر معركة «القديم والحديث» في الفترات التي مرت عقب الحرب العالمية الأولى، وبين العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن، تناولت المعركة فيما تناولته، قضية الشعر الذي رأى القدماء أن يسيروا على النهج القديم، وأن يظلّوا مشدودين الى الماضي بكل ألوانه، بينما رأى المحدثون، أن لا يقفوا هذا الموقف، وأن يساير الشعر تطورات الحياة المتعددة الجوانب، المتباينة الألوان.. ولم يكن «الشكل» موضع الجدل كما هو اليوم بل انصبّ الأمر على «المضمون»..

وكان عمالقة الشعر الذين جددوا الديباجة بعد البارودي وفي طليعتهم شوقي وحافظ والمطران، قد أطلوا اطلالة جانبية على منازع الحياة، وان ظل أكثر الشعراء مشدودين الى الماضي بشتى مظاهره وتياراته.

وكان خليل مطران بحكم ثقافته الغربية قد ألزم نفسه قبل نشوب هذه المعارك، بنزعات اتّسمت باسمه كرائد من رواد التجديد وصاحب مدرسة في الشعر حين قال:

«... ان خطة العرب* في الشعر يجب حتما ألا تكون خطتنا بل لعرب عصرهم، ولنا عصرنا ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا، ولهذا وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا لا لتصورهم

وشعورهم، وان كان مفرغا في قوالبهم، محتذيا مذاهبهم[1]».

وكان في طليعة مثيري المعركة، العقاد والمازني وشكري، حين أصدروا «الديوان» سنة ١٩٢١[2]، حيث أثاروا موضوع «المضمون» وهاجموا الأساليب القديمة، واعتبروا أكثر الشعراء مقلدين، أبعد ما يكونون عن التجديد، وقد حصروا دعوتهم في النقاط الآتية:

١ ـ الدعوة الى تخليص الشعر من صخب الحياة وضجيجها والتعبير عن الذات.

٢ ـ الدعوة الى الوحدة العضوية للقصيدة بحيث تكون عملا فنيا تاما يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه، والصورة بأجزائها..

٣ ـ التحرر من القافية الواحدة، والدعوة الى تنويع القوافي، أو ارسالها.

٤ ـ العناية بالمعنى وادخال الأفكار الفلسفية، والتأمل في قصائدهم ونفثات صدورهم.

٥ ـ تصوير لباب الأشياء وجوهرها والاهتمام بهذا الباب، والبعد عن الأغراض.

٦ ـ تصوير الطبيعة والغوص الى ما وراء ظواهرها.

٧ ـ التقاط الأشياء البسيطة العابرة والتعبير عنها تعبيرا فنيا جميلا يبعث فيها الحياة.

وقد حاول هؤلاء الرواد شرح مذاهبهم في كل مناسبة تعن لهم، ومن مقدمات دواوينهم ومقالاتهم في الصحف والمجلات، ومن مناقشاتهم ومساجلاتهم الأدبية، ومن مجموع نظراتهم في الشعر والحياة.

... وكان عبد الرحمن شكري أوسع من زميليه في

شرح نظريته التي انطوت على النقاط الآتية:

١ ـ يمتاز الشاعر العبقري بذلك الشره العقلي الذي يجعله راغبا أن يفكر كل فكر، وأن يحس كل احساس.

٢ ـ الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة وشرح عواطف النفس وحالاتها والفكر وتقلباته، والموضوعات الشعرية وتباينها، والبواعث الشعرية.

٣ ـ التشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير، وانما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة، أو بيان حقيقة.

٤ ـ ان أجل الشعر ما خلا من التشبيهات البعيدة والمغالطات المنطقية.

٥ ـ أجل المعاني الشعرية ما قيل في تحليل عواطف النفس ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم.

٦ ـ الشعر هو ما أشعرك وجعلك تحس عواطف النفس احساسا شديدا، لا ما كان لغزا منطقيا، أو خيالا من خيالات معاقري الحشيش، فالمعاني الشعرية هي خواطر المرءوآراؤه وتجاربه وأحوال نفسه وعبارات عواطفه.

٧ ـ قد يغري العبقري باستخراج الصلات المتينة الصادقة بين الأشياء فتقصر أذهان العامة عن ادراكها.

٨ ـ ان قيمة البيت في الصلة بين معناه وبين موضوع القصيدة، لأن البيت جزء مكمل، ولا يصح أن يكون البيت شاذا خارجا عن مكانه من القصيدة، بعيدا عن موضوعها.

٩ ـ ينبغي أن ننظر الى القصيدة من حيث هي شيء كامل لا من حيث هي أبيات مستقلة.

١٠ ـ مثل الشاعر الذي لا يعنى باعطاء وحدة القصيدة حقها، مثل النقاش الذي يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التي ينقشها من الضوء نصيبا واحدا، وكما أنه ينبغي للنقاش

أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظلام في نقشه، وكذلك ينبغي للشاعر أنّ يميز بين جوانب موضوع القصيدة، وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير، وكذلك ينبغي أن يميز بين ما يتطلبه كل موضوع، فان بعض الشعراء يقسم الشعر الى شعر عاطفة، وشعر عقل، وهي مغالطة غريبة، اذ أن كل موضوعات الشعر تستلزم نوعا ومقدارا خاصا من العاطفة[1].

وردد العقاد والمازني نفس هذه الآراء والاتجاهات، وقدموا للقارىء العربي دواوين مختلفة تضمنت الكثير من القصائد الفلسفية، الى تصوير الكثير من منازع الحياة وان خلا أكثرها من موسيقى الشعر وايقاعاته، ومن ضروب جزالته ورقته.

لقد أحدثت هذه الآراء ثورة في محيط الشباب وقد اطلع أكثرهم على أدب الغرب واستمتعوا بقصائد شعرائه، فنهجوا نهجا يغاير ما سار عليه اولئك العمالقة، نزعوا الى التجديد في المضمون وخرجوا الى حد ما، او خرج أكثرهم عن الأسلوب التقليدي المتبع في المديح والرثاء، وفي الفخر والهجاء، والنسيب المخنث الذي لا يعبر عن هواجس القلب، عبّوا من الحياة شتى ألوانها، ما صفا منها وما كدر، وعبروا عن هواجسهم الذاتية دون ذلك الحرج الذي كان يتحاشاه من سبقهم مراعاة للتزمت الذي كان يسود محيطهم.

من هؤلاء الشعراء الذين أطلق عليهم لقب شعراء «المدرسة الحديثة» الدكتور ابراهيم ناجي، وعلي محمود طه المهندس، وحسن كامل الصيرفي، ومحمود حسن اسماعيل، وصالح جودت، ومختار الوكيل وغيرهم وغيرهم كثيرون...

وقد أفادوا جميعهم من وهج الثورة التي أشعل نارها شكري والعقاد والمازني وساروا يطرقون أبوابا تمس صميم الحياة والفكر والمجتمع . . .

وبعد ثورة الديوان جاءت مدرسة «ابوللو» وهي التي دعا الى تأليفها سنة ١٩٣٢ـ الدكتور احمد زكي أبو شادي باسم جماعة ابوللو، وأصدر مجلة باسمها، وقد فتحت صدرها للشعراء الشباب من شتى الأقطار العربية فأخذوا ينفثون عن همومهم وهواجسهم بحرية وانطلاق.

وكان الدكتور ابراهيم ناجي أحد أركان هذه الجماعة وكانت الحركة الفكرية في نمود مطرد

وبرز اسمه بين شعراء المدرسة الحديثة كشاعر مجدد، يختلف في رسم تأملاته الفلسفية ونزعاته وأدبه الوجداني عن الكثيرين.

ونحاول بعد هذه التوطئة، أن نرسم صورة صادقة عن مراحل حياته وعن أدبه وشعره. . .

- ٢ -

ولد ابراهيم ناجي يوم ٣١ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٩٨، أي انه من مواليد سنة ١٨٩٩، وما كاد يحبو الطفل حتى أرسل الى مدرسة المحلة وما كاد يلم وهو في الخامسة من عمره، بأوليات الكتابة والقراءة حتى أدخل المدرسة الابتدائية حيث قضى فترات الدراسة بتفوق ملحوظ ونال شهادته ١٩١١.

ومن الإبتدائية الى الثانوية ـ المدرسة التوفيقية في شبرا ـ كان الطفل قد مال بسجيته الى الأدب.

أخذ يقرأ كا ما تصل اليه يده من مكتبة أبيه التي كانت

مليئة بشتى أنواع الكتب- كتب الأدب وكتب العلم- .

ولكن كانت نزعته الى كتب الأدب أغلب. . أخذ يقرأ القصص وبعض دواوين الشعراء، ولا سيما شعر شوقي وحافظ.

وقد شعر أنه، وهو تلميذ، يدخل عالما جديدا لا تزال آفاقه بالنسبة اليه شبه غامضة.

كانت ذاكرته تلتقط أبياتا من هنا وهناك، فيحفظها بفهم تارة، وبدون فهم تارة أخرى.

وكان لتوجيه والده أثره في نفسه حين كان يقص عليه قصص الموهوبين من العلماء والأدباء.

وقد تفتحت موهبته على قول الشعر وهو في منتصف العقد الثاني من عمره.

ففي هذه السن تضطرم في جوانح الانسان الكثير من الأحاسيس، ولا شيء ينفث عن الكبت ويطفىء النار المشتعلة غير البوح. ونقرأ في دواوينه أكثر من قطعة تعبر عن شعر الصبا:

كلانا حزين فلا تجزعي
ودمعك تسبقه أدمعي
وان كان بين ضلوعك نسار
فنار الصبابة في أدمعي
وان كان نجم هنائك غاب
فنجم هنائي لم يطلع

ويقول في قطعة أخرى:

هل أنت سامعة أنيني
يا غاية القلب الحزين

يــا قــبـلة الــحـب الــخـفــي
وكــعــبــة الأمــل الــدفــيــن
انــي ذكــرتــك بــاكــيــا
والأفــق مــغــبــر الــجــبــيــن
والشمس تــبــدو وهي تــغــرب
شــبــه دامــعــة الــعــيــونِ
أمسيت أرقبهــا على صــخــر
ومــوج الــبــحــر دونــي
والــبــحــر مــجــنــون الــعــبــاب
يــهــيــج ثــائــره جــنــونــي
ورضــاك أنــت وقــايــتــي
فــاذا غــضــبــت، فمــن يــقــيــنــي؟

إن الكثير من المقطوعات جاءت في هذه المرحلة، وهي المرحلة التي يمر بها كل شاب تضطرم في جوانحه جذوة الحب.

بعد أن أمضى دراسته الثانوية تطلع إلى أفق أوسع- الى الأفق الجامعي- الذي يكوّن الانسان تكوينا يجعله انسانا يواجه مصاعب الحياة بعزيمة وايمان. . .

أينتسب الى كلية الآداب أم الى كلية العلوم؟

انه في حيرة، وهي حيرة يواجهها كل شاب في هذه الفترة. . ويلعب القدر دوره أحيانا في هذا الاتجاه. . ويرسم لنا ابراهيم ناجي القنى الذي خامره في هذه اللحظات التي خططت مستقبل حياته بقوله:

«. . . كانت نزعتي للأدب طاغية، وكنت أعد نفسي لمستقبل أدبي ولم تكن عندي أية فكرة من الناحية العلمية الرياضية، غير أن الأقدار تلعب دورها بدون أن تعلَم. . .».

«ففي السنة التي قررت فيها أن ألتحق بالقسم الأدبي، أرسل الله لنا معلما سوريا، لم يكد ينظر اليّ، حتى توسّم فيّ شيئا لا أعلمه، جعله يؤمن بأنني قد أكون نابغة في الرياضة، فوجه اهتمامه لي، وكان قاسيا جدا، اذ كان يضربني ويشتمني، وكثيرا ما دخل الفصل وهو ثمل، ثم أخذ يبسط هذا الظل بالضرب والشتم واللعن، وأنا صابر لا أتفوه بكلمة....»

«.... وكان رحمه الله طيب القلب، يخفي وراء هذه القسوة نفسا من الذهب، فكان يلاطفني بعد قسوته، ويمد يده إليّ بواجبات خاصة منه، ثم يعود في اليوم التالي ويسألني في خشونة:

- هل عملت الواجبات؟..

ولم أخيب ظنه مرة واحدة- وقد كان تقدمي سريعا جعله يزهو ويفخر بي، ثم أخذت قسوته تختفي وهو يقول:

اطلع يا ناجي، واشرح لهم التمرين...

لقد كان تأثير هذا المعلم في مستقبلي كبيرا، فقد غيرت التحاقي بالقسم الأدبي، والتحقت بالقسم العلمي، ولتقدمي وتفوقي دخلت كلية الطب.

- ٣ -

حين انتسب الى كلية الطب دخل عالما جديدا يغاير عالمه الأدبي ووطن النفس على مغالبة مصاعب هذا العالم، انه ذكي، ولا بد للانسان في هذه الفترة من مهنة، ومهنة الطب من المهن الشريفة حسبها انها تنقله الى شتى العوالم...

ومرت السنة الأولى بكثير من الصعوبة.. ثم بدأ يأنس بجو الدروس في السنة الثانية ويحدثنا عن هذه الحقبة من

حياته بقوله:

«أخذت أدرس الطب على طريقة فنية، فقد كنت أبتدع لرفاقي الصور، وأخترع لهم من فنون الكتابة ما يعينهم على الحفظ، وظللت كذلك الى الساعة التي أكتب فيها هذا، أزاول الطب كأنه فن، وأكتب الأدب كأنه علم، أي أراعي فيه المنطق والتحديد والوضوح. . »[1].

وما زال الى أن اجتاز سنواتها بتفوق ملحوظ فظفر بشهادة الدكتره سنة **١٩٢٣** وعمره أربع وعشرون سنة، وأصبح طبيبا مرموقا بين الشباب، وحين طرق باب الوظيفة عين طبيبا للأنكلموسوما يعيش في مضارب الخيام بكل بقعة موبوءة من الريف.

ولم يشأ وهو الشاعر الأديب الذي عاش في أجواء القاهرة ومنتدياتها، أن يهجرها الى البقاع الموبوءة في الريف، فافتتح عيادة ونجح. وظل الأدب هوايته المفضلة، وبدأ يمطر الصحف والمجلات بأحاديثه ومقالاته وبقصائده ومقطوعاته. . واذا هي شيء جديد، شعر وجدي يحمل في طياته بذور نزعات انسانية وتأملات فلسفية في طبيعة الحياة والكون، فهو روح هائمة وقلب حساس يفيض بالشعور والألم هذا الشعور الذي لم يفارق قلب الطبيب الشاعر حتى في احدى الفترات الصعبة التي مرت به وهو يؤدي فحصا في المشرحة. .

وقد روى صديقه الأستاذ صالح جودت هذه الحادثة التي سمعها منه. . . :

« . . . دخل يوما لأداء الامتحان في المشرحة، وجيء له برأس امرأة ماتت لتوها، وكان الأستاذ الممتحن هو العلامة الراحل الدكتور علي باشا ابراهيم وقد كان رحمه الله، فوق مكانه كجراح نابه، أديباً وفناناً بالسليقة. .

وسأل الأستاذ تلميذه:

- هل تستطيع أن تشخص المرض الذي ماتت به هذه السيدة. . ؟

فارتبك التلميذ ولم يرد جوابا.

فقال له الأستاذ:

- عيب يا ناجي.. أنت شاعر. . . انظر الى وجهها وعينيها. .

فراح الشاعر يتأمل وجه المرأة، فإذا هو شاحب شحوبا جميلا ثم راح يتأمل عينيها فإذا بهما حزن عميق وجاذبية يحوطها سياج من أهداب أطول من الأهداب المألوفة. . .

- لقد ماتت بالسل.

وأجاب الأستاذ:

برافو يا ناجي، حسبي منك هذا.

ونجح بتفوق. . .

- ٤ -

كان يمارس مهنته بروح انسانية، وكثيرا ما كان يدفع للفقراء المعوزين ثمن الدواء من جيبه.

وقد سمعت منه القصة الطريفة الآتية التي سمعها غيري أكثر من مرة وكانت موضع تندر:

قال: ان مريضاً قصد إليه في عيادته، وكان فقيرا فلم يؤد الأجر المفروض، واستقبله الشاعر وكشف عليه فلم يجد به داء الا الجوع، فأخرج من جيبه جنيها وقدمه للرجل وقال له:

ـ خذ هذا الجنيه واشتر به زوجا من الدجاج وكله، وستشفى باذن الله. . .

وخرج الرجل يدعو له:

وبعد اسبوع، صادف الرجل في الطريق فسأله:

كيف حالك الآن؟ . . .

على ما يرام يا دكتور. .

ـ هيه . . هل أكلت زوج الدجاج؟ . .

ـ لا . .

ـ اذن. . فيم أنفقت الجنيه؟ . . .

ـ ذهبت به الى دكتور عالجني من علتي وشفيت بحمد الله!!.

ـ ٥ ـ

ورغم غوصه في عالم الطب ومتابعة أحدث منجزاته وحضوره المؤتمرات الطبية ظلّ مرتبطا ارتباطا وثيقا بعالم الأدب، وبالشعر بصورة خاصة، ويرجع ذلك الى الجذور العميقة التي غرسها في نفسه أبوه وهو طفل. . . وقد روى مراحل هذه الفترة بقلمه قائلاً:

«. . ذات ليلة، منذ ثلاثين عاما، سمعت أبي يقص على أمي رحمها الله، قصة (أوليفر تويست) لشارلز ديكنز لا أزال أذكر تلك الليلة وهيهات أنساها. . .

وكان اخوتي قد انصرفوا الى مناجعهم، وكانت ليلة من ليالي الشتاء والريح تعصف، والمطر يقرع النوافذ بعنف، وقد سكن الحي سكونا تاما ولم أعد أسمع حتى صوت الخفير، الذي كنت أشعر له برهبة كلما دوّى نداؤه في سكون الليل.

وكنت طفلا كثير التفكير، وأصغي الى صوت المطر، والى عصف الرياح، فأطيل الاصغاء وأدمن التأمل، وابني في خاطري لنفسي قصة من قطرات المطر وعصف الرياح، وما أزال أمعن في تخيل القصة وسبكها حتى يغلبني النعاس..

في تلك الليلة استلقيت في فراشي وقلت لنفسي ان عصف الريح اعوال الشيطان، يضربونه في السماء بالسوط، وان هذا المطر دموع.. دموع.. وعلى هذه الصورة أخذ النوم يزحف اليّ ببطء فطرق سمعي صوت أبي يقص على أمي قصة، ويقصها على مهل وبصوت متهدج حزين.. وبين حين وآخر، أسمع صوت «نارجيلة» وأشم لها عبقا لا يزال في أنفي حتى اليوم.. فألقيت عني الغطاء وزحفت الى سرير أبي، فتلقاني بحنانه العجيب..

ومرت ليلة بعد ليلة بعد أخرى، حتى سمعت (أوليفر تويست) لآخرها، وطالما رأيت هذا الطفل المعذب في نومي، وطالما شكوت لأبي أن ثيابه الرثة تزعجني، فكان يضحك قائلا: عندما تراه مرة ثانية استوقفه لتعطيه ثوبا مما لديك.

ومرت سنتان، قرأ لنا أبي فيهما غير ديكنز.. قرأ كونان دويل وهاجارد وغيرهما.. فكنت أجرب في اخوتي طرق شرلوك هولمز، وأخيفهم بما عرفته من هاجارد عن السحرة في مجاهل افريقيا.

ومرت سنتان كذلك، وجاء يوم لا ينسى.

زفّ اليّ أبي أني نجحت في الابتدائية وسألني عما أريد أن يهديني اياه. قلت: كتاب. فتهلل وجهه واصطحبني الى مكتبة «ريمو» التي كانت قائمة في ذلك العهد بشارع «كامل» واشترى قصة «دافيد كوبر فيلد» لشارلز ديكنز، وأوصاني أن أقرأها كلمة كلمة، وأن أستعين به في فهمها، فصنعت...

وقد كنّا نسكن شبرا، وكانت شبرا منذ ثلاثين سنة بساطا أخضر شعريا بديعا تتوسطه ساقية وعلى حفافيه شجرات جميز وتوت، فكنت أمضي الى تلك المروج ومعي صديق تأملاتي، دافيد كوبر فيلد فما زلت به حتى قرأته مثنى وثلاث ورباع، وما زال بي حتى خلق مني أديبا وشاعرا. سامحه الله.

الحق اني لا أدري أأحسن اليّ القدر أم أساء؟. أبي كان يحبب ديكنز اليّ ليصقل شعوري ويزرع في الانسانية ويعلمني التأمل والملاحظة، أما ديكنز فقد حبب الي الأدب على الاطلاق، وأما دافيد كوبر فيلد فقد خلق مني شاعرا وجعلني أبحث لي عن «دورا» اخرى أشرب من عينيها كأس الحياة، وأتلقى من شفتيها أسرار الوجود، سامحه الله مرة ثانية، لقد عذبتني «دورا» هذه وشطرت روحي شطرين.

أراد أبي شيئا، وأراد ديكنز شيئا، وأراد دافيد كوبر فيلد شيئا، وأراد القدر أشياء غير هذه.

ما أظلم القدر، فقد شاء أن أكون طبيبا، وليس بالطب من حرج، وانما الحرج أن يكون الخيال مركبا في طبيعة الانسان، فاذا بالقدر يواجهه بالواقع ويصدمه.

وانما الحرج أن يكون الشعر مركبا في طبيعة انسان فاذا بالقدر يضعه فوق ألسنة المادة، ويزجه في الدائرة التي لا شعر فيها ولا خيال.

وانما الحرج أن تكون طبيعته أن ينصت الى أنات الروح، فيأخذه القدر الى حيث ينصت الى أنات الجسد، وشتان بين هذه وتلك.

وانما الحرج أن تجذبه طبيعته لناحية، ومهنته لأخرى، حتى يتمزق بين شد هذي وجذب تلك.

وانما الحرج أن نراه يلائم بين الضدين، ويوفق بين النقيضين، وأخيرا يلتفت فاذا نفسه أشلاء، واذا الذبالة تحترق والزيت ينضب، واذا معين القوة قد أشرف على الزوال، واذا الجبار قد مزق أوصاله ذلك النضال العنيف بين الغرائز والقدر، بين الميول والصروف، بين الخيال والمادة، بين الوهم والواقع، بين الروح والجسد[1].

هذه الكلمة النابعة من ضميره والتي تقص قصة تعلقه بالأدب منذ طفولته حيث استطاع أن ينظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره- تعطينا أكبر مثل على أن القدر الذي غرس في ذاته حب الأدب قد نمت مع الأيام فجعلت منه شاعرا وأديبا.

- ٦ -

وقد تساءل بعض الأدباء عن الشعراء الذين أثروا به، فمنهم من قال خليل مطران ومنهم من قال شوقي ومنهم من قال الشريف الرضي، ولم ينكر هو تأثره بهم، على أنه لم يقف عند هؤلاء بل لم يترك شاعرا من شعراء الغرب والشرق، أريد الاعلام منهم، الا قرأه، ثم رجع الى ذاته يفلسف الأشياء فلسفة جديدة ويصوغها شعرا موسيقي الايقاع يعبر أصدق تعبير عن حبه وشوقه ومواجيده والكثير من ظواهر الحياة والكون.

وأسأله مرة عن الشاعر الذي استهواه شعره وحياته أكثر من غيره، ولماذا؟.

وهو استفتاء كنت وجهته الى غير واحد من شعراء المدرسة الحديثة فكان جواب ناجي قوله:

هناك شاعران، وشاعران فقط درستهما جيدا، وأحببتهما حبّا صادقا كبيرا، وكان لهما أثر كبير في حياتي وتفكيري..

الأول: شكسبير، وقد حاضرت عنه كثيرا، ونشرت احدى محاضراتي في «الحديث» الشيء الذي يعجبني فيه أنه غير محدود، واسع كالفضاء، متغير كالطبيعة التي تجمع بين الجبل الأشم والفقاعة الصغيرة، وفوق ذلك فهو صادق، ولذلك أحببته لا كشاعر فقط بل كصديق، وسأقرأه أبدا ولا أمل قراءته . . .

الثاني : المتنبي ، والذي جعلني أحبه رجولته التي تبدو في كل بيت، وأحبه أيضا لأنه كان «انسانا» يتكلم عن لسان الانسانية بأجمعها، يشرح القلق المستمر في أعماقها، والعذاب الملازم لأعصابها، ويكشف كشفا عجيبا ذلك الطلاء المزيف الحقير الذي تستر به ذلك القلق والعذاب[1] .

- ٧ -

أصدر ناجي ديوانه الأول «وراء الغمام» سنة **١٩٣٤**، ضم قصائد ومقطوعات تعبر عن وجدانه الشاعري في الحب والجمال، وفي هذه المآسي التي تمر بالانسان، الى ذكريات وحرقات عن ظروف عاشها الشاعر مع اثيراته ومحبوباته، وهو صادق في التعبير عن شعوره أبعد ما يكون عن التهويل، تغمر قصائده رقة عاطفية، ونزعة انسانية، وشعور حب دافق، فمن وصف الحنين والمناجاة، الى تلمس اللقاء في الغد، الى ليالي الأرق، الى الشك أو القلق الذي يثير النفوس المنكوبة بنار الحب. . . ثم الى ساعة اللقاء . .

يا حبيب الروح، يا روح الأماني
لست تدري عطش الروح البكا
وحنيني في أنين غير فاني
للردى أشربه من مقلتيكا
آه من ساعة ىـث وشجون
وبـىاء لم يكن لي في حساب

وحديث لم يدر لي في الظنون
يا طويل الهجر يا مر الغياب
حل يا ساحر صفو وملام
بعد فتك البين بالقلب الغريب
ودنا روض وظل وغمام
بعد فتك النار بالعمر الجديب
مرت الساعة كالحلم السعيد
ومشت نشوتها مشي الرحيق
ذهب العمر. وذا عمر جديد
عشته من فمك الحلو الرقيق
مرت الساعة والليل دنا
والهوى الصامت- يغدو ويروح
وتلاشت واختفت أجسادنا
واعتنقنا في الدجى روحا بروح

ومن وصف الجمال الضنين، الى الناي المحترق الى «قلب راقصة»، وهي أروع قصائده الفلسفية التي تهز الضمير الانساني، وقد وصف مأساتها وصفا غاية في الحنو والواقعية، الى الكثير من هذه الموضوعات التي تتصل اتصالا مباشرا بالقلب والوجدان، وبالنفس والروح التي تثيرها عناصر الجمال!

وقد خلا ديوان «وراء الغمام» من شعر المناسبات والاخوانيات عدا بعض قصائد رثاء وهي ذات اتصال وثيق بشاعر مرموق.

هذا، واعتبر الأستاذ أحمد الصاوي محمد الذي كتب مقدمة الديوان- اعتبر ظهوره حركة وثّابة في عالم الأدب، لأنه الشعر الخالص للشعر، والحب الخالص للحب، والرحمة الخالصة للانسانية .

ويكاد يكون الديوان قصيدة واحدة، وقصيدة حب امتزج الشعر والحب في نفسه امتزاجا فصارا شيئا واحدا، كالذرات التي تبحث عن بعضها لتكون الوحدة الكاملة، فاجتمعت دون أن تدري كيف، وكونت روح الشاعر. .

وهو ليس شاعرا مستهاما فقط ولكنه مصور ومفكر ـ مصور بارع. . فالشاعرية فيه أصيلة. .

وأطلق عليه العقاد لقب «شاعر الرقة العاطفية» ونسبه إلى مدرسة الشعراء الظرفاء: ابن الأحنف، وابن سهل، والبهاء زهير، واخوانهم من شعراء «يتيمة الدهر» و «نفح الطيب»، نعرفهم بسيماهم في كل عصر وفي كل بلد، ويجمعهم لنا عنوان «الظرف» حيث كانوا بين مدارس عصورهم، فلا نخال أننا نتلقى ديوانا غير ديوان ناجي، فننافي هذا العصر اذا دعوناه بديوان الشاعر الظريف. . .

وقد ظلمه العقاد بهذه المقارنة، وهو أبعد ما يكون عن الشعراء الذين أشار اليَهم وان التقى كثيرا من حيث حرارة الوجد مع ابن الأحنف، وأفق ناجي في فلسفة الحياة وتصوير مباهجها ومآسيها شيء جديد في شعرنا المعاصر.

وليس هذا فقط بل اتهمه بالسرقة، يقول: «على أن أقبح ما في هذه المجموعة جرأة صاحبها على السرقة، ومن الأحباء ، ومنهم كاتب هذه السطور فيقول:

يا للقلوب لملتقى اثنين
لا يعلمان لأيما سبب
جمعتهما الدنيا غريبين
فتآلفا في خلوة عجب
عجبا لنا في لحظة صرنا
متفاهمين بغير ما أمد
يا من لقيتك أمس هل كنا
روحين ممتزجين في الأبد

وهي أبيات ان جردتها من فهاهتها الخاوية وجدتها خوذة من قصيدة «بعد عام» لكاتب هذه السطور ومنها:

مر عام منذ سرنا حيث سرنا
لا نبالي ما أتى أو سوق يأتي
منذ أن كنا غريبين فصرنا
كل شيء أنا في الدنيا وأنت

وكل من له ذوق شعري يحكم أن أبيات ناجي تصور حالة نفسية من واقعه وهي أبلغ في التعبير من شعر العقاد.. اذ ليس في البيتين هذه الفلسفة العميقة ليسطو عليها ناجي وهو الذي قرأ وهضم الكثير من شعر العمالقة في الشرق والغرب.

- ٨ -

ونقده الدكتور طه حسين نقدا قاسيا كاد يصرفه عن قول الشعر، واعتبر أشعاره حسنة، ولكنها أشعار صالونات، لا تحمل أن تخرج الى الخلاء فيأخذها البرد من جو النهار، كما أخذ عليه بعض المآخذ اللغوية، وقد تأثر ناجي وكان ينتظر من امام التجديد أن ينظر الى هذه الوثبة الجديدة نظرة ارتياح وتقدير فوجه رسالة اليه فيها دفاع حار عن أدبه وشعره، ولم يتمالك أن يفجر غيظه الذي كاد يدخل اليأس الى روحه، ووصل به الحال الى أنه قرر أن يهجر الشعر..

وقرأ الدكتور طه رده، وتأثر، ولم يتركه يتخبط في هذا البحر فسرعان ما مد له يده الآسية ومما جاء في مقاله:

«اني لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجي يعلن زهده في الشعر، لأني قدرت أن الدكتور ناجي ان كان شاعرا حقا فسيعود الى الشعر راضيا أو كارها، سواء ألححت عليه في

النقد أو رفقت به.

وان لم يكن شاعرا، فليس على الشعر بأس في أن ينصرف عنه ويزهد فيه.

وأنا منتظر أن يعود الدكتور ناجي الى جنة الشعر، فاني أرى فيه استعدادا لا بأس به، وأظنه ان عني بشعره واستكمل أدوات الفن خليقا أن يبلغ منه شيئا حسنا.

لا تجزع اذن يا سيدي من النقد، ولا تظن أن عمل الناقد أن يكون البناء دائما، فقد يكون من الخير أن تهدم بعض الأبنية التي تحجب الضوء والهواء، عن أبنية أخرى هي أحق بالبقاء» . . .

وانما عمله فيما أظن اقتلاع لبعض الأشجار ولبعض الأعشاب التي تفسد ما هو أحق منها بالبقاء وأجدر منها بالنماء، وأقدر منها على أن ينفع الناس.

ولست أدري لم يكون البستاني مصلحا حين يجتث الشجرة الفاسدة، أو يقتلع الأعشاب المهلكة لما حولها، ويكون الناقد مفسدا حين يرد عن الأدب قوما يدخلون في الأدب وليسوا منه في شيء، ولست أدري لم يكون البستاني مصلحا حين يشذب بعض الأشجار ويقص بعض الأغصان ويكون الناقد مفسدا حين يهذب ما يكتبه الكتاب والشعراء؟ . . .

كلا يا سيدي ، على الأدب بأس من النقد مهما يقس ويشتد، وانما البأس كل البأس على الأدب من النقد إذا لان وهان وأصبح تفريطا وثناء، واثارة للغرور، وتشجيا للدخلاء.

والأدب الذي لا يثبت للنقد العنيف لا يستحق أن يكون أدبا، ولا يستحق أن يعنى به أحد. .

أرأيت أني أحسن منك ظنا بالأدب والأدباء، وأجمل منك رأيا في الثقافة والمثقفين، أرى أدباءنا رجالا يستحقون

النقد، وتراهم أنت أطفالا يستحقون المداعبة.

هون عليك، فأما الزبد فيذهب جفاء، واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

ولقد عمد نقاد قساة غلاظ مسرفون في العنف الى بعض الشعراء والكتاب، فألحوا عليهم في النقد واشبعوهم تجريحا وطعنا، ولكن الأدباء مع ذلك ظفروا بالبقاء، وذهب نقد النقاد هباء.

فمن كان من أدبائنا خليقا بأن يبقى وينتج وينفع الناس، فليس عليه بأس منك ولا مني ولا من غيرنا، ولعله أن يظفر من الحياة والخلود بما لا نظفر منه بالقليل.

أما بعد، فاني أشكر لك يا سيدي ثناءك علي، وحسن ظنك بي وأترك أحكامك كلها على كتابنا وأدبائنا لك، لا أجادلك فيها ولا أحاورك لأن جدالك فيها ينتهي الى كثير جدا مما لا نريد[1].

وبالرغم من بعض الهفوات اللغوية والمآخذ التي أخذها عليه فقد قدر شعره أبلغ تقدير، ومن كلماته قوله:

«ليس الدكتور ناجي رجلا حسن البلاء صادق النية في حب الشعر فحسب، وانما هو فوق هذا كله موفق إلى حد بعيد فيما يحاول من ارضاء الشعر وأصحابه، موفق فيما قصد اليه من المعاني، موفق فيما اصطنع من الألفاظ، موفق فيما اتخذ من الأساليب معانيه جديدة تصل أحيانا الى الروعة. ألفاظه جيدة قد يعظم حظها من المتانة والرصانة، وأساليبه جيدة أيضا، عظيمة الحظ من الصفاء، لا يفسدها العوج، ولا يفسدها الالتواء في كثير من الأحيان.

شاعر مجيد، تألفه النفس، ويصبو اليه القلب، ويأنس اليه قارئه أحيانا، ويطرب له سامعه دائما.

من هؤلاء الشعراء الذين يحسن أن تستمتع بما في شعرهم من الجمال، كما نستمتع بجمال الوردة الرقيقة النضرة دون أن نشتط عليها بالتقليب والتعذيب.

هو شاعر هين. لين. رقيق. حلو الصوت. عذب النفس. خفيف الروح. قوي الجناح..

شعره أشبه ما يسميه الفرنجه موسيقى الغرفة منه بهذه الموسيقى الكبرى التي تذهب بك كل مذهب وتهيم بك فيما نعرف وما لا نعرف من الأجواء[1].

وهدأت نفس الشاعر، وعاد الى جواء المحبوب، يكتب وينظم وينقح العربية بنفحات كلها عبق وورد وزهور، وأنات نفس حزينة لما يصيب البشرية من أحداث يعرضها للآلام الجسام..

وكان من مآخذ الدكتور طه على الديوان اسمه فتساءل ما معنى «وراء الغمام» وأجاب ناجي على هذا بقوله:

« أنت يا سيدي تحاسب الشاعر لفظا لفظا وتتناسى أن هناك ما يسمى الاستعارة والمجاز، وعلى هذه الطريقة تساءلت: ما معنى «وراء الغمام»..؟

أما اذا قصدت معناها الحرفي، فليس لدي اجابة على سؤالك، واذا قصدت معناها الرمزي، فالاجابة لا تكلفني ولا تكلفك نصبا، فأنت تعلم أن كل المؤلفات الشعرية الأجنبية الحديثة جرت على هذه التسمية الرمزية، وبيدي كتاب للشاعر ييتس اسمه «السلم الملتف» فهل تقول ما علاقة السلم الملتف بالشعر. انها لتسمية سخيفة، فاذا حاسبته كما تحاسبني كنا عندك جميعا من سقط المتاع»..

وجاء شاعر الشام الأستاذ شفيق جبري، وهو أبعد ما يكون عن المعركة، ليحلل عرضا اسم الديوان وهو يكتب عن الديوان في مقال نشره في مجلة «الحديث» جاء فيه:

«لست فيلسوفا في اللغة، فلا أعرف شيئا من حياة الألفاظ كيف ولدت لغتنا، وكيف عاشت، وكيف ماتت طائفة من ألفاظها، وانما الذي أراه أن بين الغمام بمعنى السحاب، وبين الغم والغمة أو الغماء بمعنى الكرب صلة، فالمادة واحدة، ومن يدري فلعل بين الغمامة وبين الغم نسبة روحية، فهذه السحب في السماء تشبه هذا الكرب المزدحم على الصدر، فاذا صحت هذه الفلسفة اللغوية، وكان الدكتور ابراهيم ناجي يعلم بأن بين الغم وبين اسم ديوانه، وراء الغمام صلة روحية، إذا صح هذا كله فالدكتور ابراهيم ناجي شاعر حتى في هذا الإسم الذي اختاره لديوانه»[1]...

ثم تغلغل الى روح الشاعر، من خلال شعره، والتي تبدو ضاحكة بينا هي كئيبة حزينة فقال:

فالكرب الذي طبع عليه، قد طبع على مثله كثير من الناس، وأنا منهم، فالفرق بينه وبينهم، ان كربه يستره فرح ضاحك، وهم يجعلون كربهم على طبيعته، فاذا اشتد عليهم فلا يغطونه بغطاء أبيض، أي لا يلقون عليه ضياء يحجبه عن الناس، وانما أنسوا بسواده فهم يتحدثون بهذه الظلمة، وسواء عليهم أنفر الناس عنهم أم أنسوا بهم. أما الدكتور ابراهيم ناجي فإنه لا يريد أن يقف الناس منه على كرب، ولذلك فإنه يلقي عليه ضياء حتى لا يستوحش منه أحد الناس.

ولئن استطاع الدكتور ناجي أن يستر ظاهره، فلم يستطع أن يستر باطنه، فقد جاء شعره ريان بدمع عينه، مصبوغا بدم قلبه، ليس فيه الا الأنين والحنين في خلال هذا الدمع وهذا الدم يتراءى لنا جانب مشرق تغمره لغة صاحبة خيالات غوال، وأمان ذهبية، فكان لصاحب هذا الشعر روحان متفاوتتان، روح وهبها للناس وروح انفرد بها، أما الروح التي وهبها للناس فهي روح المرح والطرب والهشاشة والبشاشة، وأما الروح التي انفرد بها فليس لها نصيب من هذه

الحياة الباسمة، فما أشد عذاب هاتين الروحين، فهو مضطر أبدا الى التلون بلونين، لون متموج ولون كامد، أما اللون المتموج فليس لباطنه منه حظ، وانما الذين لهم هذا الحظ انما هم خلطاؤه الذين يأخذون من هذا الظاهر الجذل ما يصفو لهم، ويدعون الباطن الكئيب لصاحبه[1]..

- ٩ -

وتهدأ ثائرته، ويعود الى جوه المفضل- الى الشعر والفن وعالم الأدب الواسع الآفاق، والى السهر مع صحبه وأثيراته الجميلات اللواتي يدغدغن عاطفته ويلهمنه قول الشعر.

ولا يكاد يعيش هذا الجو المليء بالمبهجات حتى يفاجأ العالم بالحرب العالمية الثانية سنة **١٩٣٩**، وتقاسي مصر الأمرين، وتعيش في جو مكفهر كئيب.

وتمر الأيام مشوبة بالمرارة، ويكون أثرها قويا في نفس الشاعر الذي ينبض قلبه بكل ظاهرة من ظواهر الحياة.

يبتسم والغصة في قلبه.

ويكتب صور تلك الأيام من سجوف الفترات المشرقة مع أثيراته وصويحباته.

ويكون للأدب ديوانه الثاني «ليالي القاهرة» وهي القصيدة الأولى في الديوان وليست قصيدة واحدة بل صورة من ملحمة مختلفة الضروب والايقاع صور فيها الظلام العصيب الذي خيم على القاهرة فكان ظلاما متجاوبا مع قتام النفوس وحلوكة تجثم على الصدور.

ومع ذلك فكان الشعر متنفسه حين قال: انه النافذة التي أطل منها على الحياة وأشرف منها على الأبد وما وراء الأبد،

وهو الهواء الذي أتنفسه، وهو البلسم الذي داويت به جراح نفسي عندما عز الاساة هذا هو شعري:

أيا مصر: ما فيك العشية سامر
ولا فيك من مصغ لشاعرك الفرد
أهاجرتي: طال النوى فارحمي الذي
تركت بديد الشمل منتثر العقد
فقدتك فقدان الربيع وطيبه
وعدت الى الاعياء والسقم والوجد
وليس الذي ضيعت فيك بهين
ولا أنت في الغياب هينة الفقد

وغير ملحمة ليالي القاهرة، نقرأ ملحمة «الأطلال» وملحمة «السراب» وغير ذلك من الروائع المعبرة عن وجدانه وحبه، وعن ألمه وهواجسه، وهو امتداد في موضوعاته لديوانه «وراء الغمام».. لولا أنه تضمن قصائد ومقطوعات من شعر المدح والرثاء وحفلات التكريم وغير ذلك مما اقتضته طبيعة المجتمع وهو ذو مركز في وزارة الصحة وشاعر معروف، وكانت الواجبات والمجاملات تقتضيه أن يقول شعرا هو ابن ساعته، لا يعبر عن سجيته بقدر ما يصف هذه المهازل التي يكره عليها الشاعر أحيانا وان كان بعض هذه القصائد ترمز الى سجية الوفاء نحو أشخاص أحبهم وكانت لهم مواقف شريفة في صدّ الأذى عنه وتقدير مواهبه، وبالاجمال فهو شعر الصنعة لا شعر الطبع.

ولا مجال للتوسع في تحليل قصائد الديوان الذي يجد القارىء ألوانا جديدة في التعبير عن نوازع النفس ونبضات القلب، هذا وقد أنصفه الوزير الأديب ابراهيم دسوقي أباظة حين وصف خصائص شعره بقوله: هو شاعر رقيق، رشيق دقيق أنيق، تصل معانيه الى قلبك قبل أن تصل ألفاظه في

طلاوة وسهولة وعذوبة، وقد جمعت ديباجته بين ميزة القديم والحديث، وامتاز شعره بروعة الابتداء وجودة المقطع، وطالما سمعته شاعرا في المحافل، فوالله ما سمعت مثله يجمع الرقة الى الجزالة، والطلاوة الى الفحولة، والضخامة، فهو لا يترقب لفظا قد استدعاه من بعد، ولا يكابد عناء في الوصول الى معنى استعصى عليه، مع السلامة من التكلف، والبراءة من التعقيد، والبعد عن التشادق والتقعر والتنافر، وشعره مطبوع على الطرافة والابتكار، ولو كان الشعر مما يؤتدم به، لكانت قصائده نعم الادام لطالبي الأدب»...

وبعد ديوانه «وراء الغمام» و «ليالي القاهرة» جمعت بعد وفاته قصائده الوجدية في ديوان بعنوان «الطائر الجريح» يقول عنها الأستاذ محمد عبد الغني حسن انها انغام شاعر عاش حياته معذبا مؤلما، وعاش ظامئا الى الموارد حوله، وجائعا على وفرة الزاد عنده وميمما كالمسافر وثاويا كالمهاجر. ان ناجي في هذا الديوان يترجم في رقة وعذوبة عن آلام المحبين وآمالهم وقد علمه الحب- على ما فيه من صور الشقاء- ان يحب الناس والدنيا جميعا، فاتسع قلبه بكل طارق وابتسم ثغره لكل بارق..

والواقع، ان قصائد هذا الديوان تصور تصويرا بالغ الروعة أيام محنته وبؤسه. وفترات حبه وأشواقه ومواجده ولا سيما في الأيام التي قضاها مع «زازا» الحسناء الرشيقة والامرأة الشابة الطروب التي احبت ناجي من الأعماق وكان الأدب هو الذي ربط بين قلبيهما، ونترك للأستاذ صالح جودت الذي عرف عوامل هذه الصلة أن يروي القصة كاملة:

يقول:

«زازا» شابة وسيمة السمات، أنيقة الروح تعشق الشعر، قديمه وحديثه. وتحفظ الكثير من هذا وذاك، ولم تكن ذات مطمع كمطامع الغانيات فهي المرأة الوحيدة التي أحبت الشاعر.

كل همها في الحياة أن تكون الى جانب شاعر يحبها وتحبه.

وقد لعبت زازا دورا في حياة ثلاثة من الشعراء ـ قبل شاعرنا ـ كلهم جهير الصوت، واثير عند الناس. ثم انتهت الى شاعرها الأخير فوجدت عنده ما لم تجده عند الأولين من تفرغ لها. وهام بها الى جد انها كانت كل همه، وشغله في أكثر يوم من مطلعه الى مطلع اليوم الذي يليه.

ثم وجدت عنده ما لم تجده عند غيره من نزعة الروح دون الجسد، وأحسب انها وقد عرفتها عن كثب ـ كانت لونا فريدا من النساء لا تستهويه نزعة الجسد.

تلك «زازا» التي نشر الشاعر اجمل ما تظفر به من الشعر في ديوانه الأخير «الطائر الجريح».

وانما روعة هذه القصيدة انها تلم بالظروف التي كان يعيشها الشاعر في تلك الحقبة من عمره قسوة من الدهر، وقلة في العافية ونقص في المال، واستسلام مطلق الى اليأس.

ظلت «زازا» الى جانبه الى آخر ايام حياته تهبه حياتها وهي صبية وهو شيخ يقترب من الستين وهو فوق ذلك قليل الحظ من الجمال والصحة والفحولة.. مريض بذات الرئة، فما من شك أنها كانت تحبه حبا مثاليا لا غاية وراءه الا الحب في ذاته.

وعندما مات لم تحزن «زازا» ولم تلبس عليه السواد، وانما فعلت هذا لا عن جمود، بل عن فلسفة فوق فلسفة الأرض، وعن إيمان منها بأن الشاعر لم يمت كل ما حدث انه ذهب ولم يترك عنوانه، كما قالت في رسالة منها الى الشاعر أحمد رامي..

هذا، والدكتور ابراهيم ناجي الى شاعريته المخضلة، المتعددة الألوان، فهو أديب متفتح الذهن ملم الماما واسعا بالثقافة العالمية وبالأدب العالمي بصورة خاصة، وقد كتب المقال، وكتب القصة، وحاضر في مختلف الأندية، وتناول الأدب العربي الحديث على ضوء من هذه التطورات التي هزت الضمير البشري بعد الحرب العالمية الثانية، وله آراء وأفكار لم تعجب الجامدين من أنصار القديم، فعبر عنها بانطلاق، وهي آراء كان يعكس ألوانها على أحدث نظريات علم النفس، فالأدب صورة من الحياة في تطور مستمر، وبدهي أن يساير أدبنا هذه التطورات.

وقد كتب في هذا المضمار عدة أبحاث تناثرت في الصحف والمجلات، وقد اختصت «الحديث» ببعضها فمن أبحاثه «مشكلات العصر الحديث» و «الشعر العربي الحديث» و «سيكولوجية الأدب» و «الوعي الأدبي».. الى أبحاث عن «حياة شكسبير وعصره» و «فولتير» و «برغسون».. و «المدنية» و «سيكولوجية المرأة» و «الغريزة الجنسية» و«الضمير»و «الأقدار»، وغير ذلك من الأبحاث التي ان دلت على شيء فعلى أنه أديب متحرر من كل الرسوبات التي تحول دون تجاوبه مع تيارات العصر الذي نعيش في خضمه، وكان لهذا أثره الكبير في شعره الذي يجمع بين الجدة والانطلاق.

وأذكر أن شاعرنا ناجي حين اطلع على العدد الخاص الذي أصدرته «الحديث» عن توفيق الحكيم بقلم الدكتور اسماعيل احمد أدهم، رأى فيه فجوات لم تتناول حياته النفسية من كتبه، وهي ظاهرة جديرة بتناولها لتكتمل الدراسة، وحين أعددنا نشر الدراسة في كتاب طلبت اليه أن

يسد هذا النقص، وسرعان ما لبى الطلب وكتب دراسة واسعة ضمنماها الى الكتاب، وكان ثمة اختلافات كبيرة في وجهات النظر، وقد نشأ ذلك من اعتماد أدهم على طريقة استقرائية بحتة، اذ اعتبر الأشخاص والحوادث الممثلة في كتب توفيق الحكيم حقائق واقعية، بينما اعتبر ناجي أن توفيق الحكيم يعيش بعقله الباطن، ومن خصائص العقل الباطن الرمز والايحاء والاخفاء والتعمية . .

وهذه الدراسة- دراسة أدهم وناجي عن الحكيم- هي مرجع وثيق للذين يدرسون أدب الحكيم ومراحل حياته . .

وبعد فلا مجال للتوسع في الحديث عن مقالات ناجي في أدبنا إلمعاصر، فهي من السعة والشمول، ومن القيمة الأدبية بمكان فحسبي الالماع.

- ١١ -

عرفت ناجي بين الثلاثينيات والأربعينيات عن طريق اتصاله بـ «الحديث»، وكنت كلما زرت القاهرة التقيت به مع مجموعة من أدباء المدرسة الحديثة كنا نجتمع في المقاهي والأندية، ولا حديث لنا إلا الأدب ورسالة التجديد، وتلك الخصومات التي كانت تثور بين القدماء والمحدثين، وكثيرا ما أسهب ناجي في أحاديثه ونقده عن عقيدة وايمان، وهو متحدث بارع، يكاد يكون من أبرز أدباء «الشلة» . .

النكتة دائما على طرف لسانه، والشعر نفحة من فيض قلبه، فلا تمر ظاهرة من ظواهر الحياة الا لفتت نظره وعلق عليها بالنقد أو بالغمز واللمز، تنتهي به الى نكتة ظريفة، وسرعان ما تستحيل الى قطعة شعر. ولطالما كتب هذه المقطوعات وهو مع أصدقائه، يتركهم يتحدثون ويثرثرون واذا بصمته يستحيل شعرا، ولو أن هذه المقطوعات، وقد تناثر

أكثرها، لو جمعت لشكلت حيزا من ديوانه، وبعضها في المجون العف. نظم يوما الدكتور بشر فارس قصيدة وجدية لم ترقه فعارضها بقصيدة مجونية، ولعل بعض أصدقائه الأحياء يحفظون شيئا من هذه المعابثات، وهي اليوم وثائق لمؤرخي الأدب..

ولا أنسى مرة، ونحن في جروبي عدلي، وقد ضمت الجلسة محمود تيمور، وابراهيم المصري، ومحمد أمين حسونة، وغيرهم وغيرهم، والدكتور ناجي يتحدث عن آخر كتاب قرأه، ويحلل ما جاء فيه بأسلوبه الشائق الممتع، واذ بانسان بائس يطل الينا وأظنه الشاعر عبد الحميد الديب، فلا يكاد ينظر الى الجمع حتى تناول ناجي بكلام بذيء، مع أن ناجي كثيرا ما أحسن اليه وواساه وأشفق عليه ومنحه ما في جيبه، فتألم ناجي وتألمنا أن يقابل احسانه بالاساءة وكرمه بالجحود.. وسكت على مضض.. ولم يملك أن يكتب قطعة هجاء تتنافى وطبيعته الخيرة، ولكن الانسان يحرج أحيانافيخرج عن طوره..

رجلا أرى بالله أم حشره
سبحان من بعيده حشره
يا فخر «داروين» ومذهبه
وخلاصة النظرية القذره
أرأيت قردا في الحديقة قد
فلّته انثاه على شجره
عبد الحميد اعلم فأنت كذا
ما قال «داروين» وما ذكره
يا عبقريا في شناعته
ولدتك أمك وهي معتذره

وليالي ناجي من أمتع الليالي.. كانت ليلة الجمعة فرصته الوحيدة للسهر حتى الصباح، يعيش مع خلّص

أصدقائه، من مقهى الى مقهى، ومن تياترو إلى تياترو، ومن مرقص الى آخر، فتمر الليلة على أمتع ما تكون السهر، وقد أتيح لي، حين أكون في القاهرة أن أعايشه بعض تلك الليالي، وأسهر معه تلك السهرات المشعة بالأضواء، فأحس برعشات الفن والأدب تثيره وتغمر كل خالجة من خوالج ذاته، ولا سيما حين يتراءى له الجمال المطلق مجسدا في اطار من الفن الذي يثيره، فلا يتمالك عن البوح عن هواجسه الدفينة، أو نزعاته اليقظة . ولا شك أن أكثر قصائده الوجدية هي نتاج تلك الليالي التي يقص فيها بصدق فصص أشواقه ومواجيده. .

هذا وقد وصفه الأستاذ ابراهيم المصري فقال: شخصية الدكتور ناجي شخصية غريبة تستهوي كل من اتصل بها، شخصيته شاعر قلق يحيط بها ويغمرها السر الذي قذف بها الى هذا العالم، والذي لا تنفك تتساءل عنه وتتطلع اليه مبهوتة مما ترى حولها من ألم وجمال، شخصية خفيفة مجنحة لا تلبث أن ترف على الأشخاص والأشياء حتى تحلق في أجواء غير منظورة، أسعد ما تكون بالصمت والتأمل والصفاء.

تلتقي بالدكتور ناجي فتشعر كأن نسيما منعشا يهب عليك، وتصافحه فكأنما هو يفتح صدره لك، وتجلس إليه وكأنك في حضيرة روح حائر، وتستمع لحديثه فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراءة نفسه وسلامة طويته وعذوبة صوته وطلاقة محياه، فتذهل ويتضاءل شخصك في عين نفسك، ويعز عليك نقصك، ولا يغريك في النهاية الا يقينك بأن الخير الذي استقر في سواك وتمثل نابضا حيا في قلب هذا الشاعر النبيل الشاب. .

وتحدق اليه فترى رجلا هزيلاً متوسط القامة منكمش الأعضاء أصلع مقدمة الرأس، ناعس العينين مديد الذقن أشبه بالصورة التي تعرفها للشاعر الايطالي «دانو نزيو»، يمشي

وكأنه يتعثر، يصمت وكأنه غير موجود، يقبع في ركن من القهوة وغليونه في فمه وكأن سنة من النوم قد استغرقته. . ثم يتكلم بغتة ويفيض ولا يفتأ يتحرك ويتلفت ويلوح بذراعيه تلوحياً عصبيا متداركا فتحس لفورك رحابة نفسه واضطرابها وضيقها بما تحمل. .

وتسمعه يجادل ويحتد وصوته أبدا صريح، وجنبه أبدا منبسط، والابتسامة الرقيقة لا تفارق شفتيه، وعينه الحالمة أصفى ما تكون محبة وعطفا، فيخطر لك أن تداعبه بنكتة ظريفة، وسرعان ما يتبدل ويستضيء وجهه ويتألق، وتشيع فيه نضارة معبودة كنضارة الأطفال، فيأخذ في ارسال النكتة تلو النكتة، حاضر البديهة، عبقري الفكاهة، جم الحيوية، يضحك ضحكات حرة عريضة مليئة، كأنما الفرح كله قد اجتمع في فؤاده. . وكأنه قد نسي في لحظة واحدة كل ما استشرقت عليه نفسه من هم الحياة. .

والذي يسحرك في ناجي أنك عبثا تحاول توجيه اي نقد خلفي اليه- فهو يحب الجميع، ويخلص ويخدم الجميع، ولا يداهن ولا يغتاب ولا يشي ولا يتكبر، ولولا بعض الحياء في الطبع أكسبه اياه فرط الأدب، وراضه على التجاوز والصفح من حيث لا يجب التجاوز والصفح، لما وجدت أي مغمز فيه، ولقلت انه جاوز المنطقة المقدسة التي تفصل بين الكمال الانساني المحدود والكمال العلوي اللانهائي. .

هذه شخصية ناجي كما عرفتها وآمنت بها وكما يقررها ويجمع عليها اخوانه وعارفوه[1].

- ١٢ -

ترك الدكتور ناجي غير دواوينه مجموعة من الكتب

والرسائل، منها المطبوع، ومنها غير المطبوع، فمن كتبه المطبوعة «مدينة الأحلام»، و «في فن القصة» نشرته مجموعة (كتب للجميع) بعنوان «ادركني يا دكتور»؛ ترجمة رواية «الجريمة والعقاب» لـ «دويستوفوسكي». أما غير المطبوع من كتبه فهي «عالم الأسرة»، و «كيف تفهم الناس»، و «رسالة الحياة»ـ جزءان ـ، و «قراءات أحببتها»، و «الحب والجنس»، و «أزهار الشر» عن بودلير مع ترجمة لبعض أشعاره، و«رباعيات ناجي»، و «أهازيج شكسبير»، وعدة أبحاث ومحاضرات منتشرة في بطون الصحف والمجلات لو جمعت لألفت كتابا كبيرا..

هذه صور متعددة الجوانب عن ناجي الشاعر الأديب الذي كان يسلط أحدث أضواء علم النفس على أدبه، وقد ترك خلال هذه الفترات من عمره زادا دسما لعشاق الأدب سواء من شعره أو نثره أو ترجماته، وما كاد يصل الى السن التي ازدادت فيها تجاربه وازداد عطاؤه حتى خسر الأدب هذا الشاعر الفريد الذي جعل الشعر، كما ذكرت، وكما ردده لي أكثر من مرة، النافذة التي يطل منها على الحياة، ويشرف منها على الأبد، وما وراء الأبد والهواء الذي يتنفسه والبلسم الذي داوى به جراحات نفسه حين عز الأساة.

هذا وبالنظر للصلاة الوثيقة التي كانت بيني وبينه، فقد دعوته لالقاء محاضرة في «دار الكتب الوطنية» بمدينة حلب، والتي كنت أشرف عليها، ولبى الدعوة وتحدد اليوم السابع والعشرين من شهر آذارـ مارسـ سنة ١٩٥٣، كما تحدد موضوع المحاضرة وهو «الخواطر العالمية الحديثة في الأدب والاجتماع». وأرسلت إليه بطاقات السفر، وتلقيت منه برقية في الثالث والعشرين يعلمني فيها أنه سيغادر القاهرة يوم الاربعاء على متن الطائرة التي تقوم من الاسكندرية الى حلب، وطبعت بطاقات الدعوة، ووزعت على الجمهور، وارتقبت وصوله في الموعد الذي ضربه، ووصلت الطائرة

دون أن يكون بين ركابها هذا الطائر الغريد . .

لقد تشاءمت، ولا أعلم سبب تشاؤمي، وجالت في خاطري هواجس غريبة عن الموت، عن موت ناجي . . أي والله . . مرت هذه الخواطر السوداء من فكري دون أن أعرف أي مبرر لها ثم توقعت ألف سبب لتخلفه الا موته . . ولم أكن أعلم أن الساعة التي حددها لمغادرة القاهرة هي ساعة مغادرته هذه الدنيا، فلم يغادر القاهرة الى حلب بل الى الدار الآخرة.

لقد احتشد الناس بالمئات في قاعة دار الكتب وكلهم من عيون المفكرين يرتقبون وجه الدكتور ناجي ليحاضرهم في الأدب والاجتماع، وليعرض الى أحدث الآراء العالمية في هذين الفنين الذي يجيد الحديث عنهما إجادة مطلقة. ارتقبوا أن يستمعوا من خلال بسمته التي لا تفارقه أن ينثر تلك الآراء بأسلوبه الشاعري، الذي يفيض بأزاهير الأدب والحكمة، وتغمره هذه الهالات من أصفى مبادىء علم النفس، ولكن القدر خيب ظنهم، فوقفت وأنا جزع النفس أذيع عليهم هذا النبأ الحزين . .

وتحدثت عنه طويلا . . عن شعره وأدبه وخلقه ومواهبه، والكثير من الذكريات . . وقد بكيت وبكى الحاضرون، ثم ختمت كلمة الرثاء بقولي:

أيها السادة: لقد جئتم لتسمعوا حديثا منه، فاذا بكم تسمعون حديثا عنه، وأي حديث تسمعون، نبأ وخبر موته . . فيا لسخرية القدر . .

- ١٤ -

هذا الديوان

تعمل دار العودة في بيروت ـ بشخص مديرها ـ على نشر

واعادة نشر دواوين شعراء المدرسة الحديثة في مجلد واحد، وطباعة أنيقة تيسر للقارىء العربي الالمام بفترات التطور، وبكل ما أصدره الشاعر.

وقد نشر أكثر من ديوان، فدل بعمله على ذوق فني، وروح محبة للشعر..

وها هو ذا يعنى بنشر شعر الدكتور ابراهيم ناجي، الشاعر الغنائي الغني بموسيقاه، كما هو غني بصوره ومعانيه، وكان في طليعة شعراء المدرسة الحديثة، وقد طلب مني كتابة مقدمة عن ناجي وشعره وصور من حياته، فلم أتردد لما أحمله في نفسي من حب وتقدير، وقد بسطت ما أعرفه عنه، وما عرض اليه الأدباء والنقاد، ما له وما عليه. . وقد ضم الديوان ما في دواوينه «وراء الغمام»، و «ليالي القاهرة»، و «الطائر الجريح»، وما تناثر في الصحف، وما رشح من ذاكرة أصدقائه. وقد جعلت قسم الاخوانيات والمداعبات والرثاء والمدح في نهاية الديوان، وقصائد المدح قليلة، اذ لم يكن الشاعر مدّاحا من طراز أولئك الذين يستجدون بأماديحهم الكاذبة الهبات والأعطيات، بل كان في مدحه من طراز أولئك الذين أحسنوا إليه في محنته، ووقفوا إلى جانبه ضد أولئك البغاة الذين تكالبوا عليه، فلم يستطع إلا أن يعبر عن خوالجه بشعر نابع من القلب.

أما شعره الوجدي، ونزعاته الصوفية والفلسفية، فقد احتلت صدر الديوان، وهي مجموعها مقطوعات وقصائد تؤلف قصيدة واحدة، أو ملحمة من ملاحم الحب.

وبعد فلا أسترسل أكثر من هذا، ولأترك للقراء أن يستمتعوا بجمال شعره، وبالكثير من لوحاته البارزة المعاني والالوان

سامي الكيالي

فهرست